مذكرات تاريخية

عـــن

بعض أعلام قبيلة حرب

* * * * * * * * * * * * * *

مشيخة ابن رومي الزبيدي (.... ـ ٩١٣هـ)

مشيخة ابن مضيان الظاهري (٩٠٠ ـ ١٢٢٦هـ)

مشيخة الأحامدة في القرن الثالث عشر (١٢٠٠ ـ ١٣٠٠هـ)

الشيخ خلف بن ناحل بين الشعر والتاريخ (.... ـ ١٣٠٥هـ)

* * * * * * * * * * * * * *

تأليف واعداد

فائز بن موسى البدراني الحربي

الجـزء الأول

الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م

ⓒ دار البدراني للنشر والتوزيع ، ١٤١٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحربي ، فائز بن موسى البدراني الحربي

مذكرات تاريخية عن بعض أعلام قبيلة حرب .ـ الرياض.

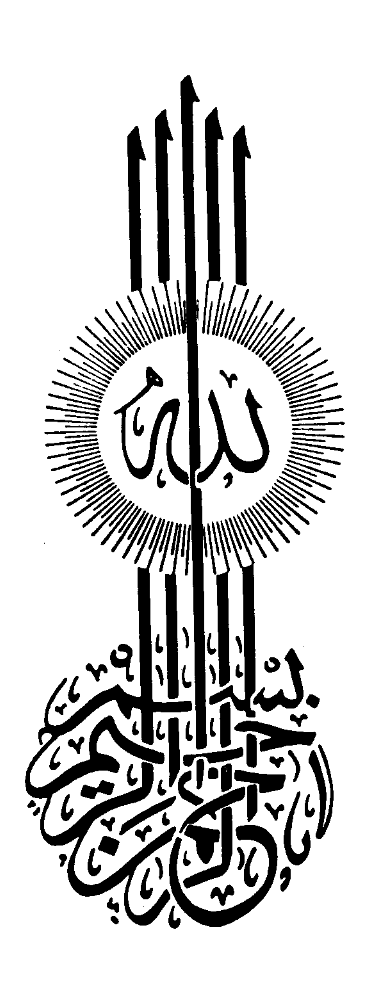
. . . ص ؛ . . سم

ردمك X-٦-٩٠٢٩-٩٩٦٠

١ - حرب (قبيلة) - تراجم أ - العنوان

ديوي ٩٢٩،٢٢٢ ١٧/٠٦٢٩

رقم الإيداع : ١٧/٠٦٢٩
ردمك : X-٦-٩٠٢٩-٩٩٦٠


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

تم الصف الاليكتروني والتصاميم والزخارف

بواسطة

دار البدراني للنشر والتوزيع

ص ب ٩٢٨٢٩ الرياض الرمز البريدي ١١٦٦٣

المملكة العربية السعودية

شكر وتقدير

يَسُرني أن أتقدم بخالص شكري وتقديري لكل مَن أسْدَى
إليَّ خدمة ساعدت على خروج هذا البحث إلى حَيِّز
الوجود! وكل من شجعني على اكمال هذا
العمل وبث فيَّ روح الحماس
للمضي قدماً!

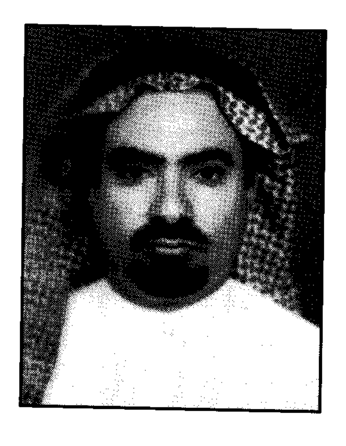
كما أقدم شكري وتقديري لكل مُدْرِكٍ واعٍ لأهمية
البحث التاريخي، مقدر للكلمة
الصادقة، معترف بفضل
الآخرين!

وشكري وتقديري لكل من شارك مشاركة مخلصة في
اكمال هذا العمل سواء كان ذلك من خلال
تقديم المعلومة التاريخية أو المشاركة
بفكرة هادفة أو رأي
صائب!

* *

تنويه لابُدَّ منه !

تم طبع هذا البحث التاريخي على نفقة الأستاذ/ ضيف الله بن تركي بن حسن بن فهد الصالحي العمري الحربي رجل الأعمال المعروف صاحب مؤسسات الصالحي التجارية ومنها:





- مؤسسة الصالحي للمقاولات
- مستوصف الشرق الأهلي بالرس
- صيدلية الصالحي بالرس
- الصالحي للمعدات والمستلزمات الطبية ـ الرياض

وكان لزاماً على المؤلف أن ينوّه بهذه البادرة الطيبة وهذا الشعور الوطني والاجتماعي البناء الذي يتمثل في امكانية مساهمة رجال الأعمال بدعم الأعمال الفكرية المتميزة والأبحاث الجادة، فله منا جزيل الشكر والامتنان !

مقدّمة الكتاب

باسم الله العظيم أبدأ وعليه أتوكل وبه أستعين، وأصلي وأسلم على أشرف المرسلين وخاتم النبيين، وبعد؛

فقد كنت أرى ولا أزال أنه من الواجب أن يحظى كل عَلَم من أعلام بلادنا المعطاءة، بما يستحقه من الاشادة والانصاف، اعترافا بفضل أولي الفضل، وتخليدا لذكرى الرجال المتميِّزين، وترسيخاً للخلال الحميدة وتعريفا بمكارم الأخلاق التي هي من شيم العرب وصفاتهم.

وفي صحراء الجزيرة العربية، التي هي مهد الأخلاق العربية الكريمة، برز رجال كثيرون على مر التاريخ كانوا رموزا للخُلُق العربي النبيل، ومثالاً لمكارم الأخلاق التي جاء الاسلام ليتمّمَها، فاختار الله العرب لهذه المهمة الفاضلة. فبرز منهم رجال عظماء ملؤوا التاريخ مجدا وشهرة.

ومما يحز في النفس، أن التاريخ لم يَكْتَفِ بتجاهل الشخصيات الصحراوية البارزة، لكنه تحامل عليهم عن طريق اعطاء الفرصة لخصومهم فقط للكتابة عنهم وتدوين أخبارهم مع خصومهم من السلاطين والأشراف وعساكر السلطة المركزية البعيدة عن القبائل العربية وشيوخها وفضلائها، مما ساعد على تكوين صورة مشوهة عن أبناء القبائل وزعمائها.

فلو نظرنا مثلاً إلى تاريخ القبائل في منطقة الحجاز والحرمين الشريفين خلال القرون العشرة الماضية لوجدنا أن الـمُعَوّل فيه على المؤرخين الذين كانوا غالباً من أتباع الدولة والمحسوبين عليها سواء من أشراف الحجاز أو من القواد والباشوات والموالين لهم من العلماء والمجاورين الذين كانت مؤلفاتهم وَقْفاً على تدوين أمجاد الأشراف وأحداثهم من وجهة نظر لا تخلوا من التحيّز الظاهر لصالح الدولة

وأتباعها على حساب مناوئيهم وخصومهم من شيوخ العربان وأتباعهم. وكان من نتيجة هذا التحيز الواضح الإساءةُ إلى أولئك الخصوم وخاصة القبائل العربية التي لا تَجدُ من يدافع عنها أو ينتصف لها في هذا المجال، وهكذا فقد جاء تاريخها مُشَوَّهاً مليئاً بالمغالطات التاريخية بل والإفتراءات أحياناً.

وحتى لا يظن البعض أن موضوع هذا الكتاب يدخل في باب التفاخر ومحاولة ابراز الذات القبلية؛ فأقول: إن الأمر ليس كذلك! فالهدف من هذا الكتاب هو تقديم حقائق تاريخية جديدة ومهمة قد لا يدرك أهميتها إلاّ المهتمون بتاريخ بلادنا، فضلاً عما يقدمه الكتاب من معلومات هامة للجيل الحاضر من أحفاد أولئك الأعلام عن تاريخ أجدادهم.

وقد يقول قائل أيضاً: ولكن هؤلاء الأعلام لم يقدموا للتاريخ ما يجعلهم يستحقون مثل هذا الجهد البحثي الجاد! ولهؤلاء أقول أيضاً: لو أن المتأخرين المتطفلين على التاريخ تركوا هؤلاء وشأنهم، لقلنا ربما يكون ذلك مقبولاً إلى حد ما! ولكنهم نسجوا من القصص والروايات التي لا مصدر لها ما يسيء لأولئك الأعلام من الخوض في أنسابهم وتاريخهم اعتماداً على أساطير وحكايات ساذجة، فعسى أن يكون في هذا الكتاب ما يقطع الطريق على أولئك الذين يخوضون في الكتابة التاريخية ويسيئون إلى الميِّتين أكثر مما يحسنون!

ومن خلال قراءاتي لتاريخ القبائل العربية في وسط الجزيرة العربية وغربها خلال الفترة التي سبقت الحكم السعودي الزاهر، فقد لاحظت أن هناك بعض الشخصيات التاريخية البدوية التي كان لها تاريخ حافل بالحوادث والأخبار، إلاّ أنها لم تنل نصيبها من الشهرة والانصاف، بل إن أحفاد تلك الشخصيات يجهلون مكانة أجدادهم التاريخية، وأمجادهم الجديرة بالتسجيل والدراسة والتخليد، فرأيت أنه من الواجب أن نظهر ما يمكن اظهاره من تاريخ أولئك الرجال، لأن تاريخهم

جزء من تاريخنا نحن أبناء الجزيرة العربية، فلماذا لا يحظى كل علم من أعلام بلادنا المعطاءة بما يستحقه من الاشادة والانصاف، اثراءً لتاريخنا، واعترافاً بفضل أولئك الأعلام، وتخليداً لذكرى الرجال المتميزين!

وقد اخترت عدداً محدوداً من الشخصيات الصحراوية للكتابة عنهم وتقديمهم للقاريء الكريم كمثال لكثير من أعلامنا الذين عاشوا على هامش التاريخ، بسبب عدم اهتمامنا بالتاريخ من ناحية وتحامل بعض المؤرخين من ناحية أخرى.

وحتى لا أتهم بالتحيز لمنطقة معينة أو قبيلة معينة أو أسرة معينة، فإن اختياري لهؤلاء الأعلام دون سواهم إنما يأتي بناء على ما توفر لدي من معلومات خلال قراءاتي التاريخية التي تتركز على الاهتمام بتاريخ القبائل في الحجاز وبالذات قبيلة حرب.

فقد توفر لدي من المعلومات المتناثرة في الوثائق والمراجع التاريخية عن هؤلاء الاعلام، مايجعلني أجد أن المادة العلمية المتوفرة تستحق تقديمها للباحثين والمهتمين بتاريخ الجزيرة العربية، ويجعلني أشعر بأن ما سأقدمه يضيف شيئاً مفيداً لمكتبتنا التاريخية. ولو توفر لدي معلومات تستحق النشر عن غيرهم في المستقبل لواصلت الكتابة في هذا الموضوع إن شاء الله.

وقد تم تقسيم هذا الكتاب إلى مقدمة وأربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: مذكرات تاريخية عن الشيخ مالك بن رومي الزبيدي.

وينقسم إلى أربعة فصول، هي:

الفصل الأول: خلفية تاريخية عن خليص ومشيختها قبل مالك بن رومي.

الفصل الثاني: من أخبار الشيخ مالك بن رومي الزبيدي.

الفصل الثالث: القضاء على مشيخة مالك بن رومي الزبيدي.

الفصل الرابع: مشيخة زبيد وخليص بعد مقتل الشيخ مالك بن رومي.

المبحث الثاني: ابن مضيَّان الظاهري ودوره في مقاومة قوات محمد علي باشا.

وينقسم إلى أربعة فصول وهي:

الفصل الأول: آل مضيان في المصادر التاريخية.

الفصل الثاني: مبايعة آل مضيَّان للسعوديين ودورهم في انضمام الحجاز للدولة السعودية الأولى.

الفصل الثالث: علاقة حرب بالحملة المصرية الأولى (طوسون باشا).

الفصل الرابع: علاقة حرب بالحملة المصرية الثانية (ابراهيم باشا).

المبحث الثالث: مشيخة الأحامدة في القرن الثالث عشر الهجري.

وينقسم إلى ثلاثة فصول، هي:

الفصل الأول: الشيخ ابن جزا

الفصل الثاني: الشيخ ابن محمود

الفصل الثالث: الشيخ ابن مطلق

المبحث الرابع: خلف بن ناحل بين الشعر والتاريخ.

وينقسم إلى ثلاثة فصول، هي:

الفصل الأول: خلف بن ناحل: حياته ونسبه.

الفصل الثاني: خلف بن ناحل في مذكرات الرحالة داوتي.

الفصل الثالث: خلف بن ناحل في ذاكرة الشعر.

* * * * * * * *

المبحث الأول

مُذكّرات تاريخيّة

عن

الشيخ مالك بن رومي الزُبَيْدِي

(٨٧٣هـ-٩١٣هـ)

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول:

خلفية تاريخية عن خليص ومشيختها قبل مالك بن رومي.

الفصل الثاني:

من أخبار الشيخ مالك بن رومي الزبيدي.

الفصل الثالث:

القضاء على مشيخة مالك بن رومي الزبيدي.

الفصل الرابع:

مشيخة زبيد وخليص بعد مقتل الشيخ مالك بن رومي

الفصل الأول

****

خلفية تاريخية
عن خليص ومشيختها قبل مالك بن رومي ويشمل:

- مقدمـــــة
- حول أصل آل رومي
- آل رومي وخليص في المصادر التاريخية
- مصاهرة أشراف مكة لآل رومي شيوخ زبيد

الفصل الأول
مقدمة المبحث الأول

تعتبر أسـرة آل رومي من أقدم الأسر التي تولت مشيخة قبيلة حرب في الحجاز وأكثرها شهرة عبر التاريخ الحافل والمؤثر لقبيلة حرب في منطقة الحرمين الشريفين ابتداء من القرن الرابع الهجري.

وقد كانت تعرف هذه الاسرة في البداية بآل رومي نسبة إلى مالك بن رومي الزبيدي شيخ قبيلة زبيد الذي وصلت مشيخته إلى أوج قوتها وسطوتها في أواخر القرن التاسع وبداية القرن العاشر الهجريين.

وفي القرون المتأخرة صار يطلق على هذه الأسـرة أسرة ابن عسم نسبة إلى أحد جدودهم المتأخرين. والمرجح لدَيَّ أن هذا الاسم لم يكن معروفاً قبل القرن الثاني أو الثالث عشر الهجري، حيث لم يرد لهذا الاسم ذكر في المصادر التاريخية قبل ذلك التاريخ.

وآل رومي من قبيلة زُبَيْد المشهورة من مسروح من قبائل حرب. وهم أمراء قبيلة زبيد الحجازية التي قاعدتها خليص ولكن ديارها في الوقت الراهن تمتد من وادي حجر الواقع بين مكة والمدينة إلى منطقة القنفذة وعلى امتداد ساحل البحر الأحمر.

وبالمناسبة فقبيلة زبيد الحجازية الحربية هم أبناء زُبَيْد بن الخيار بن زياد الذي ينتهي نسبه في حرب بن سعد، ذكرهم الهمداني فقال وهو يعدِّد أفخاذ حرب الحجازية الخولانية: (وزبيد بن الخيار فيهم عدد زهاء ثلاثمائة، وسيدهم اليوم ـ أي في بداية القرن الرابع الهجري ـ أبو الحسين يحي الزبيدي هاجر إليه يحي بن الحسين الحسيني بالعقيق من المدينة[1]).

---

(١) التعليقات والنوادر عن أبي علي هارون بن زكر الهجري، اعداد: حمد الجاسر، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ (١٩٩٢م)، ج١ ص٢٩

كما ذكر ابن خلدون في تاريخه أن بني جعفر سكنوا بين مكة والمدينة، ثم أجلاهم بنو حرب من زبيد إلى القرى والحصون ..الخ[1].

وهكذا يتضح أن زبيداً كان لهم صولة وجولة منذ القرن الرابع الهجري، لكن الذي يجب التنويه إليه هنا أن بعض المؤرخين المتأخرين وربما ابن خلدون قد وهموا فجعلوا زبيداً هؤلاء من مذحج، وهذا خطأ ظاهر يخالف ما ذكره المؤرخون القدامى كالهمداني وأبو زيد البلخي[2].

أما خُلَيْص التي هي قاعدة إمارة شيخ زبيد ابتداء من القرن السابع الهجري فمنطقة ذات عيون وزراعة تقع على طريق الحج بين مكة والمدينة المنورة وهي إلى مكة أقرب، وتنبسط منطقة خليص في وادٍ يمتد من الشرق إلى الغرب، يسمى شرقيُّه وادي ساية وهو لسُلَيْم، وغربيّه وادي خليص التابع لقبائل حرب[3].

والهدف من هذا البحث هو تقديم معلومات أكثر تفصيلاً عن تاريخ هذه المشيخة العريقة استكمالاً للبحوث السابقة حول هذا الموضوع وكذلك تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة أو الاستدراك على بعض الملاحظات الهامة في المؤلفات المعاصرة عن مشيخة خليص بعد الاطلاع على مصادر تاريخية لم يرجع إليها أصحاب تلك المؤلفات كالدكتور مبارك المعبدي والأستاذ عاتق البلادي مع اعترافنا لهما بالأسبقية.

ومن أهم هذه المصادر مخطوطة بلوغ القِرَى على ذيل اتحاف الورى، للشيخ محمد بن فهد، الذي عاصر الشيخ مالك بن رومي وعاصر فترة الصراع المرير على شرافة مكة والحجاز في بداية القرن العاشر الهجري فكتب عن تلك الحوادث بشيء من التفصيل، بالرغم من تحيّزه الواضح ضد شيخ زبيد وقبيلته.

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ط دار الكتاب اللبناني ١٩٦٨م، ٤/٢٣٢/٢٣٣

(٢) التعليقات والنوادر، ج١ ص٢٩ هامش٤

(٣) لمزيد من التفاصيل عن خليص انظر كتاب: مقتطفات من تاريخ خليص، تأليف: د.مبارك المعبّدي، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، الطبعة الأولى، ص١٥ ومابعدها.

كما حاولنا أيضاً تتبع المصادر التاريخية الأخرى التي أشارت إلى منطقة خليص أو مشيختها، وتم ترتيب تلك الأخبار والاشارات التاريخية ترتيباً زمنياً ليسهل على القاريء متابعة الأخبار متابعة تاريخية منطقية.

وأخيراً فهذه ليست إلا محاولة متواضعة لا نَدّعي لها الكمال فالكمال لله وحده، لكننا نرجو أن يكون في هذا الجهد فائدة للباحثين.

والله من وراء القصد.

حول أصل آل رومي :

يتداول العوام رواية خاطئة عن أصل الشيخ ابن رومي، وللأسف الشديد فقد نقل هذه الرواية بعض المؤرخين المتأخرين مثل البلادي في كتابه نسب حرب[1] وكذلك د. مبارك المعبدي[2] في كتابه: مقتطفات من تاريخ خُلَيْص، وكذلك كتابه: مشيخة ابن عسم في وادي خليص[3].

ومفاد هذه الرواية أن الشيخ ابن رومي ويسمونه ابن عَسْم نسبة لأحد أحفاده المتأخرين رومي الأصل جاء وافداً مع بعض القوافل ونزل خليصاً، وساد في قبيلة زبيد ..... الخ الرواية التي لا مصدر لها سوى تخرصات العوام وتخيلاتهم!

والصحيح أن هذه رواية عامية مختلَقَة لا أصل لها ولا تستند على مصدر تاريخي موثوق، وإنما هي مما شاع بين بعض كبار السن المتأخرين من الرواة العَوَام الذين يجب أن لا يعتبرهم المؤرخ مصدراً يمكن الاعتماد عليه خاصة في ما لم يعاصروه من الأخبار. وقد يكون منشأ هذه الرواية الخاطئة له علاقة بخلط العوام بين قصة خير الدين الرومي الذي جاء بتكليف من الدولة التركية سنة ٩٣٨هـ ونزل في خليص وصاهر آل رومي وبين مالك بن رومي الزبيدي الذين لا علاقة بينهما إلا تشابه الاسم.

ومرد هذا الخلط أن العوام ربطوا بين مجيئ خير الدين الرومي وبين اسم مالك بن رومي شيخ زبيد، لاعتقادهم ـ كما يبدو ـ أن اسم رومي له علاقة بالرومية، مع أن اسم رومي اسم عربي مشهور منذ القدم وله شواهد في التاريخ العربي[4].

---

(١) نسب حرب، تأليف عاتق بن غيث البلادي. دار مكة للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، ص١٧٣

(٢) مقتطفات من تاريخ خليص في الماضي والحاضر، مصدر سابق، ص٢٩

(٣) مشيخة ابن عسم في وادي خليص، تأليف مبارك المعبدي، مكتبة دار البيروتي ـ دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ص٤

(٤) ورد اسم رومي في القرن الثالث الهجري، انظر كتاب ابن عربي، للشيخ حمد الجاسر ص ١٢٥ نقلا عن كتاب أدب الخواص لابن لفته المغربي المتوفي سنة ٤١٨هـ

وهكذا يتضح أن العوام يخلطون بين أصل آل رومي وبين قصة أحد رجال الدولة التركية واسمه خير الدين الرومي الذي كلفه السلطان سليمان سنة ٩٣٨هـ بصيانة وعمارة عين خليص التي على طريق الحج، فخرج من جدة على رأس مجموعة من العسكر ونزل خليصاً، وكان رجلاً صالحاً فصاهر آل رومي الزبيديين وبَنى له قصراً مشهوراً هناك وأقام في خليص إلى أن توفي سنة ٩٦٢هـ فاستقر ولده مكانه. وقد أورد الجزيري تفاصيل هذا الخبر[١].

أما إن كان العوام يجهلون هذه القصة فلا يستبعد أن يكون منشأ روايتهم الخاطئة هو معنى كلمة رومي في أذهانهم لا أكثر!

ومما يؤكد عدم صحة الرواية التي أوردها د. المعبدي وكذلك الاستاذ البلادي عن أصل ابن عسم، أن المؤرخ العبدري ذكر أثناء مروره بخليص سنة ٦٨٨هـ أن صاحبها من الأشراف، وسيأتي نص كلامه فيما بعد.

كذلك مما يبطل تلك الرواية الخاطئة أيضاً عن التشكيك في نسب شيخ زبيد مصاهرته لأشراف مكة كما سيأتي معنا بالتفصيل في هذا الكتاب.

---

(١) انظر مقالنا حول هذا الموضوع في جريدة عكاظ العدد ٩٨٩٣ يوم ١٤١٤/٣/١٧هـ

آل رومي في المصادر التاريخية :

يذكر د. المعبَّدي أن أول ذكر ورد في المصادر التاريخية المتاحة لأسرة آل رومي يعود إلى سنة ٧٢٠هـ، حيث تذكر المصادر التاريخية أن حاكم مصر السلطان محمد بن قلاون كان يدفع مبلغ خمسة آلاف دينار سنوياً لصاحب خليص لاصلاح العين وإجراء مائها للحجيج[١]. إلا أنني عند رجوعي إلى المصادر التي اعتمد عليها د. المعبدي وجدت أنها لا تسمِّي صاحب خليص!

لكن الرحَّالة محمد بن أحمد بن مسعود العبدري الذي زار الجزيرة العربية في سنة ٦٨٨هـ، قد ذكر شيئاً عن محطة خليص وصاحبها إلا أنه لم يسمِّه، حيث يقول: **(وخليص قليعة منيعة على شرف مرتفع، وبها نخل كثير وماء جار طيب، وصاحبها من الشرفاء استبَدَّ بها وهو رجل صالح محب للحجاج مكرم لهم، وإذا نزل الركب تلقاهم وأحسن مثواهم والعربان تقيم في خليص سوقاً عظيماً تبيع فيه المواشي والخضار والبطيخ)**[٢].

أقول: وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن خليصاً كان للأشراف ذوي نمي من ذوي قتادة بن ادريس الحسني شريف مكة المتوفى سنة ٧١٨هـ[٣].

أما صلاح الدين الصفدي الدمشقي المتوفي سنة ٧٦٤هـ والذي مَرَّ بخليص في طريقه للحج في القرن الثامن الهجري فقد قال شعراً:

يقول سائقُ رَكْبي ولاتَ حِينَ مَنَاصِ

---

(١) مقتطفات من تاريخ خليص ـ مصدر سابق، ص١٨، وانظر: حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي امارة الحجاج. تأليف: الشيخ أحمد الرشيدي، تحقيق د. ليلى عبداللطيف أحمد ١٩٨٠م، منشورات: مكتبة الخانجي بمصر، ص١٣٢، واتحاف الورى بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد، تحقيق فهيم محمد شلتوت ج٣، ص٢٩٧، إلا أنه أورد هذا الخبر في حوادث سنة٧١٩هـ

(٢) مقتطفات من تاريخ خليص، مصدر سابق، ص٢٢، وانظر: مجلة العرب س١٠ ص٣٠٦ و ص٧٢٨

(٣) غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تأليف: عبدالعزيز بن عمر بن فهد (ت: ٩٢٢هـ)، تحقيق: د. فهيم شلتوت، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، ج١، ص٥٧٦

لقــــد بُلِينــــا بِــــدَرْب بطــول يــومِ القِصَــاص
فقلــت جــيء بــي خُلَيصــاً وابشِرْ بحُسْــنِ الخــلاَّصِ[1]

أمَّا ابنُ رشَيْد الأندلسي الذي مَرَّ بخليص في رحلته للحج، وذلك يوم الأربعاء الثالث من ذي الحجة سنة ٧٨٤هـ، فقد أنشد من قصيدة له:

وخُلَيــصٌ إذ وَرَدنــا خَلْصَــهُ فرعَــى الله أويقــات الــورودِ[2]

وقد حدد المقريزي ديار زبيد في القرن السابع، فذكر أنها: (**من الصفراء إلى الجحفة ورابغ**). ويقصد بالصفراء، وادي الصفراء الواقع بين ينبع والمدينة[3].

كما تذكر المصادر التاريخية أيضاً الخلاف الذي وقع بين الشريف مغامس بن رميثة بن أبي نمي وصاحب خليص في سنة ٧٨٩هـ، وذلك أن الشريف المذكور وهو أحد ولاة مكة في القرن الثامن الهجري أراد الاستيلاء على خليص المشهورة بعيونها ومزارعها فنزل حِصْن خليص وبسط سلطانه على العين، غير أن صاحب خليص ناصبه العداء فتركها وذهب إلى قرية الخوَار الواقعة شرق خليص[4].

أقول: ولعل في ذلك الخبر ما يشير إلى أن ابن رومي الزبيدي حَلَّ في خليص بعد أن تركها شريفها وخرّبتها الحروب بين الشريف مغامس وأهلها، فأعاد ابن رومي تعميرها واحيائها.

ومن الرحالة الذين وصفوا خليصاً في القرن الثامن الهجري بدرالدين محمد بن ابراهيم بن سعد بن جماعة الكناني الحموي المصري (٦٣٩ ـ ٧٣٣هـ)، فقد قال من قصيدة طويلة في وصف طريق قافلة الحج المصري أثناء حجته في الثلث الأول من القرن

(١) مجلة العرب، س ٣ ص ٣٤٣

(٢) مجلة العرب، س ٣ ص ٣٥٧ و ص ٤٤٦

(٣) البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب، للمقريزي، تحقيق د. عبدالمجيد عابدين ـ منشورات المعرفة، الجامعة الأسكندرية ١٩٨٩م، ص٧٢

(٤) مقتطفات من تاريخ خليص، مصدر السابق، ص٢٤

الثامن الهجري:

وبالقاعة البزواء حطت رحَالها وفي رابغٍ لَبَّى الحجيجُ شفاها
وأرض خليصٍ حبذا ذاك منزلاً به بَلَغَتْ كل النفوس مُنَاها

.....الخ ما قال[1].

وقال الشهاب أحمد بن أبي حجلة المتوفى سنة ٧٧٧هـ:

حثثنا المطايا من خليصٍ عشية وطَرْفي إلى أفْق السماءِ تردّدا
ولمّا بَدَا فيه الهلالُ لناظري ذكَرْتُ جبين العامرية إذا بدا[2]

وفي سنة ٨٤٦هـ تشير المصادر التاريخية إلى أن جماعة من زبيد ذوي مالك وردوا على الشريف بركات شريف مكة، ونجحوا في اقناعه بعدم الخروج لمقاتلة بعض الأشراف الذين لجأوا إلى خليص[3].

لكن المصادر تورد لنا في أخبار القرن التاسع وبالتحديد في سنة ٨٧٣هـ أخبار القتال الذي جرَى بين شريف مكة محمد بن بركات وبين زبيد بقيادة شيخهم رومي الزبيدي أكبر مشايخ حرب في ذلك الوقت، حيث التقى الفريقان بين رابغ وخليص، وبعد معركة دامية انتصرت قوات الشريف وقتل من حرب نحو سبعين رجلاً كما قُتل شيخهم رومي وأخوه مالك[4].

(١) مجلة العرب س٣ ص٣١٣

(٢) مجلة العرب س٣ ص٣٤٣

(٣) غاية المرام، مصدر سابق، ج٢، ص٤٢٥

(٤) الدرر الفرائد المنظمة، عبدالقادر الجزيرى، ص٧٥٠ وخلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، تأليف: زيني دحلان، ط ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ص٤٤، والدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، مخطوطة رقم ....، مركز الملك فيصل للدراسات الاسلامية، (الصفحات غير مرقمة)، رسم الشريف محمد بن بركات.

وقال النجم عمر بن فهد في تاريخه في حوادث سنة ٨٧٤هـ: **(وفي نهاية يوم الاثنين تاسع ربيع الآخر نُهِبَ خَيْف بني شُدَيْد، نهبه عرب زبيد ذو رومي)**[١].

كما يذكر أيضاً أنه في شوال أو ذي القعدة سنة ٨٧٥هـ حصل خلاف بين شريف مكة محمد بن بركات وبين زبيد وحصل منهم بعض عصيان، فأرسل لهم خاله شامان بن زهَيْر على رأس مجموعة من أتباعه، فأضافوا شيخ زبيد ثم غدروا به وقتلوا من زبيد مقتلة عظيمة كما يقول ابن فهد[٢].

وفي سنة ٩١٢هـ أرسل سلطان مصر جيوشاً كبيرة لقتال ابن رومي فتمكنت هذه الجيوش من الانتصار عليه فقتل مالك بن رومي وعدد كبير من أعيان أسرته، كما سنوضح ذلك مفصلاً في هذا البحث.

ومع أن المصادر التاريخية السابقة والتي نقل عنها د. مبارك المعبدي مؤلف كتاب: مقتطفات من تاريخ خليص وكتاب: مشيخة ابن عَسْم، لا تسمِّي هذا الشيخ ولا تنص على أنه ابن عَسْم، إلا أن د. المعبدي يستخدم هذا الاسم بلا دليل نقلي، وإنما بناء على أن شيخ خليص في القرن الرابع عشر الهجري كان يعرف بابن عسم.

وأرى أن حشر اسم ابن عسم في مشيخة زبيد قبل القرن الثاني عشر بلا دليل خطأ واضح، حتى وإن كان ابن عسم المتأخر من سلالة آل رومي، حيث لا مسَوّغ لتسمية المتقدم بالمتأخر لدَى النسّابين والمؤرخين.

وذكر مؤرخ مكة عمر بن فهد في اتحاف الورى أن زبيداً اعترضوا الرَّجَبية القادمين من مصر قبل وصولهم إلى رابغ فأناخوهم، ثم صالحوهم على مائتي دينار وأخلوا سبيلهم، وذلك في شهر جمادى الآخرة سنة ٨٣٤هـ، لكنه لم يسَمِّ شيخ زبيد[٣].

---

(١) اتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٤ ص ٥٠٥

(٢) اتحاف الورى، ج٤ ص ٥٣١، وغاية المرام والدر الكمين، مصدر سابق.

(٣) اتحاف الورى بأخبار أم القرى، مصدر سابق، ج٤، ص٥٦

مصاهرة أشراف مكة لآل رومي شيوخ زبيد :

لاشك أن مصاهرة الأشراف لابن رومي شيخ حرب في القرن التاسع الهجري مما يدل على المكانة المتميزة التي بلغها هذا الشيخ وأسرته من القوة والشهرة مما جعل أشراف مكة يتسابقون إلى مصاهرته لأسباب سياسية وقَبلية، كما أنها تدل أيضا على أصالة نسبه بخلاف ما يتناقله العوَام ومن يعتمد على روايتهم من المؤرخين المتأخرين. فالشريف محمد بن بركات شريف مكة في آخر القرن التاسع الهجري كان صهراً لشيخ زبيد حيث تزوج بنت رومي بن مالك، وابنه أحمد الجازاني تزوج هيف بنت مالك بن رومي، والشريف قايتباي بن محمد بن بركات قد صاهر محمد بن رومي الزبيدي، والشريف هزاع بن محمد بن بركات قد تزوج ابنة شهوان بن رومي الزبيدي.

قال المؤرخ ابن فهد في بلوغ القِرَى: **(وفي يوم الجمعة ثالث الشهر** - يقصد شهر شعبان سنة ٨٩٩ - **عمل سَمَاط عظيم كبير بحوش دار السيد الشريف صاحب مكة جمال الدين محمد بن بركات وليمة لعرس ولده الجازاني ولد زينة بنت رومي على بنت خالته كسلا بنت مالك بن رومي الزبيدي، وجعل في الليل كعب كثير ... الخ)**[1].

ويقول في موضع آخر: **(وفي هذا اليوم** ـ يقصد يوم الخميس ثاني عشر شهر رجب سنة ٩٠٩هـ - **ماتت هيف بنت مالك بن رومي زوجة الشريف جازان بالفريق وحُمِلت إلى المعلاة فجهزت بها ودفنت ليلة اليوم الذي يليه)**[2]. ويقول: **(في يوم الأحد خامس الشهر وصلت ورقه من الشريف قايتباي إلى الباشا يذكر أنه واصل وأنه لم يسمع بوصول هذه الأمراء ورقة الأمير أو غيرها وأنه توجه لجهة البحر لرد الجلاب وأنه تشوَّش من صهره محمد بن رومي الزبيدي الذي ما أرسل**

---

(١) بلوغ القرى في ذيل اتحاف الورى بأخبار أم القرى، تأليف الشيخ عبدالعزيز بن فهد. مخطوطة رقم ٣٠٤، مكتبة الحرم المكي، ورقة ٧٦

(٢) المصدر السابق، ورقة ١٣٩

له أعلمه بوصول هؤلاء ... الخ)، وذلك في شعبان ٩١٠ هـ[١].

وقال أيضاً في حوادث شهر ذي القعده سنة ٩٠٤ هـ: **(وتوجه لهزاع زينة بنت رومي وزوجة أبيه وأم اخوته الجازاني وأخته ومعها بنتها المذكورة وسبقها الجازاني ... الخ)**[٢].

وقال أيضاً: **(وفي يوم الاثنين سابع الشهر** ـ يقصد شهر جمادى الآخر سنه ٩٠٩هـ ـ **خرجت زينة أخت مالك بن رومي والدة الشريف جازان بن محمد إلى وادي الأبيار من جهة اليمن)**[٣].

كما أشار المؤرخ ابن فهد إلى مصاهرة الشريف هزاع بن محمد بن بركات لآل رومي أيضاً فقال: **(وفي يوم الأربعاء سادس الشهر** ـ جمادى الأخر سنة ٩٠٠هـ ـ **جيء بابنة شهوان بن رومي الزبيدي زوج الشريف هزاع بن صاحب مكة الجمالي محمد بن بركات الحسيني وهي ميّتة وصلّى عليها بعد الظهر قاضي القضاة الشافعي ودفنت بالمعلاة. وجاء معها زوجها وبعض اخوته وشيّعها المذكورون وبعض القضاة والفقهاء)**[٤].

أقول: ولعل في هذه الأخبار عن مصاهرة شيوخ زبيد لأشراف مكة ما يؤيد ما ذكره الهمداني من أن حرباً لا تزوِّج إلاّ رجلاً منها أو قرشياً[٥]، ومما يؤكد أيضا بطلان بعض روايات العوام حول أصل الشيخ ابن رومي الزبيدي.

---

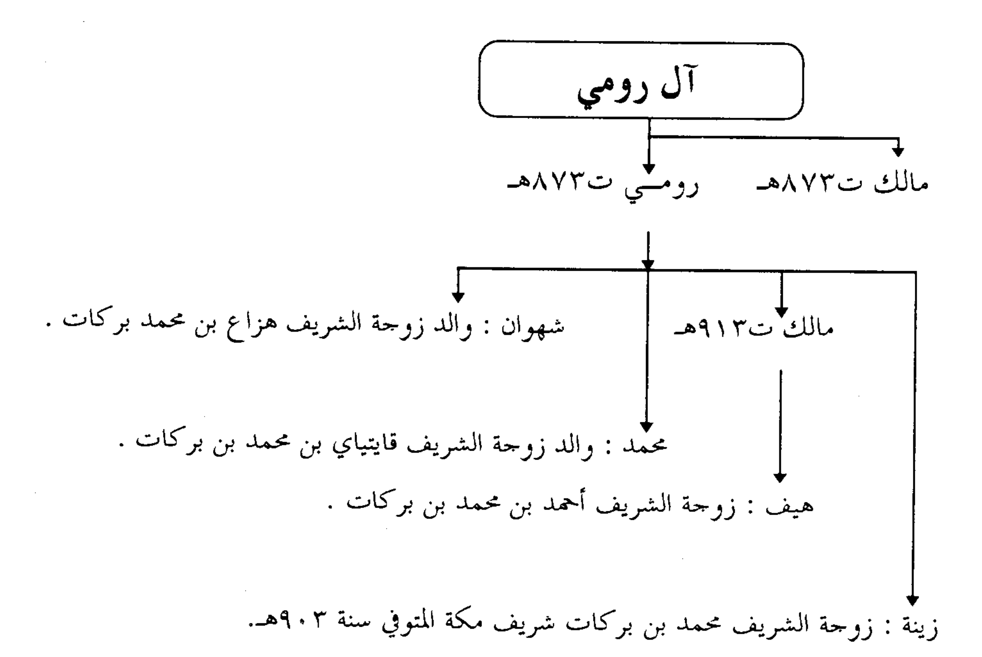
(١) المصدر السابق، ورقة ١٤٩

(٢) المصدر السابق، ورقة ١١٠

(٣) المصدر السابق، ورقة ١٣٨

(٤) الصدر السابق ـ أخبار شهر جمادى الآخرة سنة ٩٠٠هـ، ورقة ٨١

(٥) نسب حرب، مصدر سابق، ص٢٠



وقال في حوادث شهر ذي القعدة ٩١٠هـ: **(وفي صبيحة يوم الجمعة سادس الشهر جيء إلى مكة بزينة بنت رومي الزبيدي أم جازان وهي ميتة ماتت بفريق الشريف بركات بناحية اليمن وحُمِلَت إلى مكة ودخل بها إلى بيت ابنها وصُلّي عليها عند باب الكعبة ودفنت بالمعلاة عند ولدها وشيَّعها القضاة إلى المعلاة والباش إلى باب السلام)**[1].

وقال أيضاً وهو يتكلم عن سبب مجيء الشريف هزاع إلى مكة في جمادى الآخرة من سنة ٩٠٠هـ: **(وفي ليلة الاثنين سابع عشر الشهر وصل إلى مكة الشريف هزاع بن صاحب مكة الجمالي محمد بن بركات وأصبح وسافر من صبيحته، ويقال إن مجيئه غضباً فإنه أشيع قتل شهوان بن رومي الزبيدي لأجل أخذه القاضي الحنبلي وتغريمه وهو** - أي شهوان - **صهره أبو زوجته التي ماتت معه في هذا العام، ولم يصح ذلك بل**

(١) المصدر السابق ـ أخبار شهر ذي القعدة سينة ٩١٠هـ، ورقة ١٥٢

إنما هو لأجل تفرقة الخيل ...الخ)[1].

ولعل في إيراد أخبار هذه المصاهرة بين أشراف مكة وبين شيخ زبيد ما يدل على أصالة هذه الأسرة وشهرتها من ناحية وما نتج عن هذه المصاهرة من مشاكل سياسية من ناحية أخرى، حيث وقف الشيخُ مالك بن رومي مع الشريف أحمد بن محمد بن بركات لكونه ابن أخته وزوج ابنته، وما نتج عن هذه التدخلات من مآسي وحروب انتهت بالقضاء على زعامة هذا الشيخ البدوي.

* * * * * * * *

* * * * * *

* *

(١) المصدر السابق، أخبار شهر رجب سنة ٩٠٠هـ، ورقة ٨٣

الفصل الثاني

****

من أخبار الشيخ مالك بن رومي الزبيدي، ويشمل :

- تمهيد
- أخبار وحوادث تاريخية
- نهاية الشيخ مالك بن رومي الزُّبَيدي

الفصل الثاني
من أخبار الشيخ مالك بن رومي الزبيدي

مقـــدمة :

لا تسعفنا المصادر التاريخية المتاحة لمؤلف هذا الكتاب، في الافادة بشكل كافٍ عن بداية ظهور الشيخ مالك بن رومي وخاصة بعد مقتل والده رومي وعمِّه مالك بن رومي سنة ٨٧٣هـ، الذي كان شيخ زبيد حتى ذلك التاريخ كما مر معنا في الفصل الأول، لكن شخصية الشيخ مالك بن رومي الثاني تبرز على مسرح الأحداث بشكل واضح ومؤثر ابتداء من سنة ٩٠٣هـ وهي سنة وفاة شريف مكة محمد بن بركات وتولّي ابنه الشريف هزاع شرافة الحجاز. حيث قويت العلاقة بين شيخ زبيد وأشراف مكة وزاد تدخله في الصراع السياسي بين أبناء الشريف محمد بن بركات، كما سنرى.

مالك بن رومي يسافر إلى مصر سنة ٩٠٣هـ :

أشار ابن فهد في تاريخه إلى هذا الخبر إشارة عابرة حيث ذكر أن مالك بن رومي رحل إلى مصر بناءاً على طلب من السلطان كما يبدو، إلا أنه لم يورد شيئا عمّا آلت إليه هذه الرحلة، حيث يقول: (**وفي يوم السبت ثاني عشر الشهر** ـ شهر ذي الحجة سنة ٩٠٣هـ ـ **سافر القاضي كاتب السر البدري بن مزهر واستصحب معه الشريف نقا بن وُبَيْر ومالك بن رومي وقاصد**[١] **صاحب مكة أحمد بن نصر الحسني ... الخ**)[٢].

لكن المؤرخ يذكر أن سلطان مصر ـ وهو السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان الملك الأشرف قايتباي ـ قتل في تلك الأثناء، وبالتحديد في الخامس عشر من شهر ربيع الأول ٩٠٤هـ، فاضطربت الأحوال في مصر[٣]، مما يجعلنا نتساءل: هل تمكّن مالك بن رومي ومَن معه مِن مقابلة السلطان أم لا؟ وهل وصلوا إلى مصر فعلاً؟

بداية انضمام زبيد للشريف هزاع سنة ٩٠٤هـ :

تكمن أهمية هذا الخبر في الإشارة إلى بداية انزلاق قبائل زبيد في الصراع السياسي الذي تأجّجَ بين أبناء الشريف محمد بن بركات شريف مكة بعد وفاته، مما كان له أكبر الأثر في جر قبيلة حرب برئاسة شيخها مالك بن رومي إلى التورط في تلك المواجهات السياسية والعسكرية الدامية التي أدت إلى تعاظم دور مالك بن رومي ومن ثم انهيار مشيخته، كما سيأتي بالتفصيل.

يقول المؤرخ ابن فهد بعد أن ذكر الخلاف بين الشريف بركات وأخيه هزاع ابن الشريف محمد بن بركات شريف مكة: (**وجاء الخبر** ـ يقصد في شهر شعبان سنة

---

(١) قاصد: أي مرسول أو مندوب.

(٢) المصدر السابق، ورقة ١٠٧

(٣) المصدر السابق، ورقة ١٠٨

٩٠٤هـ - أن السيد هزاع وصاحب ينبع وعسكره وبني ابراهيم وزبيداً وصلوا إلى عُسْفان، وفي صبيحة يوم الخميس منتصف الشهر توجَّه القاضي كاتب السر إلى وادي مَر للاجتماع بالسيد هزاع بِوَادي مَر والتكلم في الاصلاح بينه وبين أخيه صاحب مكة السيد بركات ... الخ)[١].

ويضيف أيضاً: (وكان مالك بن رومي عند السيد بركات أي في مكة فتوجه إلى هزاع فصارت زبيد كلهم معه، وتوجه أيضا السيد ابراهيم بن بركات بن حسن بن عجلان ثم عاد في وجه كاتب السر.. الخ)[٢].

الشريف هزاع ينزل خُلَيْص ويهادن أخاه بركات سنة ٩٠٤هـ:

يشير المؤرخ إلى أن كاتب السر البدري بن مزهر نجح في التوسط بين الشريفين وذلك في شهر شعبان سنة ٩٠٤هـ، فتم الصلح بينهما واتفقا على عقد هدنة مؤقتة إلى أن يتم الحج: (**ثم سافر الشريف هزاع من وادي مر ونزل بخليص عند زبيد وآمن الآخرون ويتقاضون هم وهزاع حوايجهم من البلدين مكة وجدة بل الحجاز وبجيلة**). ثم يذكر المؤرخ أنه بقي بخليص إلى بداية شهر ذي الحجة من نفس السنة حيث نزل مكة وزار أمير الحج الذي أصلح بينه وبين أخيه فبقي معه في مكة[٣].

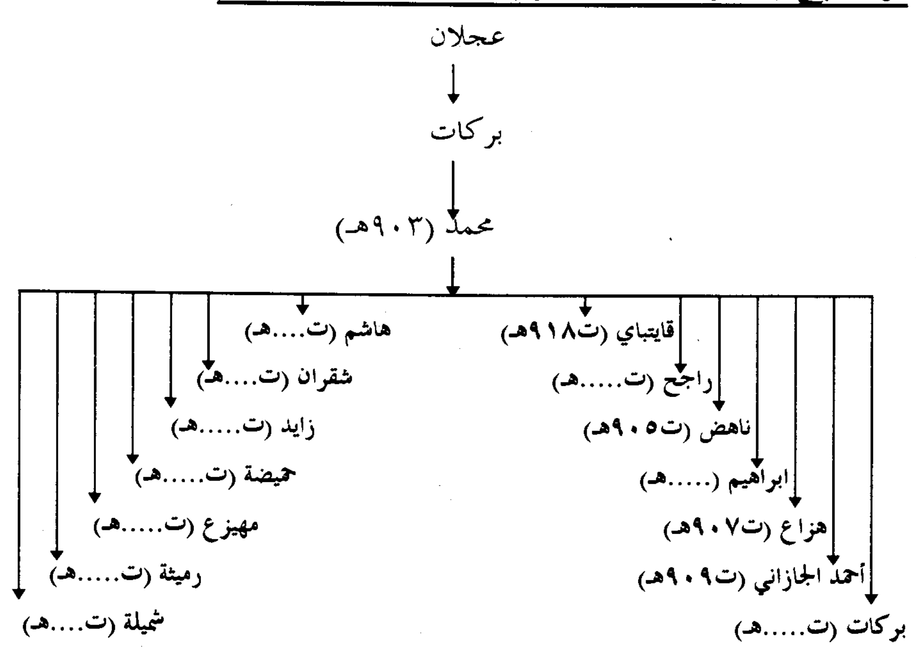
---

(١) المصدر السابق، ورقة ١٠٩

(٢) المصدر السابق، ورقة ١٠٩

(٣) المصدر السابق، ورقة ١١٠ و ١١١

توضيح بعض أبناء الشريف محمد بن بركات



بركات ينوي مهاجمة زبيد في ذي القعدة سنة ٩٠٥هـ :

يشير الخبر التالي إلى بداية تدهور العلاقة بين الشريف بركات بن محمد بن بركات وبين شيخ زبيد مالك بن رومي، حيث يذكر المؤرخ ابن فهد في تاريخه أن شريف مكة بركات بن محمد هَمَّ بغزو زبيد في آخر سنة ٩٠٥هـ، وذلك بعد أن انتصر على عربان حِلْي[١] فكانت يده على حلي وعينه على ابن رومي وأتباعه، حيث يقول ابن فهد: **(وفي ليلة الأحد سادس الشهر وصل الشريف صاحب مكة الزيني بركات بن محمد إلى جدة من حِلي بعد أن أخذ من العرب السيف والدروع والفرس ونفاهم من**

(١) حِلْي: هي بلدة قديمة عامرة وتسمى حِلْي بني يعقوب، وتقع على ساحل البحر الأحمر جنوب مكة بحوالي أربعمائة وثلاثين كيلاً وهي مندثرة في العصر الحالي. (اتحاف الورى ٤/٥١).

البلاد في الجِلاَب إلى اليمن، وأراد التوجه إلى زبيد وأَخْذهم غرَّة لئلاً يهربوا فسمع بهربهم بعد أن جَاوز جدة ليلاً ووصل إلى قرب خريص فعاد إلى جدة)[1].

زبيد والحاج في شهر ذي القعدة سنة ٩٠٥هـ :

حيث يقول المؤرخ: (**وفي يوم الجمعه ثامن الشهر وصل قاصد من أمير الحاج يخبر بأن زبيداً نهبوا بعض الأموال في خبت البزواء[2] وأن الجازاني ومالك بن رومي دخلا عليه** ـ أي على أمير الحج ـ **في الصلح مع الشريف ، فكتب له الجواب وعاد به في الحال)**[3].

ثم يذكر المؤرخ في إشارة عابرة خلال تلك الحوادث أن زبيداً أمسكوا أحد الأعيان واسمه ابن الناصري ثم أطلقوا سراحه.

أقول: والمقصود بالجازاني هنا: الشريف أحمد ويلَّقب بجازان، لكن الذي يبدو من قراءة تاريخ ابن فهد أنه متحامل كثيراً على هذا الشريف فهو لا يستعمل إلا لقبه كما أنه لا يستخدم كلمة الشريف قبل اسمه، مع أنه ابن شريف مكة محمد بن بركات، في حين يظهر تعاطفه وانحيازه التام مع أخيه الشريف بركات بن محمد بن بركات، وكذلك مع الشريف حميضة[4] ، كما سنرى في سياق الحوادث التالية. ولا يخفى على القاري الفطِن أن ابن فهد يكتب تاريخه هذا في ظل حكم الشريف بركات وبين الأخوين من العداء والتنافر ما لا يمكن تصوره، كما سيأتي معنا توضيح ذلك.

---

(١) المصدر السابق ـ أخبار شهر ذي القعدة سنة ٩٠٥هـ ـ ورقة ١١٥

(٢) البزواء: موضع بين بدر وبين وَدَّان على الطريق القديم للحج المصري بعد مجاوزته ينبع. (العرب س٣ ص٣٤١).

(٣) المصدر السابق ـ أخبار شهر ذي القعدة سنة ٩٠٥هـ ـ ورقة ١١٥

(٤) انظر حوادث رمضان سنة ٩٠٩هـ في هذا الكتاب.

لجوء الشريف هزاع إلى زبيد في شوال سنة ٩٠٦هـ :

مَرَّ معنا في أخبار سنة ٩٠٤هـ أن الشريف هزاع بعد خلافه مع أخيه بركـات اتجـه إلى خليص ونزلها عند أصهاره من آل رومي، لكنه لم يلبث أن صالح أخاه فعاد إلى مكة. إلاَّ أنَّ الخلاف لم يلبث أن ظهر بينهما فعاود الاتجاه إلى ديار زبيد والتجأ إليهم.

يقول المؤرخ ابـن فهـد: **(وفي عصـر يـوم الخميـس رابـع الشهـر تـوجه السيد هـزاع وأخوه حميضة وبعض جماعتهما إلى أهلهم باليمن ثم من أثناء الطريـق عرجـوا إلى جهة الـوادي وجـاءوا الحميمة بعـد المغـرب فنـزلوا وصَلّوا وتعشوا وعلقوا علـى خيلهـم ويقال إنها قريب العشرين ورواحلهم قريب الثلاثين وا لله أعلـم. ويقـال أنـه جاء بدوي من عند زبيد وأن جماعة منهم وصلوا إلى مكة فأحس به لما خـرج وعـرج جماعـة أخيـه فاستفزعـوا مـن مكـة وخرجـوا في طلبـه ومنهـم فـارس بـن شـامان[1] وعجلان بن بركات ثم رجع فارس كأنه لَمَّا فـاتهم، وتوجّـه عجـلان في عسكره إلى جدة حفظا لها وخيفة عليها واستمر هزاع ومن معه إلى زبيد ثم إلى الينبع...الخ)**[2].

أقول: وقد يكون سبب التجاء الشريف هزاع إلى زبيد الأخبـار الـتي تَسـرَّبت مـن مصر إلى مكة في شهر رمضان من نفس السنة ومفادها أنه جاء مرسوم من سلطان مصر للشريف بركات وأنه يفعل بأخيه هزاع ما أراد[3].

تولية السيد هزاع شرافة مكة وانضمام مالك بن رومي إليه في ذي القعدة سنة ٩٠٦هـ :

تفيد المصادر التاريخيه أن السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري أنعم على السـيد هزاع بولاية مكة وأنه أُلْبِس الخِلْعَةِ بالينبوع وذلك في منتصف شهر ذي القعـدة. حيـث

---

(١) فارس بن شامان الحسيني من أشراف المدينة المنورة تولى شرافتها سنة ٩٠١هـ، وهـو مـن المواليـن لشـريف مكة بركات بن محمد بن بركات، كما يذكر ابن فهد.

(٢) المصدر السابق، ورقة ١١٨ وما بعدها.

(٣) المصدر السابق، ورقة ١١٨

يذكر ابن فهد ما مفاده أنه: في يوم ١٩ من الشهر أقبل السيد هزاع من ينبع ودخل مكة ومعه يحي بن سبع أمير ينبع وبنوا ابراهيم وأخواه الجازاني وحميضة، ومالك بن رومي وجماعته من زبيد وهم باللبس الكامل استعداداً للقتال.

كما يذكر ابن فهد أيضاً: أن قتالاً عظيماً وقع بين كل من الشريف هزاع وأتباعه والشريف بركات ومعه أهل الشرق وعدوان وبنوحسين وبنوسعد وهذيل وغيرهم. إلا أن القتال انتهى بانتصار الشريف هزاع وقتل كثير من أتباع الشريف بركات منهم ابنه أبوالقسم، ونهب أتباع الشريف هزاع من بني ابراهيم وزبيد نساء السيد بركات في هوادجهن كما نهبوا بيته وبيوت أولاده وإخوانه في مكة[١].

ويظهر من قراءة هذه الأخبار والحوادث مدى التناقض والمواقف لدى سلاطين مصر مما كان سبباً في عدم استقرار الأوضاع بالحجاز، فبينما كان السلطان في شهر رمضان يولّي بركات ويحرّضه على أخيه هزاع، فإذا هو هنا يولي هزاعاً وينقلب على بركات.

خروج الشريف هزاع من مكة ودخول الشريف بركات في آخر شهر ذي الحجة سنة ٩٠٦هـ :

بالرغم من استيلاء الشريف هزاع على مكة كما تقدم إلا أنه كان منهك القوى بسبب كثرة الصراعات والمقاتلات مع خصومه، ولذلك فإنه لم يصمد في شرافة مكة أكثر من شهرين، إذ لم يلبث الشريف بركات أن جاءه مدد من أتباعه بقيادة السيد عنقا بن وُبَيْرْ وعربانه فقصدوا مكة، فلما سمع الشريف هزاع بوصولهم استنجد بأمير الحج فتخلّى عنه فأدرك أنه لا قدرة له بقتال الشريف بركات، فخرج من مكة يوم عشرين من الشهر وقصد جهة ينبع. وكان الشريف بركات أثناء الحج قد حاول التشويش على

(١) المصدر السابق، ورقة ١٢٠هـ.

مكة وعلى الحج فَحَرَّضَ عربان بني سعد فنهبوا كثيراً من القرى حول مكة[1].

وقد نهج الأشراف أثناء هذا الصراع أسلوباً سيئاً للغاية وهو تمكين العربان من مهاجمة المدن والقرى كمكافأة لهم على وقوفهم مع الشريف الثائر ضد خصمه، كما فعل الشريف بركات مع بني سعد كما تقدم. وكما فعل الشريف هزاع مع بني ابراهيم وغيرهم.

حيث يقول ابن فهد : **(وفي هذا اليوم** ــ يقصد يوم الجمعه حادي عشر شهر جمادَى الأولى سنة ٩٠٧هـ ــ **أمر بجمع التجار فجمعوا وطلعوا له وعنده قاضي القضاه الشافعي وصاحب ينبع يحي بن سبع وغيرهما فقال لهم السيد هزاع إن بني ابراهيم كنت أعطيتهم وجهي على أن ينهبوا مكة وجدة والآن صالحتهم على مال، وسلطانكم بركات فتح هذا الباب ومقصودنا لهم المال، فقال له القاضي: أعطيتهم وجهك؟ فقال نعم، والآن فإن أعطيتهم وإلاّ أغلقت بابي وخلّيت بينكم وبينهم وأنا لو هُدِمَتْ الكعبة ما قدرت على منعهم...).**

ثم يذكر المؤرخ أنه فرض على التجار اثنا عشر ألف وسبعمائة دينار[2]. وقد كرر الشريف بركات نفس القصة عندما تولى إمارة مكة في منتصف سنة ٩٠٧هـ كما سنرى. إذ يقول ابن فهد: **(ثم إنه جمع التجار وسألهم في قرض مال فأذعنوا فكثّر على بعضهم فأشمأزوا وتركوا، ثم طُلِبوا المرّة بعد الأخرى ثم إنه اجتمع كثير منهم في بيت ...الخ)**[3].

---

(١) المصدر السابق، ورقة ١٢١

(٢) المصدر السابق، ورقة ١٢٤

(٣) المصدر السابق، ورقة ١٢٦

القتال بين الشريفين في جمادى الأول سنة ٩٠٧هـ :

وذلك أن الشريف هزاع توجه بجموعه من ينبع إلى مكة لحرب أخيه بركات فوصلها يوم الأحد ٩ جمادى الأولى، ونزل بركات وعساكره من العربان والأتراك بين الشعبة ودغيم[١]. ونزل أخوه هزاع وأتباعه من بني ابرهيم وزبيد في موضع مقابل لهم، وتلاقوا صباح ذلك اليوم والتحم القتال بين الطرفين، ويقول المؤرخ: **(وكان رجال السيد هزاع أكثر وأنفع)**، وهو يقصد بني ابراهيم وزبيد، ثم يذكر أنه: قتل من الفريقين خلق كثير لا يُحْصَون، غالبهم من رجال السيد بركات، فلما رأى السيد بركات الغَلَبة وخاف على فناء عساكره ارتفع ووَلّى فوَلّى بعده جميع العسكر، ونهب جماعة السيد هزاع جميع الحلّة وما هو على الجواري وجميع النساء والجمَال والرواحل وما عليها وكان شيئاً كثيراً. وقتل من جماعته كثيراً من شرفائهم وغيرهم. ثم توجه الشريف بركات إلى اليمن مروراً بالليث ودخل الشريف هزاع مكة[٢].

ولاية الشريف هزاع على مكة للمرة الثانية في جمادى سنة ٩٠٧هـ :

بعد انتصار الشريف هزاع في القتال السابق دخل مكة ودعي له في خطبة الجمعة الموافق الرابع عشر من الشهر. يقول ابن فهد: **(وفي يوم الأحد سادس الشهر جاء الخبر أن السيد هزاع واصل، ففي آخر اليوم أو أول ليلة الأثنين وصل للمختلع فخرج بعد المغرب للسلام عليه قاضي القضاة الشافعي وأولاده واخوانه فسلموا عليه وعادوا وأرسل له القاضي إلى هناك طبيخاً كثيراً، وفي صبح يوم الأثنين خرج للقائه إلى المختلع أيضاً القاضي الشافعي وجماعته والمالكي والباش قانصوه الجوشن، ودخلوا معه مكة وهو لابس خلعة حمراء بطرازين وعمامة شرب بلا طراز ولابس السيد**

---

(١) الشعبة ودغيم: موضعان قرب مكة .

(٢) المصدر السابق، ورقة ١٢٣

جازان خلعة حمراء بلا طراز عملها له قاضي القضاة الشافعي، ومعه راكب صاحب ينبع يحي بن سبع وأخوه حميضة ومالك بن رومي وبنوا ابراهيم وزبيد وخلق كثير)[1].

ثم يضيف : أنه قريء بالمسجد الحرام مرسوم سلطاني جاء فيه: (**ونحن أنعمنا عليك بإمرة مكة ودخلت مع الأمر وعجبنا من خروجك ودخول الزيني بركات مكة والمقصود العدل والأمان**)[2].

وفاة الشريف هزاع ١٥ رجب سنة ٩٠٧ هـ :

لم ينعم الشريف هزاع هذه المرة بشرافة الحجاز أكثر من شهر واحد إذ فاجأته المنيّة في رجب من نفس السنة، حيث يقول المؤرخ ابن فهد: (**في يوم الثلاثاء خامس عشر الشهر مات السيد هزاع بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بالسمرَات بين وادي الأبيار والعد، وحُمِل في فردة شقدف على رؤوس الرجال إلى مكة فوصل بها بعد العشاء وجُهّز بداره وحمل إلى المسجد قبل التسبيح، ثم طِيف به أسبوعاً بعد أن جلس على الباب يسيراً، وصلى عليه قاضي القضاة الشافعي بعد صلاة الصبح عند باب الكعبة ونادى الريس بالصلاة عليه فوق ظلة زمزم: الصلاة على السيد الشريف الحسيب النسيب زين الدين هزاع بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان صاحب الحجاز الشريف**)[3].

---

(١) المصدر السابق ، ورقة ١٢٣

(٢) المصدر السابق ، ورقة ١٢٤

(٣) المصدر السابق ، ورقة ١٢٥

ولاية الشريف جازان ودور مالك بن رومي، في رجب سنة ٩٠٧هـ :

بعد وفاة شريف الحجاز هزاع بن محمد بن بركات عُقد في مكة مجلس من الأشراف والأعيان والقضاة لاختيار خليفة له من الأشراف أولاد محمد بن بركات. ونظراً لأن مالك بن رومي الزبيدي الذي كان أكثر الحاضرين سطوة كان خال الشريف جازان وأبو زوجته فقد كان من الطبيعي أن يميل معه ويقف بكل قوة إلى توليته.

حول هذا الخبر يقول العصامي مانَصَّه: (**في سنة ٩٠٧هـ مات شريف مكة هزّاع وبعد موته عُقِد مجلس في الحَطِيم تصَدّره القاضي أبو السعود بن ابراهيم بن ظهيرة، وفيه القضاة والحكام والأمراء من العرب والأروام وفيهم الشريف جازان** ـ هذا لقبه، واسمه أحمد بن محمد بن بركات ـ **ومالك بن رومي شيخ طائفة زبيد** ـ شيخ حرب ـ **وأعيان الشرفاء الكرام، وتفاوضوا فيمن يليق لإمْرَة مكة المشرَّفة، وطال بينهم الكلام. فقال مالك بن رومي: ما أمير مكة وسلطانها إلاّ جازان وما كان هزّاع إلاّ به وبركات ماله إلا السيف، فَسَكتَ الحاضرون جميعهم طويلاً، فقال القاضي أبو السعود: فمَنْ يليها الآن وتكون في وجهه؟ فقال مالك: الشريف جازان وبنوا ابراهيم معه في ذلك، فَنُودي بجازان في شوراع مكة .... الخ**)(١).

دخول زبيد جدة، في شهر رجب ٩٠٧هـ :

وذلك أن الشيخ مالك بن رومي توجه بأتباعه من زبيد وغيرهم إلى جدة ولما دخلها جمع كبار التجار بالفرضة وأخذ منهم مالاً، ولما وصل السيد جازان إلى جدة اجتمع هو ومالك وعسكرهما ونهبوا بعض أحيائها. وبعد ذلك بيوم أو يومين جاء

---

(١) نسب حرب للبلادي، ص١١٣ نقلا عن سمط النجوم العوالي للعصّامي، كما أورد هذا الخبر أيضا صاحب الدرر الفرائد ص٧٨١، كما أشار اليه أيضاً ابن فهد في بلوغ القرى، ورقة ١٢٥، وانظر تحفة المشتاق حوادث السنة المذكورة، وكذلك ـ خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ـ تأليف أحمد زيني دحلان، ط١٣٩٧، القاهرة ، ص٥٠، واتحاف فضلاء الزمن، ورقة ١٣٢

مجموعة من خيَّالة زبيد يريدون دخول جدة فاعترضهم عسكر جدة، فرجعوا عنها لكنهم مسكوا واحداً من القَّواسة فشنقوه[1].

وكانت الأحوال في الحجاز مضطربة في تلك الأثناء ولم تستقر الأمور للشريف جازان، إذ سرعان ما دخل الشريف بركات مكة كما سنرى، بعد أن خرجت جموع الشريف جازان من مكة وتفرقت عنه، حيث رجع يحي بن سبع أمير ينبع وبنوا ابراهيم عائدين إلى ديارهم، وخرج مالك بن رومي بأتباعه من مكة إلى جدة ثم إلى خليص.

الشريف بركات يدخل مكة، في شعبان ٩٠٧هـ :

تفيد المصادر التاريخيه أن الشريف بركات دخل مكة يوم الأربعاء الثامن من شهر شعبان سنة ٩٠٧هـ أثناء غياب أخيه الشريف جازان في جدة. يقول المؤرخ ابن بن فهد: **(ثم في يوم الأربعاء ثامن الشهر نودي بوصول السيد بركات وأن العرضة غداً....** إلى أن يقول: **فألبسه الأمير ألماس خلعة السلطان وركبوا القضاة والأمراء والأتراك وجميع الخيّالة وجميع العسكر والواصلون كثيرون جداً خيْلاً ورجالاً وترك باليمن[2] خيلاً وقوّاسَة وأرسل لجدة أيضاً خيلاً وقواسة ....** ثم يقول: **وبعد صلاته في المقام جلس هو والأمراء وقاضي القضاة الشافعي بالحَطِيم تحت زمزم، وقريء المرسوم وفيه بعد السلام والتحية والاكرام والاعتذار عمّا وقع من الأمراء من تولية السيد هزاع وأنهم ما فعلوا ذلك إلا لَـمَّا رأوه هو وابن سبع في جمع كثير فخافوا على الحاج ولم يكن هذا عن أمرنا وساءنا موت ولدك، وكان ينبغي لك لما سمعت تجمعهم توجهت لهم وقد جهزنا لك خلعة ومرسوماً على يد الأمير ألماس ...الخ)**[3].

---

(١) بلوغ القرى، مصدر سابق، ورقة ١٢٦

(٢) المقصود باليمن هنا: أي الجنوب، حيث اعتاد أهل مكة ومؤرخوها إلى عهد قريب أن يطلقوا كلمة اليمن على المناطق الواقعة جنوب مكة، وأن يطلقوا كلمة الشام على المناطق الشمالية.

(٣) المصدر السابق ، ورقة ١٢٦

أقول: وقد استطردت في نقل هذا النص لألفت انتباه القاريء إلى ملاحظتين هامتين:

الملاحظة الأولى: هي أن سلاطين المماليك في مصر وأمرائهم في الحجاز كانوا مع من غلَب أو مع مَن يدفع لهم أكثر من المال، ولم يكن لهم موقف واضح مما كان سبباً في تدهور الأوضاع السياسيه في الحجاز.

الملاحظة الثانية: أن المؤرخ ابن فهد يميل في تاريخه إلى الشريف بركات ويتحيّز ضد خصومه الذين منهم يحيى بن سبع ومالك بن رومي وقبيلة زبيد لأسباب يكفي أن نعرف أن أهمها أنه يكتب تاريخه تحت ظل حكم الشريف بركات، فكان لابد أن يتحامل على خصوم ذلك الحاكم، وقد قال الشاعر:

النـاس أعـوانُ مَـن والاه حاكمُـهُ وهُـم عليـه إذا عـاداه أعـوان

وهنا أهيب بمن يبحث أو يقرأ ما كُتِب خلال تلك الفترة عن مالك بن رومي بوجه خاص وعن القبائل العربية عموماً، أن يأخذ ذلك في الاعتبار، لأن تلك المصادر تنقل التاريخ من وجهة نظر أحد طرفي الصراع ولا تعطي فرصة للطرف الأخر لابداء وجهة نظره!

زبيد وأخذ حاج الشام في ذي الحجه سنة ٩٠٧هـ :

من المؤسف جداً أن يكون الحاج ضحية للصراع السياسي الدموي بين أشراف الحجاز، وهذا ما حصل لحاج الشام في هذه السنة، حيث أن وصوله إلى الحجاز صادف اضطراب الأوضاع وانقطاع السبل في الحجاز بسبب الصراع المرير بين الشريف بركات وأخيه جازان، فقد دخل الشريف بركات مكة واحتلّها وخرج أخوه جازان بأتباعه من زبيد وغيرهم يقطعون الطريق بين مكة وينبع، فكان الحج الشامي ضحية لهذه الأوضاع التي لا ناقة له فيها ولا جمل، حيث هاجم الشريف

جازان وخاله مالك بن رومي وعربانه من زبيد الحاجَّ فأخذوه عن آخره، يقول ابن فهد: (**وفي يوم الأربعاء ثاني الشهر أخذ جازان ومن معه من زبيد وصاحب ينبع وبني ابراهيم جميع حجاج الشامية ولم يسلَم إلا بعض جمال ورجال وجمال أهل المدينة والحجاز برفق ثلاثين أشرفياً وكان بينهما قتل كثير من الفريقين**)[1].

الشريف جازان يعود إلى مكة ، في صفر ٩٠٨هـ :

استمراراً للأوضاع السابقة فقد أَهَلَّت سنة ٩٠٨هـ والصراع على أشدّه بين كل من الشريف بركات وأخيه جازان الذي ناصره أمير ينبع وبنوا ابراهيم وزبيد جماعة الشيخ مالك بن رومي الزبيدي، حيث توجهت جموع الشريف جازان إلى مكة فلم يجد الشريف بركات بُدّاً من مغادرتها بعد أن فشل في استنهاض هذيل والعساكر وعجز عن استمالة أهل ينبع، وتوجه بركات إلى اليمن. يقول ابن فهد: (**وفي ليلة الأربعاء رابع الشهر** ـ أي صفر ـ **وصل محمد بن عنقا أيضا لمكة وأخبر أنهم وصلوا** ـ يقصد جازان وأتباعه ـ **الوادي وفي صبيحتها اجتمع الباش وقال له الشريف جازان أن يأمر بالزينة وأنه داخل في أثناء النهار وأن زبيداً توجهوا لينزلوا بطريق جدة لحفظ الطريق، وأرسل عبيداً كثيرة في أربعة خيَّالة لجدة ينادي فيها بالأمان والإطمئنان فنودي في الحال بمكة بالزينة ... الخ**)[2].

ثم يذكر المؤرخ بعد ذلك ما حصل من الشريف جازان مع القضاة والتجار وتغريمهم، مُكَرِّراً ما حصل من أسلافه[3] !

---

(١) المصدر السابق ، ورقة ١٢٨

(٢) المصدر : بلوغ القرى ، ورقة ١٢٩

(٣) المصدر : بلوغ القرى ، ورقة ١٣٠

وقعة بين زبيد وهذيل في جمادى الأولى سنة ٩٠٨هـ :

يذكر المؤرخ ابن فهد أنه في يوم الثلاثاء ثامن عشر شهر جمادى الأولى توجه مالك بن رومي الزبيدي إلى عرب بني جابر وبعض آل جميل ـ وكلهم من هذيل ـ فَصبَّحهم يوم الأربعاء وهم بالقرب من عرفة فوقع بينهم قتال، وقتل عدة رجال من كل فريق، وغنم مالك جمالاً وغَنَماً ورجعوا زُبَيْدٌ ومعهم النقّارة تضرب ...الخ[١].

ملاحظة هامة: المقصود ببني جابر هؤلاء فخذ كبير من قبيلة هذيل وكانت مساكنهم الأصلية الهدة قرب مكة، وهم غير بني جابر الفخذ المشهور في قبيلة حرب الذين هم أحد قبائل بني عمرو من مسروح في وادي الفرع ونواحيه، وقد وقع محقق اتحاف الورى د. عبدالكريم باز في خطأ ظاهر عندما علّق في الحاشية ظاناً أن بني جابر هؤلاء هم بنو جابر من حرب[٢].

مالك بن رومي يحشد لقتال الشريف بركات في ج. الثانية ٩٠٨هـ :

يبدو أن الاوضاع في مكة استمرت على حالها من الاضطراب وعدم الاستقرار، مع محاولات الشريف بركات لاستعادة الامارة ووقوف خصومه دونها، حيث أنه في هذا الشهر حاول الشريف بركات الهجوم على مكة لكن مالك بن رومي جمع أتباعه وحال دون ذلك. قال المؤرخ محمد بن فهد: (**وفي اثنا عشر الشهر ـ** يقصد جمادى الثانية ـ **توجه مالك بن رومي الزبيدي لاستصراخ العرب لسماعهم بمجيء السيد بركات ...الخ**)[٣].

(١) المصدر السابق ، ورقة ١٣٠

(٢) اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، للنجم عمر بن فهد، تحقيق: د . عبدالكريم باز ، ج٤ ص٢٠٨ .

(٣) المصدر السابق ، ورقة ١٣١

مالك بن رومي والشريف جازان يدخلان مكة في رجب ٩٠٨هـ:

قال ابن فهد في موضع أخر: (**وفي ليلة الأربعاء تاسع عشر الشهر - شهر رجب - جاء بعض الأعراب وأُخبر بوصول مالك بن رومي ومعه بعض العساكر وكان الشريف جازان بالعقيشية فدقَّت النقَّارة وفي صبيحتها خرج العسكر للقائه فدخلوا مكة جميعا ومعهم الشريف جازان..الخ**)(١).

ولاية الشريف جازان على الحجاز في شعبان سنة ٩٠٨هـ:

يذكر المؤرخ ابن فهد: أنه في أوائل شهر شعبان سنة ٩٠٨هـ وصلت أوراق من سلطان مصر بتولية الشريف جازان على أن يدفع مائة ألف دينار دِيَة القتلى من المماليك في الوقائع السابقة، وأن يدفع يحي بن سبع صاحب ينبع عشرين ألف دينار، وأن يعَيَّن قاضي شافعي مقابل خمسة عشر ألف دينار يدفعها للسلطان، ويضيف المؤرخ أيضا ما مفاده: أنه في سابع عشر الشهر نودي بالزينة في مكة فزينت البلد ودخلها جازان يوم الثامن عشر من نفس الشهر وفي اليوم التالي اجتمع مع القضاة والأمراء في المسجد وقريء مرسوم سلطاني بتعيين الشريف جازان وألبس خِلْعة(٢).

ملاحظة هامة: أقول:وهكذا يتضح لنا مَدَى الفساد في السلطة العليا حيث كانت المناصب في الدولة تعطَى لمن يدفع أكثر للسلطان ويشترى الوظيفة بالمال لا بحسب أهليته وكفاءته، وهذا ما أضاع المصالح وأوصل الأمور في البلاد إلى هذا الانحطاط الاداري والقيادي الذي جعل الشعوب الاسلامية والعربية تعاني الأمَرّين من الفقر والجهل والاضطراب المستمر للأحوال السياسية في تلك الحقبة السياسية المتدهورة. كما أن

(١) المصدر السابق ، ورقة ١٣١

(٢) المصدر السابق ، ورقة ١٣٢

الأمانة التاريخية تحتم علينا أن نشيد بفضل الحكام السعوديين في عهدنا الحالي حيث تدفع الدولة المرتبات المجزية للقضاة وأصحاب المناصب حتّى يعفّوا عمّا في أيدي الناس ولا يجعلوا من الوظيفة وسيلة لابتزاز العامة والتسلط عليهم.

السلطان يتوعد مالك بن رومي، في شعبان ٩٠٨هـ :

يبدو أن حادثة أخذ الحاج الشامي في شهر ذي الحجة سنة ٩٠٧هـ، التي سبق ذكرها، قد أوصلت غضب السلطان إلى أشده على شيخ زبيد مالك بن رومي، ولا يخفى أيضا أن خصوم مالك بن رومي قد نجحوا في تأليب السلطان ضد هذا الشيخ الذي باتت قوته تهدد أشراف الحجاز وأمراء الدولة المناوئين له، وخاصة الشريف بركات وأعوانه الذين أدركوا أن قوة الشريف جازان تكمن في مساندة مالك بن رومي له، والدليل على ذلك أن أخذ الحاج المشار إليه لم يقع من مالك بن رومي وحده بل اشترك فيه الشريف جازان وبنو ابراهيم أهل بدر ويحي بن سبع صاحب ينبع وغيرهم، إلا أن غضب السلطان انصَبّ على شيخ زبيد وحده!

يقول ابن فهد مشيراً لما جاء في مرسوم تولية الشريف جازان السابق ذكره: **(..وفيه الارعاد والابراق والمبالغة في الحط على مالك بن رومي الزبيدي خال الشريف ...)**[1].

وتكمن أهمية هذا الخبر أنه يعتبر بداية النهاية للشيخ مالك بن رومي، حيث أن الشريف بركات الذي توَلّى شرافة الحجاز بعد ذلك مباشرة استغلّ غضب السلطان على مالك بن رومي أفضل استغلال للانتقام من مالك بن رومي، حيث استمر في تأليب السلطان على مالك بن رومي وطلب منه ارسال قوات من مصر للقضاء على شيخ زبيد ويحي بن سبع وبني ابراهيم الذين تسببوا في هزائمه أمام منافسه أخيه جازان.

---

(١) المصدر السابق ، ورقة ١٣٢

وقد نجح الشريف بركات في ازاحة شيخ زبيد مالك بن رومي عن طريقه والقضاء على قوّته، كما سنرى.

الشريف بركات يدخل مكة في رمضان ٩٠٨هـ :

تفيد المصادر التاريخية أن الشريف بركات تمكّن من جمع أنصاره ودخول مكة مَرّة أخرى سنة ٩٠٨هـ دون قتال، وذلك أن الشريف أحمد الجازاني خرج لملاقاته لكنهما لم يلتقيا، بل استغل الشريف بركات خروج أخيه ودخل مكة في جمع من أنصاره واستولى عليها وذلك في شهر رمضان من تلك السنة[١].

الشريف أحمد يهاجم مكة في رمضان سنة ٩٠٨هـ :

وذلك أن الشريف أحمد حاول إخراج أخيه بركات فهاجم مكة في نفس الشهر ففشل ثم عاود الهجوم في شهر شوال فلم ينجح فانسحب وأقام على مقربة من مكة في انتظار الفرصة لدخولها[٢].

ويذكر ابن فهد أن بعض عربان زبيد اشتركوا في هذا القتال إلى جانب الشريف أحمد الجازاني، وقتِل منهم خيّال واحد[٣].

الشريف أحمد يدخل مكة للمرة الثالثة في شوال سنة ٩٠٨هـ :

لم يستسلم الشريف أحمد لأخيه بركات بعد المقاتلات السابقة بل ظل يجمع الجموع ويستعد لاسترداد ولاية مكة من أخيه بركات، وقد تحقق له ذلك في شهر شوال

(١) المصدر السابق ، ورقة ١٣٢

(٢) تاريخ مكة، تأليف أحمد السباعي، ط٤، سنة ١٣٩٩هـ، ص١١٢

(٣) بلوغ القرى، ورقة ١٣٢

سنة ٩٠٨ هـ، حيث هاجم مكة وبعد مقاتلات عنيفة تمكن من دخولها واخراج بركات وأتباعة بالرغم من التحصينات والخنادق والعساكر التي حَصَّن بها مكة من أجل التثبت بالامارة.

يقول ابن فهد بعد أن ذكر مقدمات هذه الحوادث: (**ولما كان في صبح يوم السبت رابع الشهر رحل الشريف جازان وعسكره من الزاهر وجاء إلى المعلاة من الخرمانية فطلع غالب خيلهم جبل عبدا لله بن عمر ولم يكن ذلك في حساب أهل مكة....** إلى أن يقول عن أتباع بركات: (**فصاروا يتراجعون إلى أن نزلوا من شِعْب عامر والخيل وراهم ولم يصل أحد من الطريق الجادة فيقابله الذين عند الخندق، وجاء جميع الخيالة وهم الشرفاء ذوي أبي نمي وغيرهم الذين بشعب عامر إلى السيد بركات والترك وهم عند الخندق، فلما رأى الشرفاء والرجالة كثرة الخيل وأنهم ملكوا شعب عامر وَلّوا راجعين إلى مكة منهزمين، فوقف بعدهم ساعة الشريف بركات والترك فلما رأوا الخيل والعسكر انهزموا ما وسعهم إلاّ الرجوع إلى مكة فواجهوا الخيل خارجة من شعب عامر...**) إلى أن يقول: (**... وأما الذين دخلوا مكة** ـ يقصد من أتباع جازان ـ **فأقبلوا على قتل الرجال والنساء والصبيان ونهب البيوت وسَبْي الصبْيَة والأصايل وكثير من أمهات الاولاد وأولاد الناس**). إلى أن يقول: (**واستفك الناس كثيراً من العبيد والإماء وغالبهم ذهبوا به وأبوا عليه، وتوجهوا بكثير من النهب لينبع وفريق زبيد... الخ**)[1].

وأود هنا أن ألفت انتباه القاريء إلى ملاحظتين هامتين وهما:

الأولى: أن زبيدا قد اشتركوا في هذا القتال إلى جانب الشريف جازان.

الثانية: أن هذه النصوص تُبَيِّن أن هوى المؤرخ يميل مع الشريف بركات ويعتبر الشريف جازان وأتباعه من خصومه، خاصة وأنهم قد نهبوا بيته حيث يقول: (**ونُهِبْنا في جملة من**

---

(١) بلوغ القرى، ورقة ١٣٣

نهب وأخذ لنا عبد وجارية وتعبنا في تخلصيهما لقلة الدرهم... الخ)[1].

كما يقول في موضع أخر: **(فا لله يشتت شملهم وينصرنا ويأخذ ثأرنا منهم وهو على ما يشاء قدير)**[2].

أقول: وإذا كان المؤرخ ابن فهد يكتب تاريخ خَصْمٍ نَهَبَ بيته فهل نتوخّى منه أن يكون أميناً ومنصفاً في نقل الأخبار وفي ما يقول عن مالك بن رومي؟ وهل كل ما قيل عن هذا الشيخ صحيح ونحن لم نستمع إلا من خصمه؟ ولكن نقول كما يقول الشاعر:

إذا كان يُقضَى بالهوى في قضيةٍ

فكيف يكون الحُكْمُ والكاتب الخصم

وقد انتهت هذه الحوادث بدخول الشريف أحمد بن محمد بن بركات إلى مكة وخروج أخيه بركات بن محمد إلى اليمن .

مالك بن رومي ومهاجمة جدة في شوال سنة ٩٠٨هـ :

يقول المؤرخ ابن فهد : **(وفي آخر الشهر الذي بعده نزل مالك بن رومي الزبيدي خال الشريف جازان، والقايد ملحم بن مفتاح المغربي إلى جدة وأخذوا منها ما وجدا ... الخ)**[3].

ويفيد المؤرخ أنه بعد هذه الحوادث اجتمع الشريف حازان وأخوه حميضة وعيّاف بن علي بن حسن بن عجلان وجماعة من بني ابراهيم منهم ظافر وابن عم يحيى بن سبع عند القاضي جلال بسكنه بالجمالية عند باب حزورة؟ وتفاوضوا في الكلام وفيما يقال من نهب الناس مرة ثانية، فاتفقوا على الحَلِف على أن هذا لا يكون وجاءوا بجمعهم إلى

(١) المصدر السابق ، ورقة ١٣٤

(٢) المصدر السابق ، ورقة ١٣٦

(٣) المصدر السابق ، ورقة ١٣٤

خلف المقام الإبراهيمي بعد أن طاف الشريف جازان وحلفوا على ذلك وأن الناس في وجههم من النهب، وأعطى الشريف جازان وجهه عن خاله مالك بن رومي وانفضوا عن ذلك[1].

مالك بن رومي وقتال فارس بن شامان في صفر سنة ٩٠٩هـ :

يقول المؤرخ : (... **ثم توجه جازان إلى مكة في يوم الأربعاء تاسع الشهر** ـ أي صفر سنة ٩٠٩هـ ـ **فوصلها ظهراً وأقام بها إلى أن صلّى الجمعة وطاف ودُعِيَ له على زمزم، ثم توجه لقبر والده بالمعلاة بغية التوجه لحرب فارس بن شامان بالشرق، وجلس بها إلى آخر النهار إلى أن تكامل العسكر وتوجه وصحبته خاله مالك بن رومي ومحمد وعياف بن محمد بن علي ثم وصل الخبر إلى مكة في يوم الثلاثاء ثاني عشر الشهر على أنهم تلاقيا وحصل النصر للسيد فارس، وما ظهر لهذا أثر، وكأنه لم يقع غير الصلح والله أعلم**)[2].

الاضطراب بين زبيد والمماليك في الحجاز/ ج. الآخرة سنة ٩٠٩هـ :

في جمادَى الآخرة من سنة ٩٠٩هـ حصل اضطراب شديد ومناوشات خطيرة بسبب تعدّيات زبيد في مكة وجدة، كما يقول ابن فهد، وبسبب سوء تعامل المماليك والأمراء الأتراك مع عربان زبيد. يقول المؤرخ: (**وفي صبح يوم الخميس المذكور** ـ يقصد يوم ثالث جمادى الآخرة ـ **أراد بعض زبيد نهب بعض الرقيق الذين يستقون من الزاهر فامتنعوا منهم، ومَرَّ عليهم وهم في ذلك مملوكان راكبان فطردوا العرب**

(١) المصدر السابق ، نفس الورقة .

(٢) المصدر السابق، ورقة ١٣٧

ومسكوا واحداً منهم، فسمع بعض زبيد الذين بمكة فوقفوا للملوكَيْن بالشبيكة وأرادوا تخليص صاحبهم فحصل بينهم قتال، فسمع بعض الأتراك الذين بمكة أيضا ففزعوا لأصحابهم، وكان غالب المماليك مع الأمير في الموكب لم يسمعوا، فقتل الأتراك واحداً من زبيد وهرب الباقون بعد أن جرحوا منهم جماعة، ولما بلغ الأمير الخبر أرسل يتهدد مالكاً، وأمر مناديا ينادي ألاَّ يقيم أحدٌ من زبيد بمكة وسن جلس إلى آخر النهار يعلّق بذراعه، فخرجوا بقية نهارهم فسمع ذلك زبيد الذين بجدة فأرادوا نهب الرقيق فتكلم عليهم حاكم جدة صواب فضربوه، وأساءوا عليه إلى أن هرب إلى الأمير شاهين وأخبره بما وقع، فأرسل للشريف حميضة وكان بجدة فأمر مناديا نادى بأن لا يجلس أحدٌ من زبيد بجدة، فخرجوا إلى مالك ببئر شميس ثم في صبح يوم الاثنين سابع الشهر أمر الباش بمكة مناديا ينادي لزبيد بالأمان والاطمئنان، وأن يدخلوا مكة يبيعون ويشترون ولا أحد يخالف عليهم، ثم في صبح يوم الثلاثاء ثاني عشر[1] الشهر دخل مكة مالك فراح إلى الامير وسلم عليه فخلع عليه خلعة فباعها بعد ذلك بخمسة عشرا أشرفيا ... الخ)[2].

أقول ويستفاد من هذا النص ثلاثة أمور:

- سوء تعامل الأتراك والمماليك مع العرب، واعتمادهم على مبدأ القوة دائماً، حيث لجأوا إلى طلب مغادرة جميع المقيمين من زبيد في مكة، دون تمييز بين المذنب وغير المذنب!

---

(١) يتضح من مراجعة تواريخ أيام الشهر أن هناك خطأً قد يكون من المؤرخ أو من غيره فقد نص على أن الأربعاء هو ثاني الشهر وأن الخميس ثالثه وأن الاثنين سابعه، وإلى هنا والأمر منتظم، لكن هذا الحساب يقتضي أن يكون يوم الثلاثاء خامس عشر وليس ثاني عشر حيث أن أيام الشهر هي كما يلي: -
الثلاثاء ١، الأربعاء ٢، الخميس ٣، الجمعة ٤، السبت ٥، الأحد ٦، الاثنين ٧، الثلاثاء ٨، الأربعاء ٩، الخميس ١٠، الجمعة ١١، السبت ١٢، الأحد ١٣، الاثنين ١٤، الثلاثاء ١٥، الأربعاء ١٦، الخميس ١٧، الجمعة ١٨، .... الخ.

(٢) المصدر السابق، ورقة ١٣٨

- أن الأتراك والمماليك ومعهم الشريف حميضة لم يستطيعوا تنفيذ تهديدهم نظرًا لسطوة عربان زبيد وقوتهم.
- أن هذه الحادثة قد تكون بداية انقلاب الشريف حميضة على مالك بن رومي وعربانه ونفاد صبره من تدخلات زبيد وتعدياتهم، كما سنرى.

وفاة الشريف جازان في رجب ٩٠٩هـ :

يذكر المؤرخ ابن فهد: أن إمارة الشريف أحمد الجازاني الأخيرة لم تدم أكثر من ثلاثة شهور حيث تشاجر مع أخيه حميضة فدَسَّ عليه الأخير جماعة من الترك قتلوه قتلة شنيعة وهو بالمطاف في صباح يوم الجمعة ١٩ رجب عام ٩٠٩هـ[١].

ولا يخفى على القاريء الفطن عندما يقرأ نص المؤرخ عن نهاية الشريف جازان التحامل الواضح على هذا الشريف إلى حد الشماتة، حيث يذكر أنه بقي مُعْتَلاً يعاني من اصابته مدة قصيرة لم يهتم به أحد إلى أن مات ميتة سيئة، فأمر حميضة بدفنه على أخيه مهيزع فَحُمِلَ إلى المعلاة ودفن بلا غسل ولا صلاة ولا تشييع جنازة، كما يقول ابن فهد[٢].

الشريف حميضة يحاول أخذ زبيد في رجب ٩٠٩هـ :

يقول المؤرخ بعد أن ذكر ما حصل من اتفاق الأتراك وحميضة على أن يتولى أمر الحجاز، وطلبوا منه حفظ البلاد بعد أن شعروا أن منيَّة جازان قد حانت وأنه عاجز عن حفظ البلاد: (**وتوجه - أي حميضة - للباش وطلب منه مماليك يتوجه بهم للفريق - أي للبادية - لأخذ زبيد، فأرسل معه جماعة وتبعهم الطمَّاعة من أهل مكة لنهب الفريق وسأل الباشا عن مالك، وكان بمكة فلما سمع بالحكاية خرج من درب اليمن ولحقته**

---

(١) بلوغ القرى، ورقة ١٣٩

(٢) المصدر السابق، نفس الورقة.

فرسه وبعض جماعته وقواته وتوجه إلى قوز المكّاسَة على نِيَّة التوجه إلى الفريق باليمن، ثم مال من أودان قريش إلى درب جدة وأخذ قافلة وجدها بالطريق ...الخ)[1] .

ويضيف في موضع أخر: (فلما وصل الفريق وجد زبيداً توجهوا لجدة أو لبلدهم ولم يجد بالفريق غير بني حسن)[2].

الخوف من هجوم مالك بن رومي على مكة في شعبان سنة ٩٠٩هـ :

يقول ابن فهد: (وفي ليلة الجمعة النصف من شعبان وقع بالمسجد جَفْلَة عظيمة قيل إن مالك بن رومي جمع عسكرا ودخل مكة لنهبها، فهرب الناس والنساء إلا القليل منهم وتركوا بسطهم وسجاجيدهم وغير ذلك، فسمع الأتراك فجاءوا إلى المسجد بأسلحتهم ولم يَروا إلاّ خيرا، فعادوا لبيوتهم واستراح المسجد من النساء لكنهم عادوا أخر الليل إلى أن صَلّوا الصبح)[3].

كما أن تلك الاشاعة قد حدثت مرة أخرى، حيث يقول أيضا: (وفي ظهر الأربعاء أشيع بمكة أن مالك بن رومي وصل إلى مكة في عسكر كثير، فسمع بذلك الأتراك فاستعدوا للحرب وخرجوا على خيلهم وبعضهم ماشي وليس فيهم الأميران إنما كانا بعرفة، فلما خرجوا لم يجدوا شيئا... الخ)[4].

مالك بن رومي يأسر وَلَدَيْ الشريف في رمضان سنة ٩٠٩هـ :

يتضح من سياق الحوادث أن الشريف حميضة كان من أنصار الشيخ مالك بن

---

(١) بلوغ القرى، ورقة ١٣٩

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة .

(٣) بلوغ القرى، ورقة ١٤٠

(٤) المصدر السابق، نفس الورقة.

رومي شيخ زبيد، وأن العلاقة بينهما كانت قوية دائماً، لكن الذي يظهر من عبارات ابن فهد أن الشريف حميضة بعد أن استقرَّت له شرافة الحجاز بعد موت أخيه أحمد الجازاني بدأ يضيق ذَرْعاً بقوة شيخ زبيد وتدخلات عربانه في مكة وجدة، فبدأت هذه العلاقة في التدهور، وقد وصل هذا التدهور إلى أشدّه عندما أعلن الشريف حميضة وقوفه إلى جانب المماليك ضد عربان زبيد عندما طالبوا بخروجهم من جدة ومكة كما مَرَّ معنا. ونتيجة لهذا التحوّل فقد أخذت نتائج هذا الخلاف والعداء بين شيخ زبيد وشريف مكة تظهر بشكل فعلي، فكان من أهم تلك الخلافات مهاجمة زبيد لأتباع الشريف ورعاياه، وأسر ولديه.

يقول ابن فهد في بلوغ القرى: (**وفي صبح يوم الاثنين سادس عشر الشهر أو صبح ثانيه وصل مالك بن رومي بعسكر كثير إلى البحرة، ونهب جميع الفريق الذي بها، وأخذوا ولدين للشريف حميضة من غير بيته وأراد أخذ بيته فامتنعت، وتوجه معه أخته زينة والدة** [الشريف أحمد] **الجازاني، ثم عاد مالك إلى بلده، وكان الشريف حميضة بالفريق فهرب لما رآهم، ثم أرسل بساط بن عنقا للباش**[1] ـ [يسأله] ـ **أن يرسل له مماليك ليتبع مالك فأرسل له بعض مماليك في صبح الثلاثاء مع بساط فوجدوا الشريف حميضة بحداء؟**[2] **قد جمع بعض أهل الأودية وهم نزر يسير، فطلب الأتراك منه التوجه فاعتذر بفواتهم وقالوا إنما هو إلا** [حزناً][3] **على أولاده إذا لقوهم يقتلوا ولديه ويرمونهما له، وتوجّه بالمماليك إلى جدة**)[4].

وأرى أن هذا الخبر يعطينا مؤشراً واضحاً على مدى ما بلغه شيخ زبيد من القوة والتسلط على أشراف مكة، لكن يجب أن لا ننسى أن تحيّز المؤرخ هنا يقف حائلاً دون

(١) الباش: المقصود به كما يُعَرِّفه ابن فهد: هو باش المماليك ويُدْعى السيفي بكباي باش المماليك السلطانية بمكة المشرفة، (بلوغ القرى، ورقة ١٥٠).

(٢) غير واضح في المخطوطة.

(٣) هكذا في نسخة المخطوطة ويبدو أن الصحيحَ خوفاً.

(٤) بلوغ القرى، ورقة ١٤٠

اعطاء تبريرات لتصرفات ابن رومي ودوافعها، ولماذا قام بهذا العمل؟ إذ ربما حصَل من الشريف أو من الأمراء الترك ما حمله على ذلك!

ولاية حميضة على مكة في رمضان سنة ٩٠٩هـ :

بعد اجتماع المماليك والأتراك مع الشريف حميضة في جدة يريدون التوجه على أَثرِ مالك بن رومي، لم يتم لهم الاتفاق على الخروج حيث تراجعوا عن ذلك خوفاً من قوة مالك بن رومي، فما كان منهم إلاّ أن توجهوا إلى مكة وتم تنصيب الشريف حميضة وإلباسه خلعة الامارة من قبل باش المماليك.

يقول المؤرخ ابن فهد في بلوغ القِرى، بعد أن ذكر الاضطراب السابق الذي حصل في جدة ومكة بسبب مهاجمة شيخ زبيد وعربانه لهما: (... **فخاف الباش على المماليك فأرسل لهم دوَادَارَه بورقة على أنهم يجيئون لمكة ومعهم الشريف حميضة، فامتنع الشريف حميضة وخاف، فالتزم له المملوك خشقدم الذي قتل أخاه أنه ما يصيبه إلاّ خيرا، فتوجهوا لمكة ووصلوها في صبح يوم الجمعة عشرين الشهر بعد طلوع الشمس بساعة يسيرة فدخل الشريف حميضة على الأمير وسلم عليه فأكرمه ولاقاه ملاقاة حسنة، وجلس عنده ساعة فألبسه خلعة وأمره بأن يركب فرسه ويصعد إلى المُدَّعَى فامتثل**... الخ)(١).

خوف الأشراف من مالك ابن رومي في شوال ٩٠٩هـ :

يمثل هذا الخبر بالإضافة إلى الأخبار السابقة مدى الضعف الذي وصل إليه أشراف مكة بسبب خلافاتهم الداخلية وتنافسهم على الإمارة، وبسبب تذبذب مواقفهم وخاصة في علاقتهم مع سلطان مصر وكذلك مع شيخ زبيد وقبائل حرب. يقول ابن فهد في أخبار رمضان من سنة ٩٠٩هـ: (**ثم في ليلة السبت حادي عشر الشهر أتاه** ـ أي

---

(١) بلوغ القرى، ورقة ١٤٠

الشريف ـ قاصدٌ من جدة وأخبره بتوجه **مُحْرِم ولد أخيه هزاع ومعه مُلْحِم بن مفتاح المغربي إلى جهة ينبع ثم تبيَّن وصولهم لمالك، فسأل الشريف حميضة بتوجهه إلى مكة فأذن له فتوجه ضحى يوم السبت المذكور إلى جدة وصحبته بعض مماليك، فبلغه أن أخاه راجحاً وصل من اليمن ومعه عسكر من الشرفاء ذوي أبي نمي بوادي الابيار، وكان الشرفاء توجهوا من بلادهم إلى هناك خوفا من مالك بن رومي ...الخ)**[1] .

وقال في موضع أخر: (... **وفي ليلة الأحد سابع الشهر** ـ أي شوال ـ **وصل إلى مكة جماعة الاشراف ذوي أبي نمي من الـخَـيْف بجميع أهلهم بقصد التوجه إلى وادي الأبيار خوفا من أن يهجم عليهم مالك بن رومي .... الخ)**[2] .

خروج الأشراف لقتال ابن رومي في شوال سنة ٩٠٩ هـ :

يذكر المؤرخ ابن فهد ما مفاده: أن الأ شراف بعد أن خرجوا من جهات ينبع وتوجهوا إلى مكة خوفاً من مالك بن رومي فوجئوا برفض باش الترك من بقائهم في مكة وساءهم ذلك، فخرجوا إلى وادي الأبيار وأقاموا فيه أياما. وخلال إقامتهم تلك ضاقوا ذرعاً بما آل إليه حالهم من الضعف والتفرق وما يحيط بهم من تهديد، فتحالفوا وتعاهدوا على أن يكونوا يداً واحدة ضد أعدائهم، وأن يقاتلوا خصومهم إلى أن يكون الأمر لهم أو عليهم.

ثم يذكر ابن فهد أيضا أن الأشراف المذكورين وأتباعهم نزلوا خارج مكة وصاروا يستعدون للقتال ويستعرضون فروسيتهم بمصاحبة ضرب الدفوف وأهازيج الحرب، وكل ذلك استعداد لقتال شيخ زبيد مالك بن رومي والانتقام منه.

ويضيف أيضا: **(ثم أرادوا المسير إلى مالك وجمعوا جموعاً وحلفوا بالأطلقة واستخدم بساط بن عنقا كثيراً من القواسة والعربان بعد أن سَوَّد عليهم وقال لهم**

---

(١) بلوغ القرى، ورقة ١٤١

(٢) المصدر السابق، نفس الورقة.

أخزيتمونا بين الناس، وقيل إن الشريف راجحاً لما توجهوا إلى وادى الأبيار سَوَّد عليهم أيضا، وقال لهم فضحتمونا بين العرب بفعالكم، وإذا كنتم ما تمنعون أنفسكم فكيف تمنعون نساءكم، فطلبوا أن يسير معهم فقال بشرط أن تعطوني خِلْعتكم أصرفها على من معي فامتنعوا من ذلك، ولما سمع مالك بذلك ارتفع من الموضع الذي كان نازلاً به، وأرسل الشريف حميضة للشرفاء أن لا يحاربوا زبيدا، وإن فعلوا ذلك فهم في النقا[1]، ويقال إن ذلك منه تخوفاً على أولاده ...الخ)[2].

السماح لزبيد بالتمَوّن من جدة في شوال ٩٠٩هـ :

لم يسفر استعداد الأشراف السابق لقتال زبيد عن مواجهة، بل إن الأمر انتهى بالسماح لزبيد بالتَموُّن من جدة، وذلك بتوصية من الشريف يحي بن سبع صاحب ينبع، كما يذكر ابن فهد، حيث يقول: (... **وفي يوم الأربعاء رابع عشر من الشهر وصلت ورقة من جدة من الشريف حميضة إلى الباش يذكر فيها أنه وصل إلينا بَرّاً عسفان عبد الشريف يحي بن سبع ومعه جماعة من بني ابراهيم خَيَّالة وثلاثة مماليك كانوا وصلوا من القاهرة بَراً، ومعه ورقة من سيّده إلى الشريف حميضة يسأل فيها بالنداء لزبيد بجدة بالأمان والاطمئنان وأن يدخلوا ويمتاروا منها ويقضوا حوايجهم حسب؟[3] شوال في ذلك بحسب ما أصابهم من الجوع والغلا بحيث وصلت الزيلعية[4] الحب إلى أربعة مُحَلَّقة[5] ، فنادى لهم الشريف حميضة بالأمان، ودخل ثاني يوم جماعة من زبيد**

---

(١) النقا: المقصود به نوع من أنواع التعامل بين المتحاربين ومعناه نهاية الهدنة، وأن لا يلام الخصم فيما يفعل بخصمه أو نحو ذلك.

(٢) بلوغ القرى، ورقة ١٤١

(٣) هكذا في نسخة المخطوطة.

(٤) الزيليعية: المقصود: كيس الحب الزيلعي نسبة إلى بلدة زيلع المشهورة بتوريد الحبوب إلى سواحل البحر الأحمر وما جاورها.

(٥) الـمُحَلَّقة: نوع من العملة المستعملة في ذلك الوقت.

جاءوا مع عقال ومعهم ماية حمل امتاروا منها حَبّاً وخرجوا من يومهم، وطلع السعر بسبب ذلك)[1].

خروج الشريف بركات من مصر في ذي القعدة سنة ٩٠٩هـ :

كان الشريف بركات أثناء الحوادث السابقة مسجوناً في مصر لكنه نجح في هذا الشهر من التقرب إلى السلطان المملوكي في مصر الأشرف قانصوه الغوري (٩٠٦هـ ـ ٩٢٢هـ، ١٥٠١م ـ ١٥١٦م)[2]، وتَمَكَّنَ من الحصول على عفو السلطان ثم استصدر أمر السلطان بتوليته على الحجاز، فخرج مع الحاج حتى وصل ينبع، لكنه اتجه للمدينة المنورة خوفاً من أخيه حميضة في مكة، ثم خرج قاصداً مكة برفقة أمير الحاج المصري الذي اتفق معه على السعي له عند السلطان.

يقول المؤرخ: **(.... واتفق معه أمير الحاج أن يرسل للسلطان ـ بأن ـ يُوَلّى هو أو أخوه قايتباي، فأرسلوا عِرَاراً بأوراق أمير الحاج وهو يسأل في ذلك بأوراق الشريف بركات، وفيها: أنه طايع الله ورسوله ولمولانا السلطان وأنه ما أخرجه من مصر إلا ضيق الحال من النفقة والخوف على نفسه وهو في خدمة السلطان، ومهما أمر به السلطان السمع والطاعة، ويسأل فضل السلطان في ارسال أهله .. الخ)**[3].

ثم يذكر المؤرخ ابن فهد ما مفاده: أن الشريف بركات بعد أن تعذر عليه الذهاب إلى مكة قصد المدينة المنورة، لكن صاحب المدينة لم يسمح له بدخولها، فأقام خارج المدينة يوما أو يومين ثم غادرها، حيث يقول المؤرخ أيضا: **(وتوجه ثاني يومه إلى**

---

(١) بلوغ القرى، ورقة ١٤٢

(٢) المختصر في تاريخ مصر، د. علي عبدالمنعم شعيب، دار ابن زيدون، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ص٢١٨

(٣) بلوغ القرى، ورقة ١٤٢

الشرق ثم إلى الخلصية فارتجت مكة لوصوله، وأرسل له الباش فوجده وجعاناً فأخبرهم بذلك أيضا فلما كان بعد صلاة العصر يومه وصل مرحل[1] مصري ذكر أنه فارق الحاج من ينبع ...الخ)[2].

التنافس بين الشريف بركات وأخيه حميضة في ذي الحجة ٩٠٩ هـ :

يقول المؤرخ عن هذا الخبر: (وفي ضحى الأربعاء رابع الشهر وصل إلى مكة علي بن عزاب عبد الشريف بركات وصحبته عبدا لله المضيفي قاصدين من عند الشريف بركات إلى أمراء الحاج ووصلا إليهم، ثم سمع بذلك الشريف حميضة بعد العصر فوجد علي بن عزاب عنده فتكلم عليه بحضرته وقال: يدخل بلادي بغير إذني، وا لله لولا حرمة الأمير لأمرت بقتلك. فقال له علي بن عزاب أنا رسول للأمير. ثم أن الأمير تكلم على حميضة وقال: إن أصابهما شيء ما يحصل لك خير. وأقاما إلى ثاني يوم وعادا لمرسلهما فخرج معهما بعض الأتراك على خيلهما وقواسة إلى أن أوصلوهما مأمنهما وعادوا)[3].

أتباع بركات والاعتداء على مكة في ذي الحجة سنة ٩٠٩هـ :

يقول ابن فهد: (وفي ليلة الثلاثاء سادس الشهر دخل بعض عرب الشريف بركات إلى مكة وعقروا جمالاً لأمراء الحاج وغيرهم، وكونوا جماعة من أهل مكة

(١) مرحل: أي راكب راحلة.

(٢) المصدر السابق، نفس الورقة.

(٣) بلوغ القرى، ورقة ١٤٣

كانوا يعُسُّون يظنون أنهم من بني إبراهيم المقيمين بمكة ومعهم مشاعل لأمير...الخ)[1].

ويقول في موضع آخر: (**وكانت أيام الثمان**[2] **كلها أراجيف وخوف، ونُهِبَ عبيد يستقون من الآبار ... الخ)**[3].

ويذكر المؤرخ أيضا أنه في صبح الخميس ثامن الشهر ـ صعد جماعة من الفقراء مشاة بغية التوجه إلى عرفة وهم محرمون فخرجت عليهم خيل ورجال، ويقال أنهم من جماعة بركات ونهبوهم وأخذوا ما معهم.

ثم يقول المؤرخ: (**فلما سمع بذلك الأمراء اختطبوا وأرسلوا للشريف بركات يستعطفون خاطره أن لا يمنع وَفْدَ ا لله من الحج، فقال مالي غرض عند الحاج إنما غرضي عند غيرهم. فخافوا أن تقع فتنة بعرفة ...الخ**). وينتهي المؤرخ إلى أنه تم الاتفاق بين الأمراء الترك وبين الشريف بركات أن يأخذوا له ألفي دينار وأخذوا منه وجهاً بعدم إثارة الفتنة، ومع ذلك فقد حصل بعض التشويش للحاج في مِنَى، وامتنع كثير من أهل مكة عن الحج ومنهم المؤرخ[4].

زبيد يأخذون الجباية على القوافل في ذي الحجة ٩٠٩هـ :

يقول المؤرخ: (**وفي ضحى يوم الخميس ثاني عشر من الشهر سافر إلى جدة قافلة كبيرة تزيد على ألف جمل وسافر معها جماعة من زبيد وبني ابراهيم وجُبِيَتْ القافلة**

(١) بلوغ القرى، ورقة ١٤٣

(٢) أيام الثمان: المقصود بها ماقبل يوم عرفة من شهر الحج.

(٣) المصدر السابق، نفس الورقة.

(٤) المصدر السابق، ورقة ١٤٤، وتحفة المشتاق أحداث سنة ٩١٣هـ، والدرر الفرائد المنظمة ص٧٨٨ وخلاصة الكلام ص٤٩ وما بعدها.

يقال لمالك أُخِذَ على كل شقدف[1] ستة مُحَلَّقة، وقيل على كل جمل مطلقا ستة محلَّقة[2] وعلى كل حمار مُحلَّقان، فهذه سيئة ابتدعت أخزى ا لله فاعلها).

ويضيف أيضا: **(وفي يوم الجمعة ثالث عشر من الشهر سافر إلى جدة قافلة ثانية مثل الأولى وسافر معها الأمير شاهين الجمالي نايب جدة وقاضيها الشافعي فجُبِيَتْ القافلة كالأولى)[3].**

وقال أيضاً: **(وفي يوم السبت ثاني شهر محرم سنة ٩١٠ هـ قام عربان زبيد بجباية قافلة كبيرة خارجة من مكة إلى جدة كما فُعِل بالقوافل التي قبلها)[4].**

دخول الشريف بركات مكة وتولية أخيه قايتباي في محرم ٩١٠ هـ :

كان الشريف بركات مقيماً في نواحي مِنَى حتى انتهى الحج وكان يتحيَّن الفرص لدخول مكة، وقد مَهَّد لذلك بتحريض عربانه على الإغارة على بعض طوارف مكة، فحصل بذلك التضييق على مكة وأهلها، حتى لجأوا له يطلبون منه أن يكف عنهم أذى العربان، فاغتنم الفرصة وجاء إلى مكة في صبح الأحد الخامس عشر من الشهر. وكان وهو في مِنَى قد اشترى من مكة كثيراً من الجوخ واللباس ووزعه على العربان الذين معه. وفي شهر صفر وصل مراسيم من السلطان بتعيين السيد بركات وحاول الأمراء الأتراك ترسيم بركات لكن يحي بن سبع صاحب ينبع وبنو ابراهيم وزبيداً اعترضوا لأنهم لا يريدون إلاَّ حميضة، وحصل اتفاق الشرفاء والأمراء على تولية الشريف قايتباي بدلا

---

(١) الشقدف: نوع من المحامل التي توضع على ظهور الجمال، وهو محمل مظلل ذو جانبين يستخدم للركوب عادة، ويتسع كل جانب منه لراكب. أما المحمل المكشوف فيسمَّى شِبْرِيَّة . وأعتقد أن الشقدف عند أهل الحجاز هو ما يسميه أهل نجد: الظُلَّة.

(٢) محلَّقة: نوع من العملة كانت سائدة في عصر الاشراف ثم ألغيت فيما بعد.

(٣) بلوغ القرى، ورقة ١٤٤

(٤) المصدر السابق، ورقة ١٤٤

من بركات حيث أن المراسيم السلطانية تقتضي تولية بركات فإن لم يتم ذلك فتولية أخيه قايتباي. لكن هذا التعيين يقتضي أن يدفع الشريف قايتباي خمسين ألف دينار للسلطان وعشرة آلاف للأمير الكبير وعشرة آلاف لأمير الحج أنس باي وهي المتبقية على حميضة. كما تم فرض مبالغ لبعض الأشراف وليحي بن سبع مقابل موافقتهم. وقد كان هذا الاتفاق يوم الثلاثاء ثالث شهر صفر ٩١٠هـ(١).

أقول: وهكذا يتضح أن اختيار الأمراء والأشراف في العهد المملوكي كان يتم على أساس المصالح الشخصية فمن يستطيع أن يدفع أكثر للسلطان هو الذي يحظى بالوصول إلى المنصب حتى لو كان ذلك ولاية الحرمين الشريفين! فكان هذا هو سبب سوء الأحوال واضطراب الأمن وكثرة الصراعات في منطقة الحجاز.

وفي يوم الأربعاء رابع الشهر وصل الشريف قايتباي إلى الزاهر وخرج أهل مكة لاستقباله بطلب من الأمراء الأتراك. يقول المؤرخ: (**ودخلوا مكة في عرضة فَسُرَّ المسلمون بذلك وأظهروا السرور والابتهاج حتى تشوَّش لذلك بنوا ابراهيم الذين وصلوا معه وقالوا: لم نر مثل هذا لا مع هزاع ولا جازان ولا حميضة**)(٢).

خروج الشريف حميضة وزبيد إلى جدة ثم إلى خليص في صفر ٩١٠هـ :

لما رأى الشريف حميضة أن الأمور تسير لصالح الشريف بركات وتيقن دخوله مكة مع أخيه قايتباي خرج من مكة ومعه بنو ابراهيم وزبيد كما يذكر ابن فهد الذي يقول: (**وأما حميضة فإنه توجه إلى جدة ومعه جماعة من بني ابراهيم وزبيد وتخطفوا من الأودية وَحِدًا، وتحفظ أهلها منهم لما سمعوا بهم، بل حصل بين بعضهم وبعض أهل حِدًا قتال، يقال قتل لكل منهما رجل وتحفظوا أيضا من أطراف جدة، بل يقال إنهم**

(١) بلوغ القرى، ورقة ١٤٥

(٢) بلوغ القرى، ورقة ١٤٥

أرادوا النهب فما مكّنهم من بها من بني ابراهيم، ولما سمع بتوجههم الأمير شاهين خاف على ماله بجدة فتوجه في ظهر يوم الخميس إلى جدة فوجدها سالمة، وأرسل يحي بن سبع ومالك لهم إلى خلف جدة لا يحْدِثون فيها شيئاً، وجعل لحميضة ومن معه مبلغ خمسمائة جمعت من التجار والمتسببين كل على مقداره حتى أُخِذ المحلّق والمحلّقين والثلاثا؟، ثم خرجوا بعد ذلك ونزلوا بموضع يقال له الشعبي، ثم توجه الكل وبنوا ابراهيم إلى ينبع، وزبيد إلى بلدهم، وحميضة ومن معه إلى زبيد، ثم وصل إلى ينبع وعاد إلى زبيد)[1].

زبيد والتعرض لأهل مكة في صفر سنة ٩١٠ هـ :

يقول ابن فهد: (وفي ليلة الأحد ثامن الشهر أخذ بعض الجحادلة ـ وهم من زبيد ـ بعض الرطّابة[2] من طريق الوادي فأتوا إلى بيت الشريف قايتباي وصاحوا، ففي صبيحتها توجه السيد قايتباي ومعه قواسة وأتراك إلى محل المأخذ وتبعوا جُرَّتهم ـ أي أثرهم ـ إلى أن أخذوهم في جبل ثور فأحاطوا بهم فهربوا ولم يُقبض منهم إلا رجلان أو ثلاث؟ قتل أحدهما فجاءوا برأسه فعلّق بدرب المعلاة، وشنق به أحد الرجلين أيضا، واستفدَى الثالث نفسه بثلاثمائة أشرفي ... الخ)[3].

الخِلاف بين الشريف بركات وعتيبة سنة ٩١٠هـ :

تعتبر قبائل عتيبة وخاصة النفعة وبني سعد من العربان التابعين للشريف بركات، لكن عتيبة في هذه السنة حصل منهم انتفاضة على حليفهم الشريف بركات، حيث أنه

(١) بلوغ القرى، ورقة ١٤٥

(٢) الرَّطّابة: هم الذين يجمعون الرطب من النخيل الموجودة في الأدوية خارج المدن ثم يجلبونه إلى المدن والقرى.

(٣) بلوغ القرى، ورقة ١٤٥

أرسل لهم اثنين من عبيده لجمع الزكاة فعصى عليهم العتبان وقتلوا أحدهما، ولم يكتفوا بذلك بل كاتبوا بني ابراهيم وهم خصوم الشريف بركات يحرِّضونهم على حرب الشريف بركات وأنه في قلّة، لكن الشريف قبض على مبعوث عتيبة إلى بني ابراهيم وعرف خيانتهم له فغزاهم وقتل منهم مقتلة عظيمة، وظفر بأموالهم وذلك في شهر صفر ٩١٠هـ[١].

كما غزاهم مرة أخرى في شهر جمادَى الأولى حيث يقول ابن فهد: (**وفي يوم الجمعة ثاني الشهر وصل الخبر بأن الشريف بركات غزا عتيبة وقتل منهم أزيد من أربعين نفساً وأَسَر ثلاثة من أولاد مشايخهم فأرادوا فِدَاهُم فامتنع وشنقهم، وكان قبض على جماعة منهم قبل ذلك وهم مربوطون عنده ... الخ**)[٢]. كما يذكر المؤرخ أيضا أنَّهُ حصل على العتبان مقتلة أخرى في شهر جمادَى الثانية[٣].

والغرض من ايراد هذه الخبر مع عدم علاقته بالشيخ مالك بن رومي هو فقط لمعرفة تطور الأحداث والتحالفات السياسية لأشراف مكة خلال فترة الصراع بين الأشراف ومالك بن رومي لعلاقة ذلك بنتائج هذا الصراع التي ستمر معنا.

الخلاف بين الشيخ مالك بن رومي وأخيه مشهون بن رومي في رجب سنة ٩١٠هـ:

يذكر المؤرخ ابن فهد أنه في بداية شهر رجب جاءت الأخبار إلى مكة تفيد بأن حميضة ومعه الشيخ مالك بن رومي وأتباعه من زبيد متوجهون من ينبع إلى مكة. ثم يذكر المؤرخ أنه بعد ذلك وصلت ورقة من مشهون بن رومي إلى صهره الشريف قايتباي مفادها أن مشهون سوف يعترض طريق الشريف حميضة ومالك بن رومي

(١) بلوغ القرى، ورقة ١٤٦

(٢) المصدر السابق، ورقة ١٤٦

(٣) المصدر السابق، ورقة ١٤٧

ويقاتلهم. ثم جاءت الأخبار في يوم الاثنين ثاني عشر الشهر مع بعض الزوّار المغاربة تفيد بأنهم فارقوا جموع حميضة ومالك في بدر وهم في نحو خمسين فارسا وثلاثمائة أو أربعمائة وأنهم وجدوا مشهون بن رومي في عسفان ومعه سبعة عشر فارسا ومایة راجل كما يذكر المغاربة[١].

اضطراب الأتراك ووصول حميضة ومالك بن رومي إلى مكة في شهر رجب ٩١٠هـ :

أهَلّ شهر رجب في هذه السنة والأحوال مضطربة غاية الاضطراب بسبب تنافر الأشراف والعربان وقد زادت حالة الخوف والترقب والاشاعات بسبب الأخبار التي تصل إلى مكة وجدة عن استعدادت حميضة ومالك بن رومي واقبالهم لدخول البلاد. ويذكر المؤرخ: أنه وصل إلى باش جدة ورقة من حميضة ومالك بن رومي مفادها أنهم مقبلون لكنهم جاءوا للخير ومالهم قصد ضرر ولاغيره، وتحالفوا على ذلك فأرسل للقضاة فاتفق رأيهم على أنهم يحلّفونه ويدخلون بأمان، وقد حاول الأتراك والمماليك منعهم من القدوم لكنهم وصلوا إلى عُسْفان صبح الأربعاء رابع عشر من الشهر. ثم يذكر المؤرخ ابن فهد ما خلاصته: أنه في يوم الجمعة سادس عشر من الشهر خرج الباش ومن معه من المماليك لِلقائهم والدخول معهم إلى مكة، وتحزب أكثر المماليك لأن يوقعوا بهم في الصلاة، ثم عادوا ووقفوا بالمسعى مشاة وهم بالسلاح الكامل وصاروا يمنعون كل من أراد الوقوف، وظهر الشر في وجوههم وخاف الناس الفتنة ثم منعها الله، وذلك أن المماليك أحجموا عن القتال وانسحبوا فتبعهم الناس ووقعت البلاد لحميضة ومن معه. وارتحل الباش من جدة في الجِلاَب وكثير من التجار والأعيان وارتفعت الأسعار بجدة ومكة وحصل للناس وَجَلٌ عظيم، كما يقول ابن فهد[٢].

---

(١) بلوغ القرى، ورقة ١٤٧

(٢) بلوغ القرى، ورقة ١٤٨

القتال بين حميضة والمماليك في آخر رجب ٩١٠هـ :

بعد استقرار الشريف حميضة وأتباعه في مكة فإن الهدوء لم يستمر طويلا إذ سرعان ما نشب الخلاف ثم الاقتتال بعد يومين تقريبا، وذلك أن حميضة طلب من الباش بعض المال له هو وأتباعه ليرحلوا عن مكة لكن الباش رفض، فما كان من الشريف إلا أن أمر أتباعه بركوب خيلهم وحمل سلاحهم وفعل الأتراك والمماليك كذلك وضُرِب طبل الحرب بين الطرفين، وحصل اقتتال شديد في المسجد وما حوله، لكن القتال انتهى لغير صالح الشريف وأتباعه وذلك أن المكان ليس صالحا لحرب الخيَّالة والرماة حيث حوصر مقاتلوا الشريف وبنوا ابراهيم وزبيد بأتباع المماليك والأتراك الذين يرامونهم من فوق سطوح المنازل بالنشاب والحجارة.

ويذكر ابن فهد الذي يميل في روايته إلى جانب الباش وأتباعه أنه قُتِل من أتباع حميضة حوالي ستة وثلاثين رجلا وتراجع عربان الشريف من بني ابراهيم وزبيد من جنوب مكة لكنهم نهبوا مافي طريقهم من البيوت[1].

كما يذكر المؤرخ أنهم لما خرجوا من مكة مرّوا على جدة ودخلوها ونهبوا كثيرا من بيوتها وذلك يوم الاثنين ٢٩ الشهر.

ويقول: (**ثم سافر منها بنوا ابراهيم ليلة الخميس ٣٠رجب ٩١٠هـ وزبيد في يومه، ويقال: إن مالك وحميضة وعربهما فقط نازلين قرب جدة**)[2].

ولكي نعرف مدى تحيّز المؤرخ إلى أحد طرفي القتال فإننا ننقل احدى عباراته حرفيا حيث يقول: (**وأما قتلاهم فإنهم مرميُّون بالشوارع والبيوت، وأكل الكلاب بعضهم بالليل ولم يُوَارَوا فالجزاء من جنس العمل، فإنهم فعلوا في الناس كذلك، ثم أمر الباش المعلّم عبدا لله المتقدم على الأموات بحملهم ودفنهم في حفيرة ففعل، وممن تحققنا من قتلاهم من أهل البلاد ومن بني ابراهيم الشريف زايد بن خرص العيّاشي**

---

(١) بلوغ القرى، ورقة ١٤٨

(٢) بلوغ القرى، ورقة ١٤٩

المقتول بالمسجد، والشريف محمد بن علي بن كوير من القرون، وهجان بن دَرَّاج ومن غيرهم، ويقال فيهم الجراح كثير فإن الدم موجود معهم من مكة إلى بركة الماجن ويقال حملوا معهم من المجروحين نحو الستين، وا لله يجعل في ذلك موتهم)[1].

الشريف حميضة يتوجه مع مالك بن رومي إلى خليص في آخر رجب ٩١٠هـ :

يذكر المؤرخ ابن فهد أنه بعد القتال السابق وخروج الشريف حميضة وأتباعه من مكة جاءت الأخبار بأن الشريف حميضة توجه مع مالك بن رومي إلى بلده. ثم جاءت مراسيم جديدة من السلطان مع السيد عِرَار بن عِجْل النمَوِي بترسيم الشريف بركات أو أخوه قايتباي في مكة، وأنهما واصلان في عساكر كثيرة.

ثم يذكر ابن فهد أن الشريف قايتباي بن محمد بن بركات دخل مكة ثم بدأ بجمع الأموال من أهل مكة من التجار والبزَّارين والمتسببين والمنسوبين للغنى، وذلك في يوم الثلاثاء ثامن الشهر، وشرع في تحصين مكة وتجديد أبواب مداخلها تحسبا من رجوع حميضة وأتباعه إليها[2].

المماليك يحاولون قتل مشهون بن رومي ومنع زبيد من دخول جدة في شعبان ٩١٠هـ :

يذكر المؤرخ ابن فهد أنه في يوم ١٩شعبان سنة ٩١٠هـ توجه بعض المماليك من مكة إلى جدة وصادفوا ثلاثة من أتباع الشريف قايتباي فقتلوهم ظنا منهم أنهم من زبيد، ثم يقول: **(ثم اجتمعوا بالشريف قايتباي في جدة وقالوا له: لا يمكن أن نجتمع نحن وزبيد وبنوا ابراهيم، وأرادوا قتل مشهون وهو في فريق الشريف فركب فرسه**

---

(١) بلوغ القرى، ورقة ١٤٩

(٢) بلوغ القرى، ورقة ١٤٩

ونجا. فقال لهم الشريف: البلاد ما تعمر إلا بحفظ الطريق وهؤلاء مصالحون؟، و لما جاء مكة تكلم الناس في ذلك ومنع الترك والخواجا شمس الدين القاريء الميرة من جدة لزبيد وأهل الشام)[1].

أقول: وسوف نرى أن هذا التصرف غير الموفّق من الخواجا شمس الدين قد جَرَّ عليه كثيراً من المصائب والويلات، حيث جلب عليه عداء الشيخ مالك بن رومي وقبيلة زبيد فانتقموا منه انتقاماً موجعاً كما سيأتي تفصيله.

المطالبة بالسماح لزبيد بالامتيار من جدة، في شعبان ٩١٠هـ :

يذكر المؤرخ ابن فهد أنه وصلت أوراق من يحي بن سبع صاحب ينبع إلى الأميرين التركي والمملوكي والخواجا القاريء كبير التجار وربما إلى الشريف قايتباي، وفيها أن مشايخ بني ابراهيم حلفوا على الطاعة وأنهم طايعين للسلطان وأنكم تمنعون الترك من التشويش بجدة على بني ابراهيم وزبيد، ولا تمنعونهم من الميرة، وأنكم تردُّون الخيل والدروع التي أخذها الترك منهم[2].

إشاعة موت مالك بن رومي وتحامل المؤرخ في ذي القعدة ٩١٠هـ :

يقول المؤرخ ابن فهد في بلوغ القرى: **(وفي يوم الثلاثاء عاشر الشهر أشيع بمكة موت مالك بن رومي ولم يصح إلا ابن له ويقال أيضا أنه في التلاف، وا لله يحقق له ذلك ويعجِّل بمصارع جميع البغاة)**[3].

---

(١) بلوغ القرى، ورقة ١٥٠

(٢) بلوغ القرى، ورقة ١٥١

(٣) بلوغ القرى، ورقة ١٥٢

أقول: ومرة أخرى يكشف ابن فهد عن مدى حقده وعدائه لشيخ زبيد مالك بن رومي الذي يؤرخ له، مما يحتم علينا أن لا نغفل عن حقيقة التحيز ضد هذا الشيخ خصوصا ولقبيلة حرب عموما من جانب مؤرخي الأشراف الذين ننقل عنهم تاريخ هذه القبيلة التي نعتمد على مصادر أعدائها في معرفة تاريخها!

زبيد والحج الشامي في ذي الحجة ٩١٠هـ :

يأتي هذا الخبر كدليل على استمرار الاضطراب في منطقة الحرمين بسبب العلاقة المتدهورة بين قبائل حرب من جهة وبين الأشراف وأمراء الحج من جهة أخرى، حيث يذكر المؤرخ ابن فهد أنه بعد انتهاء موسم الحج في هذه السنة كان أمير الحج الشامي متخوفاً من زبيد، فتأخروا بمكة بعد المصري أياماً كثيرة على غير العادة إلى يوم الثلاثاء عشرين الشهر، وفي سفره اعترضه عربان زبيد فأرضاهم أمير الحج الشامي أبو قورة بألف دينار ونُهِبَ بعض مَن معه، ثم لما وصل إلى نواحي بدر فرَّق على عربان حرب حوالي ثلاثة عشرة ألف دينارا(١).

زبيد يختطفون كبير التجار في جدة في ربيع الثاني ٩١١هـ :

مَرَّ معنا في حوادث شهر شعبان سنة ٩١٠هـ أن كبير التجار في جدة الخواجا شمس الدين محمد بن يوسف القاريء قد سَعَى إلى منع زبيد من الامتيار من جدة، ويبدو أن هذا الخواجا لم يحسِبْ حساباً لردّة فِعْل عربان زبيد وشيخهم مالك بن رومي، ولهذا فقد دفع الثمن باهظا لهذه المجازفة الخطيرة. وقد ذكر هذه الحادثة عدد من المؤرخين لكن ابن فهد أورد تفاصيل أكثر عنها(٢). فقد ذكر أنه في ليلة السبت حادي عشر من شهر ربيع

---

(١) بلوغ القرى، ورقة ١٥٣

(٢) بلوغ القِرَى، ورقة ١٥٧، وأعلام الحجاز، تأليف: محمد علي مغربي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠هـ، ج٣، ص١٤٩

الثانية لسنة ٩١١هـ جاء فارس من زبيد إلى جدة وقصد بيت الخواجا محمد بن يوسف القاريء فوجده خارج منزله فنزل له وأرغمه على الركوب على الفرس وخرج به من جدة وتوجه به إلى مضارب زبيد في جنح الظلام!

ويضيف ابن فهد: أن أهل جدة لما سمعوا بالخبر خرج بعضهم في الحال في أثر مختطفي الخواجا، لكنهم لم يتمكّنوا من تخليصه، بل قُتِلَ واحدٌ منهم أثناء مناوشتهم مع مختطف الخواجا: **(وتشوَّش الباش لذلك كثيرا، وفي صبيحتها أرسل كل واحد من الأميرين دويداره إلى الشريفين بركات وقايتباي يخبرونهما بذلك ويطلبون إلى مكة السيد قايتباي، وعَيَّن الباش خمسة وعشرين مملوكا يذهبون لجدة فتوجه بعضهم في يومه وباقيهم ثاني تاريخه يوم الاثنين. وفي يوم الاثنين جاء قاصد الشريف إلى الباش قبل أن يصل إليه القُصّاد الذين ذهبوا له يخبر بأنه بلغه مَسْك الخواجا وأنه أرسل الشريف حمزة النمَوي إلى زبيد)**[1].

ثم يذكر المؤلف أنه في يوم الثلاثاء التالي وصلت إلى الباشِ وكبارِ أهل جدة ورقةٌ من الخواجا وهو عند زبيد يقول فيها: **(إنهم عصَروا على يَدِي وأظنها تلفت وطلبوا مني عشرين ألف، والمقصود أنكم ترسلون لي بألفين ومايه وتعطون حاملها خمسة أشرفية وتشهدون عليه بذلك، وبيني وبينهم ستة أيام فا لله ا لله أرسلوا لي المبلغ تستلفونه لي .. الخ)**[2].

ويضيف المؤلف ما مفاده: **(أنه في آخر الشهر جاء قاصد الشريفين بركات وقايتباي وهو حمزة النمَوي وأخبرهما أن مالك بن رومي طلب لاطلاق سراح الخواجا أن يكون له وَرْبُ**[3] **جدة، فأعاد الشريفُ بركات حمزةَ إلى مالك، وكان قد ارتحل هو وجماعته من مكانهم تحسُّباً لمهاجمة الأشراف لهم. ثم تهيأ الشريف بركات**

---

(١) بلوغ القرى، ورقة ١٥٧

(٢) المصدر السابق، نفس الورقة.

(٣) ورب جدة: الورب نوع من المكس أو الضريبة.

والباش والأتراك وجميع أهل مكة والعرب التابعين لهم وجمعوا عدداً كبيراً من الجِمَال من عربان بني جابر من هذيل ومن بني لَحْيَان وخزاعة وقريش، ثم اتفقوا على الخروج لقتال مالك وذلك يوم الخميس الثالث من شهر جمادى الأولى ٩١١هـ)(١).

ثم يفيد ابن فهد أن تلك الحشود اجتمعت خارج مكة، وبعد أَخْذِ وَرَدٍّ سار الأمير شاهين ومعه الترك والشريف قايتباي إلى جهة زبيد وذلك يوم الجمعة سابع الشهر وفي اليوم التالي تبعهم الشريف بركات في عسكره وأتباعه من أهل مكة وعربانها وسار الجميع غازين زبيداً.

الجيوش الخارجة لقتال زبيد تأخذ قافلة لِمُعَبّد سنة ٩١١هـ :

يذكر ابن فهد أن الأخبار المتضاربة التي بدأت تصل إلى مكة وجدة عن أخبار هذا الغزو قد أفادت بأخبار منها: أنهم صادفوا قافلة لقبيلة مُعبَّد من بني عمرو من حرب وأخذوها، كما أنهم أخذوا بعض الابل في طريقهم، ثم وصلوا إلى عُسْفان ثم إلى خليص ثم إلى زبيد و لم يجدوا إلاّ مكانهم، وذلك أن أتباع الشيخ مالك بن رومي خرجوا بأنفسهم وأموالهم استعداداً لقتال الأشراف كما مر معنا. ثم يذكر المؤرخ أن هذه الجيوش استمرت في إثرهم إلى أن اقتربت من جبل صُبْح قرب المدينة. وبعث الشريف بركات أوراقاً إلى يحي بن سبع صاحب ينبع وإلى السيد فارس بن شامان الحسيني صاحب المدينة وإلى أهل خيبر يقول لهم: **(إني تبعت غريم السلطان وأنه هرب ومعه تاجر السلطان فإن جاءكم فاحتفظوا به وا لله أعلم**(٢). **ثم رجعت الجيوش إلى مكة ووصل أولهم يوم السبت السادس والعشرين الشهر)**(٣).

---

(١) المصدر السابق، نفس الورقة.

(٢) بلوغ القرى، ورقة ١٥٨

(٣) المقصود: شهر جمادَى الأولى من سنة ٩١١هـ.

أقول: ويبدو من سياق هذه الأخبار أن هذه القوات عادت إلى مكة دون أن تحقق هدفها المتمثل في اطلاق سراح كبير التجار!

الشريف بركات يخرج إلى زبيد في شعبان ٩١١هـ :

يذكر ابن فهد ضمن أخبار شعبان من سنة ٩١١هـ أن الشريف بركات والأمير شاهين خرجا للاجتماع بزبيد الذين أقبلوا إلى خليص كما أسلفنا، حيث يقول: (**فإنه سافر - أي الشريف بركات - من جدة للاجتماع بزبيد لأجل خَلاَص القاريء وكانوا قربوا إلى خليص ثم حصل لهم ما أوجب الرجوع إلى أهلهم ... الخ**)[1].

ثم يفيد أيضا أن الشريف وعسكره وصلوا لجدة لعدم الاتفاق مع زبيد ويبدو أن الشريف بركات لم يَجْنِ من هذا الخروج سِوَى إتاحة الفرصة لبعض عربان عتيبة لمهاجمة مكة وبعض نواحيها[2].

استمرار المفاوضات مع زبيد إلى شوال من سنة ٩١١هـ :

يذكر المؤرخ ابن فهد أنه في ليلة الخميس الثالث من رمضان سنة ٩١١هـ وصلت للأمير شاهين وللخواجة شمس الدين الحَمَوي ولغيرهما من التجار أوراق من الخواجا شمس الدين محمد بن يوسف القاريء يسألهم ارسال المال الذي اتفق عليه هو وزبيد ليعطيه لهم وهو ثمانية آلاف دينار . ويفيد بعد ذلك أن كبار تجار مكة جمعوا المبلغ المطلوب: (**فأراد السفرَ الأميرُ شاهين فتوقف لأنه سمع أن زبيداً أقبلوا إلى خليص في عسكر كثير نحو الخمسمائة راجل وثلاثين فارسا**)[3].

---

(١) بلوغ القرى، ورقة ١٦٠

(٢) المصدر السابق، ورقة ١٦٠

(٣) بلوغ القرى، ورقة ١٥٩

ويذكر ابن فهد أيضا: (**أنه في بداية شهر رمضان وصل إلى زبيد السيد الظاهر الابراهيمي وطلب منهم اطلاق سراح الخواجا شمس الدين مقابل شيء من المال، ولم يحصل بينهم اتفاق. كما وصلهم ورقة من أحد الأعيان وهو الشهاب أحمد الهندي بطلبه أيضا وأن المال حاضر عنده**)[1].

الافراج عن كبير التجار مقابل عشرة آلاف دينار في شوال ٩١١هـ :

يبدوا من سياق الأخبار التاريخية أنه قد تم التوصل إلى اتفاق مع زبيد لاطلاق سراح الخواجا وذلك في شهر شوال من نفس السنة حيث يذكر المؤرخ ابن فهد أنه: (**في يوم الجمعة سابع عشر الشهر وصل اثنان إلى مكة من المدينة الشريفة أحدهما شريف مدني والآخر زُبَيْدي وأخبرا بوصول القاريء معهما ومعه علي من سلسلة الشريف المدني الذي سعى في خلاصه بتحصيل المال واعطائه مالك بن رومي بالمدينة، ويقال إن فكاكه بنحو الثمانية آلاف دينار، فَسُرَّ الناس بذلك ، ويقال إنها تصل للعشرة بالكسوة وغيره، وا لله أعلم**)[2].

وأرى أنه لا تعارض بين هذا الخبر وبين ما ذكره محمد علي مغربي أن كبير التجار مكث عند زبيد إلى أن اشترى نفسه بثلاثين ألف درهم، فرَدُّوه إلى مكة بعد أن استوفوا هذا القدر منه[3].

وهكذا يتضح أن احتجاز كبير التجار قد امتد إلى أكثر من خمسة أشهر حيث تم اختطافه في ٩١١/٤/١١هـ ولم يصل إلى جدة إلاّ في منتصف شوال من نفس السنة!

---

(١) الصدر السابق، ورقة ١٦٠

(٢) المصدر السابق، ورقة ١٦٢

(٣) أعلام الحجاز ـ تأليف، محمد علي مغربي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، ج٣ ص١٤٩

من أخبار زبيد في جمادى الآخرة ورجب ٩١١هـ :

يقول ابن فهد في تاريخه: **(وفي ليلة السبت عاشر الشهر سمعنا أن الشريف بركات بن محمد توجه في جماعة من عسكره خيَّالة ومردفين إلى عرب زبيد ليأخذوهم، فلما صبَّحهم وجدهم مأخذوين أخذهم مقرظ؟ بن مالك في اليوم الذي قبل تصبيحه، وعاد بلا شيء)**(١).

أقول: ولعلّ ابن فهد هنا يقصد فريقا من زبيد وليس زبيد جماعة الشيخ مالك بن رومي لأن مقرض أضعف من أن يأخذهم كما أنه من المستبعد أن يأخذ أتباع أخيه خاصة وأن سياق الأخبار السابقة لم يذكر أيَّ اشارة إلى وجود خلاف بين الأخوين، بل تفيد الأخبار أن الأخوين قُتِلاَ معا من قبل القوات السلطانية مما يدل على أنهما كانا يدا واحدة، كما سيأتي في خبر مقتل الشيخ مالك بن رومي!

كما يذكر أيضا أن فريقا من زبيد جاءوا إلى جدة في أول رجب ٩١١هـ وصادفوا قافلة لأهل جدة فحصل بينهم وبين القافلة مناوشة فقدت القافلة فيها رجلا أو رجلين وثلاثة جمال. وقد حاول الشريفان بركات وأخوه قايتباي تتبع جماعة زبيد لكنهما لم يظفرا بهم.

وفي اليوم التالي كما يقول المؤرخ جاء إلى مكة جماعة من عرب مطير للتبضع وأثناء خروجهم عائدين إلى بلادهم أغرَى الباش بعض أهل الشر بأخذهم وحرّضهم عليهم مُدَّعِياً أنهم من زبيد، فخرج في إثرهم بعد المغرب بعض العسكر فقتلوا منهم واحدا أو اثنين وأخذ العسكر شيئا مما معهم، وهذا فساد كبير، كما يقول ابن فهد(٢).

من أخبار زبيد في شهر ربيع الثاني سنة ٩١٢هـ :

يقول المؤرخ ابن فهد: **(أَهَلَّ ربيع الثاني ليلة الجمعة سنة ٩١٢هـ، وفي ليلتها**

---

(١) بلوغ القرى ، ورقة ١٥٨

(٢) المصدر السابق ، ورقة ١٥٩

وصلت قافلة المدينة التي كانت توجهت إليها وغالبهم المغاربة بعد أن نهبهم مالك ومعه جماعة قليل بين رابغ ومستورة، وكان معهم سبعة وثلاثون جَمَلاً فأخذها وما عليها وما على الركبة، ثم أعاد لهم أربعة جمال والقِرَب، وتوجه أهل الجمال مع مالك، لعله لافتداء جمالهم .... الخ)[1].

وقال أيضا: (وفي هذا الشهر سافر بَحْراً من جدة إلى الطور نحو خمسة وعشرين جَلَبة[2] ومرْوَساً وغيرهما ووَصَّوا أن لايدخلوا ينبعاً، فانكسر بعض الجِلاَب عند رابغ على شعاف فَسَلِمُوا إلاَّ أن زبيداً جاءوهم وأرادوا أخذهم فرجع مصر؟ فيقاتلوا معهم[3]، وفزع زبيد بجماعتهم فكثروا فحمل الرجال في المراكب الذي فرّغ لهم، وأخذوا زبيدٌ الحِمْل وفيه شيء للسلطان فسلم نحو سبع بِكَر، فعادوا بهم مع الرجال، ومع فعلهم هذا سأل شيخ زبيد نايب جدة في الصلح فشاوروا السيد بركات، فقال: بشرط أن يردوا ما أخذوه من الخواجا القاريء ويعطون الفرس والدرع، فلما سمع مالك بن رومي سَبَّ وخدَع وسافَهَ، وا لله يوقعه)[4].

الشريف قايتباي يغزو زبيدا في ذي القعدة ٩١٢هـ :

وقال في أخبار شهر ذي القعدة سنة ٩١٢هـ: (وفي يوم الاثنين رابع عشر الشهر جاء الخبر أن الشريف قايتباي غزا زبيدا). وقال أيضا: (وفي يوم الجمعة ثامن عشر الشهر وصل قايتباي بن محمد بن بركات إلى مكة وصَلّى مع الناس الجمعة، وكنا سمعنا بمَسْكِهِ لبعض زبيد ولم يصح)[5].

---

(١) بلوغ القرى، ورقة ١٦٦

(٢) جلبة: وجمعها جلاَب نوع من المراكب التجارية الصغيرة.

(٣) يبدو أن هنا كلاماً ساقطاً من نسخة المخطوطة حيث لا يستقيم المعنى في هذه الصيغة.

(٤) بلوغ القرى، ورقة ١٦٦

(٥) بلوغ القرى، ورقة ١٧٠

الفصل الثالث

****

القضاء على مشيخة مالك بن رومي الزبيدي

ـ مقدمة

ـ أخبار القوات السلطانية المجهزة لقتال شيخ زبيد

ـ أمير ينبع يتحالف مع شيخ زبيد

ـ بداية الصدام بين الطرفين

ـ مقتل الشيخ مالك بن رومي وأعيان أسرته

الفصل الثالث
القضاء على مشيخة مالك بن رومي الزبيدي

مقدمة :

لقد أدت القوة المتنامية لشيخ زبيد وما نتج عنها من تدخلات سياسية خطيرة في شؤون ولاية الحجاز، ومعارضة متزايدة من قبل هذا الشيخ للأشراف وللسلطان في مصر ابتداء من وفاة الشريف محمد بن بركات سنة ٩٠٣هـ، إلى تطور الخلاف بين الدولة وبين مالك بن رومي وعربانه، وتصميم السلطان على كسر شوكة هذا الشيخ المشاكس للسلطان والقضاء على قوته الكبيرة التي باتت تهدد مصالح السلطان وأتباعه.

وقد تبلور هذا التوجه السلطاني إلى تنفيذ فِعْلي، حيث بدأت الدولة ابتداء من سنة ٩١٠هـ تجهّز الجيوش وتجنّد الجنود لحرب مالك بن رومي وقبيلة زبيد ومن دار في فلكها من قبائل حرب. وقد اجتهد السلطان المملوكي في اعداد هذه القوة الجبارة اعدادا قويا من حيث نوعية التسليح ومن حيث حجم تلك القوات التي استخدمت فيها أسلحة متطورة جدا في معايير ذلك العصر مثل المدافع التي استخدمت لأول مرة في تلك الحقبة التاريخية(١). ولا شك أن حجم هذه القوات وطول فترة اعدادها يظهران لنا مدَى قوة شيخ زبيد وحلفائه، حيث استغرقت عملية القضاء على ابن رومي حوالي ثلاث سنوات قضتها دولة المماليك في اعداد الجيوش وتجهيز القوات اللازمة لهذه المهمة من الشام ومصر والحجاز والجزيرة العربية، كما سيأتي.

---

(١) بلاد ينبع، تأليف: الشيخ حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، ص ٦٠

أخبار القوات السلطانية المجهزة لقتال شيخ زبيد وحلفائه : (أخبار التجريدة) :

مع أن عددا من المصادر التاريخية أوردت شيئا عن أخبار القوات السلطانية الموجهة للحجاز لقتال المناوئين للسلطان، إلاّ أن ابن فهد وهو القريب من تلك الحوادث والمعاصر لها، قد أورد تفاصيل أدق عن بداية هذه الحملة وعن تحركها من مصر حتى انتهاء مهمتها، حيث يذكر في حوادث شهر شوال سنة ٩١٠هـ: أنه جاء في الأخبار التي وردت من مصر: (**أن التجريدة عَمَّالة ويقال أنها خمسماية مملوك، وأنه أنعم على هجار بن دراج**[1] **بخمساية قواس وأن يكون أميراً على ينبع، وأن السلطان أرسل في مايتي مملوك ليكونوا باشا بمكة بدَل من بها**).

ويضيف في موضع آخر: (**ثم سمعنا أن التجريدة غير هذا وأنها ثمان مئة وفي خبر آخر أنها ألفان، وأن معهم ابن لقر؟** [هكذا] **بأهله وعسكره ، وأنه نازل بينبع**)[2].

وفي أخبار شهر رجب ٩١١هـ يذكر ابن فهد أنه وصلت من مصر أوراق تفيد: (**أن التجريدة محققة وأنها خارجة من مصر ثاني رجب أو رابعه، وهي ألف وخمسمائة والله يحققها ويهلك الباغين**)[3].

وذكر في موضع آخر أن أخباراً وصلت من المدينة تفيد: (**أن التجريدة بِنِيّة الخروج بعد عيد الأضحى وأن مقدّمَها خيربك كاشف المحلة، وأن الواصلة من جهة الشام مقدمها الغزالي وأن هجار بن دَرّاج ولي الينبع وأُلبس في ثالث شهر شوال الخِلْعة وهو بنية الخروج إلى محل ولايته بين يدي التجريدة. وقد انقطع الواصل من جهة ينبع من حين تلك الحركة من السلاتي؟ واشتد الحال على الناس جداً مع عدم**

---

(١) تقدم معنا اسم هجان بن دَرَّاج وأنه من القتلى في حوادث مكة في شهر رجب سنة ٩١٠هـ، ويبدو أنه أخو هجار بن دراج هذا، وهما من أشراف ينبع.

(٢) بلوغ القرى، ورقة ١٥٢

(٣) المصدر السابق، ورقة ١٥٩

الدّرهم بالمرّة الكافية، وحصلت حركة بين الأشراف الوحامدة وأحلافهم الظوالم والعياشا ومن الأشراف التمّارة وأحلافهم البدور والجياسرة؟ ومن انضم إليهم من ....؟[1] **أمير المدينة الشريفة أفضت إلى مقاتلة، قتل من الفريقين ثلاثة أنفس اثنان من الوحامدة وهما شريف يسمَّى علي بن أحمد بن عامر وشريف يسمى أحمد بن نفير ومن التمارة شريف يسمى محمد بن حيل؟ والجراحات كثيرة في الفريقين والناس في فتن كثيرة حمانا الله وإياكم)**[2].

كما يذكر أيضاً أن الذين وصلوا من مصر في شهر رمضان ٩١١هـ أخبروا: **(أن التجريدة عمّالة وهي واصلة في الموسم بلا حج، ومقدّمها المقدّمان خير بك الكاشف، ومالي بك الخزندار)**[3].

كما يذكر الشيخ حمد الجاسر نقلا عن بدائع الزهور: **(وفي شهر رجب ـ سنة ٩١٢هـ ـ خرجت القوة الموجهة إلى الحجاز بقيادة خاير بك كاشف الغربية، وقد جهزت تجهيزا كاملاً، وكان فيها من المماليك السلطانية وحدهم نحواً من خمسمائة مملوك، وفيها من الأمراء نحو عشرين أميراً)**[4].

ثم يذكر المؤرخ ابن فهد في أخبار جمادَى الثانية سنة ٩١٢هـ: أن الأخبار التي وصلت من مصر تفيد بأن التجريدة سوف تخرج من مصر في جمادَى الثانية أو في رجب من نفس السنة ومعها المحمل والحجاج[5].

ويستفاد من المصادر التاريخية أن القوات القادمة من مصر بقيادة خير بك الكاشف وصُحبة هجار بن دراج وصلت إلى ينبع في آخر شهر شعبان سنة ٩١٢هـ ثم تكامل

---

(١) هنا كلمة غير واضحة في المخطوطة. وكذلك جميع الكلمات المنتهية بعلامة استفهام.

(٢) بلوغ القرى، ورقة ١٦٤

(٣) المصدر السابق، ورقة ١٦٠، وبلاد ينبع، للشيخ حمد الجاسر، ص٦٠

(٤) بلاد ينبع، مصدر سابق، ص ٦٠، والدرر الفرائد المنظمة، للجزيري، ص ٣٥٦، وبدائع الزهور، لابن إياس، ٤/١٠١

(٥) المصدر السابق، ورقة ١٦٧

(صورة للورقة رقم ١٦٤ من مخطوطة بلوغ القرى)

وصولها في شهر رمضان، كما أنها اِلْتَقت مع القوات المرسَلة من الشام بقيادة الباش الغزالي، كما سنرى تفاصيل ذلك في حوادث تلك الفترة[1].

صاحب ينبع يتحالف مع مالك بن رومي في ذي القعدة ٩١١هـ :

كان أتباع الشريف بركات على خلاف مع السيد يحي بن سبع حاكم ينبع وذلك لعلاقته مع شيخ حرب مالك بن رومي الزبيدي، ولذلك فقد نجحوا في التأثير على السلطان الذي أصدر مرسوما بتعيين حاكم آخر على ينبع هو السيد هجار بن درّاج وخَلْع يحي بن سبع الذي ما إن تحقق من صحة هذه الأخبار حتى سارع إلى طلب الشيخ مالك بن رومي والتحالف معه واعلان التمرد على السلطان. يقول ابن فهد في حوادث شهر ذي القعدة سنة ٩١١هـ وهو يتكلم عن أهل ينبع أتباع يحي بن سبع: **(وأنهم أرسلوا لمالك وهم في مخشوش[2] يطلبون الاجتماع معه والاتفاق على ما يفعلونه)**[3].

ويقول عن ذلك أيضا: **(وفي ليلة الأحد رابع عشرين الشهر وصل كتَابٌ من السيد بركات للأمير الباش بكباي وفيه أنه وصله زبيدي كان بينبع وأخبر أن ورقة يحي بن سبع وصلت لبني ابراهيم أنه تحقق ولاية هجار بن درّاج لينبع وأن ما تم حُجّاج، وأن التجريدة ما توافي إلاَّ في العيد الكبير وأن القرون؟ جماعة ظاهر فرحوا بولاية هجار بن دراج لينبع وضربوا الطبلخان وتشوّش الناس لتبطيل الحجاج خصوصا المجاورين؟ والمتسببون والتجار وأهل الضرر وبالله المستعان وعليه الخلَف)**[4].

---

(١) بلاد ينبع، تأليف الشيخ حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ص٥٩ نقلاً عن بدائع الزهور. وبلوغ القرى، لابن فهد، ورقة ١٦٩

(٢) مخشوش: موضع قديم يقع إلى الجنوب الغربي من بدر بينها وبين الرايس، (مجلة العرب س٨ ص٨٦٥)

(٣) بلوغ القرى، ورقة ١٦٣، وبلاد ينبع للشيخ حمد الجاسر، ص٥٩، والدّرر الفرائد المنظمة في طرق الحج ومكة المعظمة، للشيخ عبدالقادر الجزيري ص٣٤٨

(٤) المصدر السابق، ورقة ١٦٣

بداية الصّدام بين القوات السلطانية وزبيد في شهري شعبان ورمضان سنة ٩١٢هـ :

بعد أن تكامل وصول القوات السلطانية المرسَلة من مصر والشام إلى ينبع والتقائها بالقوات الحجازية اتحدت هذه القوة الهائلة وبدأت المواجهة العنيفة بين الفريقين ابتداء من شهر شعبان من عام ٩١٢هـ.

يقول ابن فهد: (**وفي ليلة الخميس الثاني والعشرين**[١] **الشهر وصل إلى الشريف ورقة من الشريف هجار بن دراج أو من الأمير خير بك الكاشف مقدم التجريدة أنهم وصلوا إلى ينبع ويقال أنهم تلاقوا مع بعض بني ابراهيم وقتل بعضهم وهرب الباقون وأنهم نهبوا ما لقوه وحرّقوا نخيلهم ولم نتحقق شيئا، ويقال أن زبيداً رجعوا إلى بلادهم ومعهم حميضة وملحم وأن بني ابراهيم بعضهم طلع إلى رَضْوَى وبعضهم توجه إلى جهة العُلاَ، وأنهم أرسلوا إلى خلف هولاء عرب الشرقية وبعض عرب درّاج وهم يستنجزون الشريف والعسكر الذي بمكة وجدة ليحاصروا الذين برضوَى وا لله يأخذهم أخذ عزيز مقتدر**)[٢].

وأورد في خبر آخر عن هذه الوقعة وهو يشير إلى الأخبار التي وردت مع بعض الذين وصلوا إلى مكة في أول رمضان مع المماليك الواصلين مع التجريدة: (**وأخبروا وكذا في الأوراق أن التجريدة قصدت بني ابراهيم إلى محلهم وهم لا يشعرون بمجيئهم واقتتلوا فانكسر بنوا ابراهيم بعد مقتلة كبيرة منهم وهرب الباقون، ولولا الليل حجز بينهم لَمَا نجا منهم أحد وا لله يظفرهم بالباقين، ولا ينجي منهم أحدا واشتركوا على جميع ماالهم من نساء وأولاد ورقيق ومال وأثاث ومأكول، ويقال إن المقتولين منهم أكثر من ثلاثمائة، ونرجوا من ا لله أن يسمعنا عن باقيهم ما يسر وهذا**

---

(١) ورد في نسخة المخطوطة: الثاني عشر، والصحيح أنه الثاني والعشرين، حيث أن الخميس يوافق هذا التاريخ ولا يوافق الثاني عشر، ويبدوا أن ذلك سهواً من الناسخ.

(٢) بلوغ القرى، ورقة ١٦٩

المرجو من فضل الله، وبيع المنهوب برخص حتى أني رأيت في بعض الأوراق أن البيت بيع بثلاثة عشر مُحَلَّقاً)[1].

ثم يذكر المؤرخ بعد ذلك أن عدداً من رؤوس المقتولين بعثت إلى السلطان في مصر. وقال عن خبر تلك الواقعة أيضا: **(وهي أن بني ابراهيم سمعوا أن الشريف بركات لم يواجه باش التجريدة وأن بعضهم سافر لمكة وبعضهم للمدينة وبعضهم بالساحل بينبع الصغير وأن العسكر في قلة ، فعزموا على كبس التجريدة لكونهم في قلة، فجاءوا إلى التجريدة في نحو سبعين فرسا وألف رجل، فجاء الخبر للسيد هجار بن درّاج متولي ينبع فتأهب لهم وأرسل للسيد بركات وهو بالدهناء**[2] **فلم يصدق؟ ثم جاء ثاني فلم يصدق، ثم دهَمُوا ابن دراج يوم الثلاثاء ثاني الشهر** ـ شوال ـ **أو اليوم الذي يليه ظهرا أو عصرا فوقع القتال بينهم فتلاحق العسكر أهل التجريدة ففر أهل الخيل وتلاحق بعضهم واقتلع بعض الخيل ووقع القتل في الرجال كثيرا ولم ينج منهم إلا القليل، ثم جاء السيد بركات وعسكره فوجدوهم منهزمين فقتلوا الهاجرين؟**[3] **ولولا الليل لم يبق منهم أحد، وكذا الترك لم يعرفوا أصحابهم من العرب من بني ابراهيم فوقعوا فيهم فتراجع العرب خوفا من الترك ولولاهم لما تَرَكَتْ خيلُهم خيلَ المنهزمين، وكان مع بني ابراهيم يحي بن سبع وولده ملحم وابن أخيه عبدا لله بن محمد بن سعود، فهربوا إلا عبدا لله فقتل وقامت النايحة عليه بمكة. ثم سكتوا خوفاً عليهم من الترك ولم نسمع إلى الآن بأحد من المقتولين، وفي نية التجريدة التوجه خلف المنهزمين إلى محلّهم فإنهم سمعوا أن جماعتهم وحلّتهم عند عرب بكر ليسوا بعيدين، فا لله يظفر بهم)**[4].

---

(١) بلوغ القرى، ورقة ١٦٩

(٢) الدهناء: موضع شرق ينبع، وليست دهناء نجد.

(٣) هكذا في المخطوطة .

(٤) بلوغ القرى، ورقة ١٧٠

ويذكر المؤرخ أيضا أنه في الثاني والعشرين من رمضان وصل السيد بركات إلى ينبع والتقى مع أمير التجريدة الذي ألبسه خلعة وأخبره أنه تحت أمرة السيد بركات حسب توجيه السلطان[1].

وقال المؤرخ أيضا نقلا عن بعض الواصلين إلى مكة من المدينة الشريفة أنهم: **(وجدوا بالطريق السيد بركات والباش بكباي وأخبروا أنهم قتلوا زبيدا ونهبوا أموالهم وسبوا أولادهم وحريمهم وانهم قتلوا منهم مائة فأكثر، وأمروهم أن يبشّروا أهل مكة بذلك و لله الحمد على ذلك).**

ويَصِف ابن إياس في بدائع الزهور القتال بين القوات السلطانية وخصومها والتي تسميها بعض المصادر معركة السُّوَيْق، مشيرا إلى انضمام جيش الحجاز بقيادة أشراف مكة إلى القوات السلطانية، فيقول: **(فلما مضى شهر رمضان ودخل شوال حضر الشريف بركات أمير مكة وحضر أخوه قايتباي وحضر معهما من العربان نحو ألف انسان، فركب الأمير خاير باش العسكر ووزع تلك العربان وأكمنهم في مواضع متفرقة، فلما وصل العسكر إلى مكان يسمى السُّوَيْق بالقرب من ينبع أتى إليهم يحي بن سبع وقد اِلتَفّ عليه مالك بن رومي أمير خليص وأمير المدينة، وحميضة أخو الشريف أحمد الجازاني، فتواقعوا هناك وقعة مهولة، قُتِل بها من العربان ما لا يحصَى ومن الأتراك أيضا. فلم تكن إلاّ ساعة يسيرة وقد انكسر يحي بن سبع ومن كان معه من العربان، فلمّا انهزموا خرجت عليهم الأكمنة التي أكمنها الأمير خاير فأحاطوا بهم ولم ينْجُ منهم إلا القليل، بعدما قُتِل منهم نحو ثمانمائة وأُسِر منهم قدر ذلك. وجُرِحَ في هذه الوقعة الشريف بركات أمير مكة في وجهه)**[2].

(١) بلوغ القرى، ورقة ١٦٩ ومابعدها .

(٢) بلاد ينبع، ص ٦٢، والدرر الفرائد، ص٧٩١

مساندة شيخ الأحساء للشريف في حرب يحي بن سبع ومالك بن رومي ذي الحجة ٩١٢هـ :

أشارت بعض المصادر التاريخية الحجازية إلى خبر مشاركة حاكم الأحساء والقطيف ومساندته للقوات المعادية لمالك بن رومي ويحي بن سبع، فذكرت تلك المصادر أن صاحب الأحساء جاء على رأس جيش كبير اختلف في تقديره لكن أكثر المصادر تنص على أنه يبلغ ثلاثين ألف، وقد أورد ابن فهد خبر وصول شيخ الأحساء في يوم الثلاثاء سابع الشهر حيث يقول: **(وفي هذا اليوم أو ثانيه وصل الشيخ محمد بن أجود بن زامل وولده وابن أخيه مقرن بن زامل وابن عم أبيهم صالح وغيرهم من أهلهم وجماعتهم وهم فيما يقال نحو الثلاثين ألفا أو خمسين أو ستين أو مائة وا لله أعلم من المدينة)**[١].

أما المؤرخ ابن فرج فيذكر أن الشريف بركات استنجد بسلطان البحرين والقطيف محمد بن أجود فوصل في آخر سنة ٩١٢هـ إلى مكة في عدد كبير من عسكره، وكانت عدتهم خمسين ألفاً بحيث أنهم ملكوا السهل والوعر[٢].

مقتل الشيخ مالك بن رومي في جمادى الأولى سنة ٩١٣هـ :

تفيد المصادر التاريخية الشريفية بأن القوات السلطانية قد تمكنت في النهاية من النجاح في مهمتها المتمثلة في القضاء على خصوم السلطان وعلى رأسهم مالك بن رومي الزبيدي ويحي بن سبع أمير ينبع وحلفائهما من الأشراف بني ابراهيم وغيرهم. لكن تلك المصادر تمثّل وجهة النظر السلطانية والشريفية، مما يجعلها تقوم على التحيز لأحد

(١) بلوغ القرى، ورقة ١٧٠، وانظر بلاد ينبع ص٥٩ وما بعدها.

(٢) السلاح والعدة في تاريخ جدة، تأليف: عبدالقادر بن أحمد بن فرج، مخطوطة في مكتبة الحرم المكي، رقم الفيلم ١١٣١، ورقة ٣٠

المتحاربين وتنقل رواية أحد الخصمين ولا تعطي الفرصة للخصم الآخر ليقول وجهة نظره.

وعلى رأس هؤلاء المؤرخين عبدالملك العصامي الذي نقل عنه كثيرٌ ممّن أتى بعده مثل الجزيري في الدرر الفرائد وابن بسام في تحفة المشتاق والبلادي في نسب حرب والسباعي في تاريخ مكة وغيرهم، حيث يقول :(**وفي سنة ٩١٣هـ وصل الشريف بركات إلى جبل الروحاء بالقرب من المدينة وقتل مالك بن رومي الزبيدي الذي كان سببا في نهب مكة، وقُتِل أولاده الثلاثة: معوض وذاعر وأخاه مشهون بن رومي وطائفة كثيرة منهم ومن أتباعهم من ذوي روايا وذوي جماعة، وفرح الناس بقتلهم وطِيف برؤوسهم في البلاد وأرسل بها إلى مصر فنُصِبت على أبواب سورها، وكانت حجة هنيئة وطابت الخواطر واطمأنت القلوب**)[١].

لكن مؤرخ مكة محمد بن فهد الذي يعتبر أكثر معاصرة لذلك الحدث من العصامي يورد الخبر بتفصيل أكثر بالرغم من تحيّزه الظاهر لصالح شريف مكة ضد خصومه المذكورين، حيث يقول: (**وفي ظهر يوم الثلاثاء سابع عشرين الشهر جاء قاصد من الشريف بركات بأوراق منه ومن ولده السيد علي وغيرهما إلى مكة يخبر فيها بقتل مالك بن رومي الزبيدي وأولاده الثلاثة مقرض؟**[٢] **وقادم وداغر ومشهون بن رومي وولده جازان وزبن؟ بن مشهون بن رومي ومحمد بن مقبل وشوفان وثلاثتهم من ذوي روايا وشادي من ذوي جمّاع، وكان القتل يوم السبت رابع عشرين**

---

(١) سمط النجوم العوالي، مصدر سابق، انظر حوادث السنة المذكورة. ونسب حرب، ص١١٤ ، وتحفة المشتاق، أخبار سنة ٩١٣هـ، والدرر الفرائد، ص٧٩٢

(٢) هناك تضارب في المخطوطات حول هذا الاسم: فبعضها يسمّيه معوّض، وبعضها: معوظ وبعضها: مقرض، ولا شك أن هذا نتيجة للتصحيف، ولا أستبعد أن يكون الصحيح معوض، لكن صُحِّفَتْ العين إلى قاف والراء إلى واو، والدليل أنها وردت في بعض المصادر برسم معوظ. والله أعلم. ونفس الخلط وقع أيضاً في اسم: داغر، وهل داغر أم ذاعر؟.

الشهر ..... [1] قرب الروحاء والمدينة، فإن الشريف وجماعته تبعوهم وظفروا بحلّتهم فغنموها ثم سافروا في إثرهم إلى أبيار علي عند المدينة، ثم انقلبوا راجعين فتبعوهم إلى أن ظفروا بهم وقتلوهم، ولم يسلم منهم إلا ولد لمقرض؟ طفل وجيء به للسيد بركات فاستوهبه منه محرم بن هزاع فوهبه له، وتشوّش منهم لمجيئهم به وهرب أيضا شهاون وولده ولكنهما دخلا بعض القرى وأمّنهما بعض أهلها فلا؟ رحمة الله على الجميع! وعلى بني ابراهيم وأتبعهم بهم عاجلا غير آجل، ونودي في مكة بالزينة فزينت سبعة أيام وأرسلت الرؤوس مع القاضي ناظر الخاص إلى مصر، فأمر السلطان بتعليقها على باب زويلة)[2].

أقول: وقد تغنّى شعراء مكة بهذا الأنتصار على الشيخ مالك بن رومي وقبيلته مجاملة للشريف بركات وهنّأُوه بالقضاء على خصومه من قبيلة حرب، ومن ذلك ما قاله أحد شعراء الشريف وهو أحمد بن الحسين الملقب بشاعر البطحاء والذي قال قصيدة طنانة مطلعها:

أرى العز ما قامت عليه الممالكُ ... وما شيَّدتْهُ المرهفات البواتِك

إلى أن يقول:

أرادت زُبَيْدٌ في جنابك دولةً ... فَضَلَّت بها أوهامها والشكائِكُ

.....الخ[3].

أقول: ويلاحظ على سياق الأخبار السابقة عدّة ملاحظات منها:

الملاحظة الأولى: أن تلك المصادر لا تورد تفاصيل كافية عن سير القتال بين الطرفين خلال الفترة الواقعة بين وصول القوات السلطانية من مصر والشام مع بداية سنة ٩١٢هـ

---

(١) غير واضح في المخطوطة، ولعل المقصود: بجبل قرب الروحاء .

(٢) بلوغ القرى، ورقة ١٧٤

(٣) اتحاف فضلاء الزمن، مصدر سابق، ورقة ١٣٧ وص١٥٦ وسمط النجوم العوالي، ج٢ ص٣٠٦، ونسب حرب ص١١٤

وحتى تاريخ مقتل الشيخ مالك بن رومي في ربيع الأول سنة ٩١٣هـ.

الملاحظة الثانية: أن تلك المصادر لا تخبرنا عن كيفية تمكُّن الشريف بركات وأتباعه من أعيان أسرة ابن رومي، لأن سكوتها عن ذلك يدعو إلى التساؤل: عن حقيقة الأمر، وهل كان ذلك في ميدان القتال، أم كان عن طريق الغدر والاحتيال؟

الملاحظة الثالثة: أن قول المصادر الشريفية: (**وفرح الناس بقتلهم ...إلخ**). إنما هو تعبير عن وجهة نظر الشريف بركات وأعوانه فقط، لأنه انتقم ممّن وقف له بالسيف دون شرافة مكة، كما مرَّ معنا في أخبار سنة ٩٠٧هـ!

الملاحظة الرابعة: أن قول المصادر الشريفية: (**وقتَل مالك بن رومي الذي كان سبباً في نَهْب مكة..إلخ**)، يحتاج إلى وقفة تاريخية منصفة أيضا، فقد مرّ معنا في أخبار سنة ٩٠٩هـ أن الشريف بركات هو الذي كان سببا في نهب مكة، كما أورد صاحب تحفة المشتاق ضمن أخبار السنة المذكورة نقلا عن المصادر التاريخية الحجازية ما نصه: (**وفي شهر ذي الحجة هجم الشريف بركات بن محمد بن بركات بمن معه من العرب من عتيبة وغيرهم على مكة، وشرعت العرب في النهب...إلخ**)[1].

وهكذا نرى أن المؤرخ عندما يكون غير منصفٍ فإنه يحمِّل الخصم جرائر خصمه بدون تورع.

الملاحظة الخامسة: أن تلك المصادر الشريفية لا تذكر شيئا عن الفظائع والشنائع التي ارتكبتها تلك القوات في تعاملها مع خصومها، حيث لم تعاملهم معاملة المنتصر الكريم، بل تعاملت معهم بغلظة وقسوة واستبداد لا يعرف الرحمة وغوغائية لا تقيم وزنا للأخلاق العربية الكريمة التي اشتهر بها عرب الجزيرة كاحترام المواثيق والعفو عند المقدرة، فعاثوا في الأرض فسادا وتحريقا وتدميرا، في سبيل الانتقام.

يقول الشيخ حمد الجاسر وهو يتحدث عن تدمير ينبع من قبل تلك القوات: (**والظاهر أن هذه التجريدة أرادت أن تجرّب ما معها من آلات حربية حديثة الصنع**

---

(١) تحفة المشتاق، حوادث سنة ٩١٣هـ، وخلاصة الكلام ص٤٩ وما بعدها، والدرر الفرائد ص٧٨٨

تسمّى المكاحل وهي المدافع، فأتت على هذه البلدة بـالهدم والتحريـق وهـي آلات لا عهد للعرب بها). ويقول أيضا: **(ونستطيع أن ندرك شدة العنـف والبطـش والفظـائع التي ارتكبها الجيش في تلك البلاد وأهلها من عبـارة وردت في مؤلـف بعـد وقوعهـا بسبع وعشرين ومائة سنة، حيث بقيـت ذكراهـا السيئة عالقـة في الأذهـان)**. ويشـير الشيخ هنا إلى ما ذكره أحـد مؤرخـي الحجـاز وهـو السـيد محمـد بـن عبـدا لله الحسـيني المدني، الذي يرى أن ا لله انتقم من سلطان مصر بسبب ما اقترفته يداه من ظلـم وبطـش أثناء تلك الحواث، حيث قال في تاريخه: **(وفي سنة ٩٢٣هـ قُتِل الغوري سـلطان مصـر .... والسبب المعنوي في خراب مملكته أنه قتل طائفة من بني ابراهيـم أشـراف ينبـع، وبنى من رؤسهم مسطبة جلس عليها أمراء عساكره)**[١].

الملاحظة السادسة: أن هناك اختلافا في المصادر التاريخيـة حـول تسـمية مشـهون شـقيق مالك بن رومي، حيث ورد آخره بالنون مرة وبالراء مرة، والصحيح أنه مشهون بـالنون وليس مشهور، كما يستفاد من المصادر التاريخية.

* * * * * * * *

* * * * * *

* *

(١) بلاد ينبع، للشيخ حمد الجاسر، ص ٦٢ وما بعدها.

الفصـل الرابع

****

مشيخة زبيد وخليص بعد مقتل الشيخ مالك بن رومي ويشمل:

- تـمهـيـد
- اشارات تاريخية إلى خليص وآل رومي بعد سنة ٩١٣هـ

الفصل الرابع
مشيخة زبيد وخليص بعد مقتل الشيخ مالك بن رومي

تمهيد :

مع أن هذا البحث يدور بشكل رئيسي حول تاريخ الشيخ مالك بن رومي الزبيدي ومشيخته في قبيلة زبيد ومن والاها من قبائل حرب في منطقة وادي خليص وما حولها، وهو ما تعرضنا له في الفصول السابقة، إلا أننا سوف نحاول في هذا الفصل تتبع أهم الاشارات التاريخية التي وردت في بعض المصادر التاريخية بعد نهاية مشيخة مالك بن رومي على يد القوات السلطانية الجركسية سنة ٩١٣هـ كما تقدم.

وفيما يلي استعراض سريع لأخبار هذه المشيخة بعد التاريخ المشار إليه أعلاه، مع ترتيب زمني لما ورد في المصادر التاريخية المتاحة لمؤلف هذا البحث، دون التوسع في التعليق على تلك الأخبار أو الدخول في تفصيلاتها وتحليلاتها. والهدف من هذا الاستعراض التاريخي هو الوقوف على وضع هذه المشيخة بعد مقتل مالك بن رومي والقضاء على سلطته القوية، ومعرفة مدى تأثير ذلك الحدث على مكانة آل رومي في الحجاز، حيث يتضح من تلك الاشارات التاريخية الهامة تراجع دور هذه المشيخة في قبائل حرب والتمهيد لظهور مشيخات جديدة لسد ذلك الفراغ السياسي والقبلي، مثل مشيخة ابن مضيان الظاهري في بني سالم ابتداء من القرن التاسع الهجري لتصل إلى أوج قوتها خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر وشطرا من القرن الثالث عشر الهجري[1].

ليس هذا فحسب، بل إن هذا الاستعراض يهدف أيضا إلى دَحْض كثير من القصص التي تنسج حول هذه المشيخة، والتي نقلها بعض المؤرخين المعاصرين، وخاصة كل من الأستاذ البلادي والدكتور المعبّدي دون الاستناد على مصادر تاريخية وإنما نقلا

---

(١) انظر عن أخبار هذه المشيخة كتابنا " ابن مضيان الظاهري".

عن الروايات العاميّة المتناقضة، مثل القصص المزعومة عن قصة حرب البنت وقتال ابن عَسْم لسُلَيْم أو عنزة ونحو ذلك.

الوضع بين آل رومي والأشراف بعد مقتل مالك بن رومي :

يبدو من خلال قراءة مصادر تاريخ الحجاز أن الوضع في المنطقة اتسم بهدوء سياسي وعسكري واضح بعد انتصار القوات الجركسية على شيخ زبيد مالك بن رومي وحليفه يحي بن سبع أمير ينبع، وقضائها على خصوم السلطان.

وبالرغم من تضعضع مكانة مشيخة آل رومي في المنطقة إلا أنه يبدو أنهم لم يخسروا كل شيء، إذ بقيت امارتهم على وادي خليص وقبائل زبيد، وإن انحسرت بشكل واضح عن بقية قبائل حرب.

وأعتقد أن هناك عوامل أخرى كان لها دور بارز في هدوء الوضع بين آل رومي والأشراف خلال النصف الأول من القرن العاشر الهجري، ومن أهم تلك العوامل تعيين الشريف محمد أبي نمي بن بركات على ولاية مكة بعد وفاة والده في آخر سنة ٩٣١هـ. حيث شهدت منطقة الحرمين خلال حكمه حقبة متميّزة من الاستقرار، جعلت عهده من أفضل العهود الشريفية وأكثرها عدلا ورخاء[١].

إشارة إلى خليص وآل رومي سنة ٩٥٣هـ :

ذكر المؤرخ الجزيري الذي تردد على ديار حرب كثيرا خلال القرن العاشر الهجري برفقة الحج المصري، أن آل رومي كانوا هم أصحاب الـدَّرْك في خليص وعسفان سنة ٩٥٣هـ[٢].

---

(١) تاريخ مكة ، تأليف: أحمد السباعي ، مطبوعات نادي مكة الثقافي ، الطبعة الرابعة ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م، ص٣٤٥ وما بعدها .

(٢) الدرر الفرائد المنظمة، ص ٥٨٥

وهذا يعني أن امارتهم على أدراكهم بقيت على حالها بعد مقتل شيخهم مالك بن رومي سنة ٩١٣هـ كما مرَّ معَنا. لكن إمارتهم على قبائل حرب بدأت تنحسر بعد تلك الأحداث ممّا مهّد السبيل لظهور إمارات آخرى مثل آل مضيان وغيرهم.

إشارة إلى خُليص وآل رومي سنة ٩٥٩هـ :

كما أن رحالة آخر هو الشيخ محمد بن أحمد القطبي النهروالي الهندي المتوفى بمكة المكرمة سنة ٩٩٠هـ، الذي رحل إلى الحج سبع مرَّات خلال الفترة من ٩٣٧ إلى ٩٨٠هـ ذكر شيئاً عن آل رومي فقال وهو يصف نزول القافلة في خليص في احدى حجَّاته: (**وهذا الجبل** - يقصد خليص - **يختص بذوي رُومي وبلادهم من خلَيص إلى رابغ ومشايخهم الآن داهس بن شهاون بن مالك بن رومي ومزبّن بن مزهِر بن مقرب بن رومي. ولهم صَرٌّ محمول مع أمير الحاج سبع مئة أشرفي كل عام .. الخ**)[1].

كما أورد هذا المؤرخ معلومات قيمة عن خليص وأصحابها من آل رومي وذلك في رحلته الأولى سنة ٩٥٩هـ، حيث قال: (**المرحلة الخامسة خليص: وصلنا إليه صُبْحاً، وصلينا به الصبح، ووجدنا به الْعَيْن جاريةً علي وجه الأرض، والْبركَة فيها قليل ماءٍ، ووجدنا به الغنم واللبن وطيور القطا. وذهبت في قبيل هذه المرحلة بَطّة سمن لبعض أصحابنا. وجاء زُبَيْدُ ذوي رومي وأخذوا من القافلة بعض الجبا وهو على كل جمل مَخْزوم ليس بزاد، يسمى بينهم عضْم أربعة محلقة، ومنهم من أخذ ثلاثة محلّقة ونصف على كل جمل عُصْم، وليس على الشقادف ولا على الزوامل الهالكة شيء. وهذا الجبل يختص بذوي رومي، وبلادهم من خُلَيص إلى رابغ، ومشايخهم الآن داهس بن شهاون بن مالك بن رومي ومزبّن بن مزهر بن مقرّب بن رومي. ولهم صَرٌّ محمول مع أمير الحاج سبع مئة أشرَفي كل عام. وذكروا أنهم كان لهم الجبا على الشقادف في هذا المكان، وأنّ السيد الشريف نصره الله تعالى اشتراه منهم بأربع مئة**

---

(١) مجلة العرب ج ٧ و ٨ س ١٦ محرم وصفر ١٤٠٢هـ ص٥١١

دينار، **يعطيها لهم كل سنة، في مقابل تركهم الجبا من الشقادف**)[1]. انتهى كلامه.

أقول: والشقادف نوع من المراكب التي توضع على الجمال، وقد بينا وصفها في موضع سابق من هذا البحث.

إشارة إلى خليص سنة ١٠٧٢هـ :

يذكر الرحالة عبدا لله بن محمد العياشي المغربي وهو يتحدث عن رحلته سنة ١٠٧٢هـ فيقول عن خليص: (... **فبلغنا خليص عند المغرب، ونزلنا به، وفيه عين ماء تجري، وأبنية وقهاوي وسوق، وقد سيق الماء في قنوات محكمات من العين، يُفْجَرُ عنها في مواضع للسقي والوضوء، إلى أن خرج الماء إلى بركة عظيمة تحت القرية لم أرَ أحلى منها ولا أعظم، يغرق فيها من لايحسن العوم، ويخرج الماء من البركة إلى مزارع قريبة من البلد. وبات الناس بجانب هذه البركة في أرغد عيش بسبب الماء الحلو الغزير، وسقوا واستقوا وتوضأوا بلا كلفة في ذلك ولا مشقة**)[2].

الجحادلة من زبيد والخلاف مع الأشراف سنة ١١٠٠هـ :

ومفاد هذا الخبر أنه حصل خلاف بين بعض الأشراف وشريف مكة وذلك في شهر جمادى الأول فتعرض الأشراف المذكورون ومعهم قبيلة الجحادلة من زبيد إلى قافلة قادمة للشريف وهي في طريقها من اليمن إلى مكة فاستولوا عليها.

يقول مؤلف الدر الفاخر: (**فأرسل مولانا الشريفُ السِّيِّدَ صامل بن زامل ومعه ثلاثين** ــ هكذا ــ **عسكري ما بين خيَّال وبواردي، وأرسل معهم خمسين بعيراً** [يأتون] **بالحمول الباقة، فلما وصل السيد صامل إلى نصف الطريق هو والعسكر، فسأل السيد حسن بن عبدالكريم، فقال له: ما تقدر عليهم، إنهم جمله من الاشراف ومعهم**

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مجلة العرب س١٢ ص ٩١

الجحادلة. فأمر العسكر بالرجوع). ثم يذكر بعد ذلـك أن الشريف أرسـل للجحادلـة وصالحهم وتم الافراج عن القافلة[1].

القتال بين حرب وسُلَيْم سنة ١١٠١هـ :

ومفاد هذا الخبر كما تورده المصادر الشـريفية أنـه في يـوم تاسـع جمـادى الأولى جاءوا سُلَيْم إلى شريف مكة ـ أحمد بن غالب ـ ملتجئين إليـه بسبب خلافهـم مـع بعض قبائل حرب، حيث يقول المؤرخ ما نصه: (**وفي يوم الاثنين تاسـع جمـاد الأول جاءوا سليم إلى مولانا الشـريف مطرودين من ديـارهم، وسبب ذلـك أن مولانـا الشريف أمرهم بنهب زبيد فخذ من حرب وهم أهل خليص، فركبـوا سـليم على زبيد ونهبوهم وقتلوا منهم خمسة عشر رجلاً والتجار الذيـن في خليـص، فسـمعوا؟ بقية حرب بما وقع لرفاقهم؟ فجاءوا؟ منهم نحـو ألـف وخمسـماية بـواردي، ومعهـم السيد عبدا لله بن عَـمْرو والسيد حسن بن حمـود، فلمـا استحسـوا؟ سُليم بذلـك وعرفوا أن ما لهم قدرة على لقـائهم؟ رحلـوا مـن ديـارهم ونزلـوا علـى الشـريف، وخيموا مـن النوارية إلى العمـرة، والنـاس في غايـة مـن التعـب مـن قطـع السـبل ...الخ)**.

ثم يذكرب المؤرخ بعد ذلك أن شريف مكة جمع الأشراف والعساكر والعربـان لمواجهة تلك الفرقة من حرب التي جاءت لمطاردة سليم، وأذن الشريف لجميع العربان بأن كل من لقي حربي يقتله وينهبـه، فـاجتمع قـوة مـن الأشـراف وعتيبـة وحـاصروا رجال حرب في موقع لا يسمح لهم بالوصول إلى الماء، فاشتد عليهم العطش ومات من أطفالهم نحو سبعة عشر أو ثمانية عشر طفل، فلما أدركوا صعوبة موقفهم واشتد عليهم الحصار، طلبوا التسليم إلى الشريف وأتوا إليه طائعين فعفى عنهـم، وصـالحهم

---

(١) الدر الفاخر في خبر الأوائل والأواخر، تأليف: عبدالهادي بن محمد الطاهر، مخطوط، دارة الملـك عبدالعزيـز، رقم المخطوطة ٢٥٤م، ورقة٨٥

على نصف ما معهم فكان نصيب الشريف من ذلك ألف وأربعماية رأس من الابل ومن الغنم سبعة آلاف ومن العبيد عشرين رأساً[1].

اشارة أخرى سنة ١١٠١هـ :

وذكر صاحب منائح الكرم في أخبار شهر جمادى الأولى سنة ١١٠١هـ ما نصه: (**وجاء الخبر** ــ أي إلى مكة ــ **أن خليصاً أخذت من حاكمها، وورد حاكمها مكة**)[2].

واشارة أخرى سنة ١١٢٤هـ :

قال في منائح الكرم: (.... **وفي ليلة الثلاثاء خامس ربيع الأول ــ ١١٢٤هــ ــ وصل السيد مبارك بن صامل من خليص** ــ أي إلى مكة ــ **وأخبر: أن الشريف عبدالكريم وصل إلى خليص، ونيته الوصول إلى مكة هو والأشراف الذين معه**)[3].

وقال أيضاً: (**وأما ما كان من الشريف عبدالكريم: فرجع ونزل الحميما بلاده، والشريف سعيد مقيم في خليص، فوصل الخبر بهذا إلى مكة يوم الثلاثاء سادس عشرين ربيع الأول، والشريف عبدالكريم جوف حرب في الفرع**)[4].

إشارة إلى خليص سنة ١١٤٨هـ :

أما الرحالة المغربي عبدالمجيد المنالي الزيادي المتوفى سنة ١١٦٣هــ، فقد أورد خبر مروره بخليص في رحلته للحج سنة ١١٤٨هـ وذكر نزول الحاج بها، وقال: (**وهنالك**

---

(١) الدر الفاخر في خبر الأوائل والأواخر، مصدر سابق، ورقة٨٥

(٢) منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، ص١١٩

(٣) منائح الكرم، مصدر سابق، ص٤٩٤

(٤) منائح الكرم، مصدر سابق، ص٤٩٦

حصن يحصل به الإيناس، وأبنية وقهاوي ودلاّع يصلح للتداوي ويسَمُّونه الحبحب ....الخ). كما أشار إلى عذوبة مائها وغزارته واحكام قنواته[1].

وثيقة تحدد بعض ديار زبيد سنة ١١٩٥هـ :

أورد هذه الوثيقة الدكتور مبارك المعَبّدي لكنه أخطأ في معرفة تاريخها، حيث ذكر أنها تعود لسنة ١٩٥هـ، والصحيح أنها كما ذكرنا أعلاه، وكما أوضحنا بالتفصيل في مقالنا المنشور في جريدة عكاظ الصادرة يوم الجمعة ١٧ ربيع الأول سنة ١٤١٤هـ. ومضمون تلك الوثيقة الاتفاق على ترسيم حدود بلاد العلاوية من سُلَيْم وبيان حدودهم مع ديار زبيد في آخر القرن الثاني عشر الهجري، حيث ورد فيها أن البلاد المراد تحديدها يحدها من الجنوب ديار معَبّد ومن المشرق الربعي؟. وجاء من ضمنها: (**.... وفيّتها من العَشِي علاوية سلَمية وفيّتها من الصبح عَسْمية زبيدية، والحديد من مغيب شمس الزبيدي ...الخ)**[2].

وبالمناسبة فهذا أول تسمية للعسوم من زبيد بهذا الاسم في مراجع هذا البحث، ولعل في هذا رد على ما أورده الدكتور المعبّدي واستخدامه لاسم ابن عسم وهو يتكلم عن ابن رومي ابتداء من القرن الثاني الهجري، مع أن آل رومي لم يعرفوا بهذا الاسم في المصادر التاريخية التي اطلعنا عليها قبل هذه الوثيقة التي تعود للقرن الثاني عشر.

إشارة أخرى عن شيخ زبيد سنة ١٢٢٢هـ :

كما ذكرت بعض المصادر التاريخية أن واهس شيخ زبيد اشترك مع الامام سعود بن عبدالعزيز في القتال بين السعوديين والشريف غالب سنة ١٢٢٢هـ، حيث اشترك

---

(١) مجلة العرب س ١٢ ص ٥٤٤

(٢) مقتطفات من تاريخ خليص، مصدر سابق، ص١٣٨

الشيخ المذكور مع جماعته إلى جانب الامام سعود في حصار جدة في آخر شهر شعبان من السنة المذكورة[1].

وبالمناسبة فقد اطلعت على وثيقة تعود لسنة ١٢٦١هـ تتعلق بطلب بعض أعيان أسرة الشيخ واهس بشأن اثبات وقف جدهم الشيخ واهس بن حميد بن عطية الكائن بوادي خليص: (**المشتمل آبار وأراضي زراعية تزرع بالأمطار والسيول ويحدها من الشام ابن مغير ومن قبلة الصحاف ومن شرق الجبال ومن غرب الملاّكة وكذلك البلدان المسمّاة نقرة الجبالية وتعرف بحدودها من قبلة الحَرّة وغرب المستيقة؟ وشام الحَرّة واللغب؟ وشرق الصحاف وبوادي الخوار ووادي الفرع ....الخ**)[2].

الشيخ ابن عسم سنة ١٢٤١هـ:

جاء في خطاب محرر بتاريخ ١٢٤١/١٢/٢٩هـ من أمير حجاج ايران، ذكر فيه أنهم خرجوا من جدة بصحبة بعض الأشراف ووصلوا إلى رابغ فجاءهم كبير مشايخ حرب هناك واسمه عطية بن رومي ابن عسم، وبعد التفاوض معه حول مستحقات حرب تم الاتفاق على اعطائه ثلاثة آلاف ريال فرانسة له ولأتباعه غير الكساوي وما شابهها[3].

وإشارة أخرى سنة ١٢٥٣هـ:

يستفاد من تقرير عسكري تركي مرفوع من خورشيد باشا قائد قوات محمد علي بتاريخ ١٢٥٣/٧/٢٩هـ، أن الشيخ رومي بن عطية شيخ خليص، كان كبير مشايخ

---

(١) خلاصة الكلام ، مصدر سابق ، ص ٢٩٠

(٢) مجموعة وثائق المؤلف.

(٣) دار الوثائق القومية ـ القاهرة ـ محفظة رقم ١٠ معية تركي، وثيقة نمرة ٩٤، بتاريخ ١٢٤١/١٢/٢٩هـ، خطاب باللغة العربية، (ص/مكتبة الملك فهد الوطنية).

قبائل مسروح الحربية التابعة لمكة المكرمة[1].

وخبر هام عن آل رومي سنة ١٢٦٠هـ :

ويتمثل هذا الخبر في مقتل بعض شيوخ آل رومي في خليص غَدراً على يد القائد عثمان باشا القرمي الذي كان والياً على جدة خلال الفترة الواقعة بين سنتي ١٢٥٧هـ و١٢٦٢هـ، حيث يقول المؤرخ الحضراوي أحد مؤرخي جدة وهو يتكلم عن ذلك الوالي: **(وكان في مدته قد عصى عليه أحد مشايخ حرب بجهة خليص يقال له ابن الرومي، فأرسل إليه الكردي عثمان بجماعته وكان كبير الخيّالة، فحين توجه الكردي عثمان إلى ذلك المكان صنع للعربان المذكورين طعاما، وأسرّ إلى بعض خدمه وبعض عساكره: إذا وضعتم الأرز واللحم، واشتغلوا بالأكل اضربوهم بالسيوف، واهجموا عليهم هجمة الحتوف، ففعلوا، ثم ركب الكردي وجماعته من حينه وتركوا الخيام خوفا من طارق الأنام، وكانوا أقل من عشرة، حتى جاءوا برؤوسهم مشتهرة، فنصبت بأعلى السور)**[2].

وبالمناسبة فإن هذه الحادثة تذكّرنا بحادثة سنة ٨٧٥هـ التي مرّت معنا عندما دبّر شريف مكة خطة لاغتيال بعض أعيان زبيد على يد خاله زهير، وما تمثله هذه الأعمال من شواهد واضحة لسوء تعامل الأشراف مع شيوخ القبائل والانتقام منهم عن طريق الغدر والخيانة، مما كان سبباً في نفور القبائل وثوراتها المستمرة على أشراف الحجاز.

---

(١) دار الوثائق القومية ـ القاهرة ـ محفظة رقم ٢٦١، وثيقة رقم ٣٦٣، تقرير مرفوع من خورشيد باشا إلى محمد علي باشا، بتاريخ ١٢٥٣/٧/٢٩هـ، (ص/ مكتبة الملك فهد الوطنية).

(٢) أعلام الحجاز، تأليف: محمد علي مغربي، مطبعة المدني ـ القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، ج٣، ص٨٣، نقلا عن الجواهر المعدة في فضل جدة، تأليف أحمد بن عبدالعزيز الحضراوي، مخطوطة رقم ٣٠٤، مكتبة الحرم المكي.

وختاماً؛ فإن هذه أهم الاشارات التاريخية عن مشيخة آل رومي بعد ذبحة آل رومي الشهيرة سنة ٩١٣هـ التي تراجعت بعدها مشيخة ابن رومي على قبائل حرب، ولا تشمل هذه المذكرات التوسع في دراسة أسرة ابن عسم في القرنين الأخيرين، كما أنها لا تشمل أيضاً البحث في أسرة ابن مبيريك التي ظهرت في القرن الثالث عشر الهجري واشتهرت في القرن الرابع عشر الهجري لعدم توفر المعلومات الكافية!

* * * * * * * *

* * * * * *

* *

تنبيه !

عزيزي القاريء :

هل اقتنيت نسختك من أول مرجع يسجل أخبار القبائل العربية في وسط نجد بناء على المصادر التاريخية بدلاً من القصص والأساطير العامية. إنه كتاب :

من أخبار القبائل في نجد

خلال الفترة من

٨٥٠هـ - ١٢٠٠هـ

المبحث الثاني

ابن مُضَيَّان الظاهري

ودوره في مقاومة قوات محمد علي باشا

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول:

آل مضيان في المصادر التاريخية

الفصل الثاني:

مبايعة آل مضيَّان للسعوديين ودورهم في انضمام الحجاز

الفصل الثالث:

علاقة حرب بالحملة المصرية الأولى (طوسون باشا)

الفصل الرابع:

علاقة حرب بالحملة المصرية الثانية (ابراهيم باشا)

تقديم*

بقلم: د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

الحمد لله والصلاة على رسوله، وبعد:

عندما اطّلَعت على نسخة من هذا الكتاب، راودَتني رغبة مُلحَّة للتقديم له. لكني كنت في حيرة من أمري، وتساءلت: هل أقدّم الكتابَ أم الكاتب؟ وهل ستضيف هذه المقدمة للكتاب شيئاً مفيداً أم تؤدي إلى اطفاء بريقه، من يدري؟ .. ولكني أجد الجرأة في ذلك حين يأخذني الأمل بعيداً، فأتوَّهم أنني في مقدمتي هذه، أشعلُ شموعاً تضيء الطريق .. لم يكن المؤلف بحاجة إلى مديح لكنه يحترم الحقيقة، فهي ضالته التي يبحث عنها في كل زمان ومكان!

إنه باحث لم يتخرج من كلية أدبية و لم يتخصص في علم التاريخ، لكنه إداري يمارس الأدب كهوَاية، يَستَلُّ نفسه ـ كلما وجدَ الفرصة ـ ليمارس عشقه مع الوثائق والمخطوطات، يحلّلُ ويعلّل ويناظر ويقارن، ويقرأ ويكتب، لا يمل ولا يكل، يشد الرحال من أجل الظفر بمخطوطة أو وثيقة، ويسافر من أجل معلومة، هواية متعبة ولكنها لذيذة ومفيدة!

أما العمل الذي نحن بصدده فكتاب صغير في حجمه مُهم في موضوعه، يتناول بعض الجوانب التاريخية لأسرة كريمة من أسر هذه البلاد، أخذت زمام المبادرة وحازت قصب السبق حين استجابت لدعوة التوحيد، توحيد العقيدة وتوحيد الأرض التي دعى إليها زعماء الدولة السعودية الأولى. وتتابع في هذه

* هذه المقدمة كتبها د. مرزوق بن تنباك تقديماً لكتابنا: ابن مضيان الظاهري وعلاقته بالحملات المصرية، المنشور سنة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

الأسرة عدد من الرجال النابهين الذين دافعوا عن الدولة والوحدة حتى جاد بعض زعمائها بأنفسَهم وأبنائهم وعشيرتهم، وكما قال الشاعر: " والجود بالنفس أقصى غاية الجود".

والكتاب يتحدث بشكل خاص عن دور أسرة ابن مضيان في مقاومة الحملات المصرية في عهد الدولة السعودية الأولى وعلى رأسهم مسعود بن مضيان، الذي كان من أعظم القواد السعوديين في عصره. وكان له دور بارز في معركة الخيف سنة ١٢٢٦هـ ضد قوات طوسون باشا، فعينه الامام سعود بن عبدالعزيز الأول أميراً على المدينة وعلى قبائل حرب المحيطين بها إلى أن وقَع في أيدي القوات التركية وهو يدافع عن بلاده سنة ١٢٢٧هـ، فنُقل أسيراً إلى القاهرة ومنها إلى استانبول حيث جرى اعدامه هناك.

وقد بَقي دَورُ أسرة آل مضيّان في تلك الأحداث أحاديث سَمَر تلوكه ألْسُن العامة في المجالس دون تحقيق، ونال هذا التاريخ غَبَش الذاكرة الشعبية وتحريف النقل، وبقي كذلك على مدَى ثلاثة قرون.

وما كان أحد يظن أن هناك ما يُوثق الرواية الشعبية أو ينفيها، لكن التاريخ عادلٌ منصف وصادق أمين، فقيّض الله لهذا الموضوع هذا الشاب الباحث الطموح الذي أدرك بموهبته التاريخية أن الروايات العامية تفتقر إلى الموضوعية في نقل التاريخ، فجَرَّد نفسه للبحث عن أصل الحقيقة ومصدر الرواية بعد أن تسلح بالعلم وبالصبر والتأني، ووَطَّن نفسه على البحث في بطون الكتب وأضابير المخفوظات، وعرف مظّان حاجته ومصادر معلوماته.

فكانت مادة الكتاب بكراً جديدة أيدَت جانباً مما تختزنه الذاكرة الشعبية عن هذه الأسرة ونفَت ما أضافه سَهْوَ الرَّاوي والْتباس الرّوَاية وخيَال الحكوَاتي، وحققت التاريخ كما يجب أن يكون التحقيق الصادق والتوثيق الرصين.

ولا غروَ فليس هذا الكتاب هو أول عمل يقوم به المؤلف بَل سبقه عدد من المؤلفات اعتمد فيها المنهج العلمي وأحسن فيما اطلعت عليه منها كل الاحسان. وهذا البحث الذي أقدِّمه للقاريء مثال جيّد لما يحاول المؤلف تحقيقه في دراساته، وهو عمل جديد تماماً، اعتمد فيه على تمحيص الروايات وتحقيق التاريخ وتقديم الدليل على ما يُورد من المعلومات الصادقة، فكان اضافة مفيدة للمكتبة التاريخية الوطنية، وجهداً مشكوراً وعملاً جديراً بالتقدير والاستحسان من كل قاريء يدرك معنى التاريخ!



مقدّمَة المبحث الثاني

تُعَدُّ أسرة ابن مضيَّان الظاهري من الأسَر التي لعبَـت دوراً بـارزاً في تـاريخ الحجاز السياسي، وخاصة في علاقة قبـائل حـرب مـع الأشـراف ابتـداء مـن القـرن العاشر الهجري تقريباً حتى انضمام مناطق الحرمين الشريفين للدولة السعودية الأولى في أول القرن الثالث عشر الهجري وما تلى ذلك من أحداث.

لكن من يستنطق الوثـائق التاريخية يجـد أن التـاريخ لم يعـط ابـن مضـيَّان مـا يستحقه من الشهرة والانصاف بما يتناسب مع الدور التاريخي الـذي قـام بـه. ليـس هذا فحسب بل إن التاريخ الـمتأخر قد قلَبَ ظهـر الـمجَن لهـذه الأسـرة العريقـة. وبصورة خاصة ما يتناقله العَوَام في نجـد والحجـاز مـن روايـات لا يُعـرَف أساسـها وقصص ساذجة لا تسـتند علـى حقـائق تاريخيـة. وكلهـا تقـوم علـى التنكـر لابـن مضـيّان وتضعه موضع الاتهام والانتقاص بل والتندر أحياناً.

فالمعروف أنه بعد سقوط الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى (١١٥٦هـ - ١٢٣٣هـ) التي كانت تـجْمَع أهل نجـد مـن حواضـر وبـوادي في وحـدة كاملـة لم تشهدها الجزيرة منـذ عـدة قـرون، استعَرَتْ نـار الفتَـن والضغـائن بـين أهـل نجـد وسـادت العنصريـة القبليـة وصـارت كـل قبيلـة تتّـهم غيرَهـا وشـاعت الدسـائس والمؤامرات بين القبائل امتداداً لـمَا حَلّ بالحواضر النجدية، ونتيجة للأساليب الملتوية التي انتهجتها القيادات الغازية للتفريق بين أهل نجد واضعـافهم ومـن ثـَمَّ السـيطرة عليهم. ومـمّا يؤسَفُ له أنّ بعض المنافسين لابن مضيان قد بـالَغوا إلى حـد الافـتراء في تصوير الـدّور الذي لعبتْه قبائل حرب في تلك الحوادث إلى جانب المصريين، مع أنّ الواقع التاريخي يؤكد خلاف ذلك تماماً!

ويهـدف هذا البحث السـريـع إلى إلقـاء الضوء عـلى بعض الجوانب التاريخيـة

الهامة في هذا الموضوع وتقديم تصوُّر أكثر واقعية وانصافاً، من خلال ما جاء في الوثائق التاريخية التي توضَح الدور البارز والمشـرِّف الذي لعبه بعض شيوخ هذه الأسرة ممَّا ليس معروفاً لدى عامة الناس المتأثرين بتلك الروايات العامية الخاطئة!

وقد سبق لنا أن أصدرنا كُتَيِّباً مستقلاً بعنوان: **ابن مضيان الظاهري وعلاقته بالحملات المصرية**. صدرت الطبعة الأولى منه سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، إلاّ أنه نظراً للحصول على مزيد من المعلومات والوثائق عن هذا الموضوع فقد رأينا أن نعيد نشره ضمن هذه المجموعة بعد تنقيح المعلومات السابقة وزيادة توثيقها، لتكون أكثر مرجعية لمن يريد أن يبحث في تاريخ هذه الأسرة الكريمة.

وقد تم تقسيم هذا المبحث إلى أربعة فصول مختصرة على النحو التالي:

الفصل الأول: آل مضيان في المصادر التاريخية

الفصل الثاني: مبايعة آل مضيان للسعوديين ودورهم في ضم الحجاز

الفصل الثالث: علاقة حرب بالحملة المصرية الأولى (طوسون باشا)

الفصل الرابع: علاقة حرب بالحملة المصرية الثانية (ابراهيم باشا)



الفصل الأول

****

آل مُضَيَّان

في المصادر التاريخية

الفصل الأول
آل مُضَيَّان في المصادر التاريخية

يرجع نسب أسرة ابن مضيّان الظاهري إلى المراوحة من بني سالم من حرب، وقد برزت رئاستها في قبيلة حرب ابتداء من القرن العاشر الهجري كبديل قوي لأسرة آل رومي الزبيديين المسروحيِّين(١). ومع هذا فقد ورَد ذكر بعض مشاهير آل مضيان قبل هذا التاريخ، كما سنذكر على النحو التالي:

سالم بن مُضَيَّان : الذي يعتبر أوّل من وصَل إلينا خبره من شيوخ آل مضيان، حيث أورد ابن بسام في تحفة المشتاق أنه اشترك في مَنَاخ نَفي(٢) سنة ٨٥٣هـ، كما اشترك في مناخ الضَّلْفَعة(٣) عام ٨٥٤هـ وقُتل فيه ضمن مشاهير القتلى من الأطراف المتحاربة.

ولعلّه من الجدير بالذكر أن هذه الوقائع التي تُسَمّى مناخات ـ من إناخة الإبل للقتال ـ كانت تقع في الغالب بين قبائل عنزة وقبائل الظفير أثناء احتدام صراع القبائل للسيطرة على مراعي نجد خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين(٤).

---

(١) مجلة العرب ج٧، ٨ س٢٠ ص٤٥٣، الشيخ حمد الجاسر.

(٢) نفي: بكسر النون والفاء. موضع قديم، والآن قرية عامرة تقع في أقصى حدود الجنوب الغربي لمنطقة القصيم جنوب بلدة دخنة. انظر معجم بلاد القصيم، محمد بن ناصر العبودي مطابع الفرزدق ط٢، ج٦ ص٢٤١٢

(٣) الضلفعة: بفتح الضاد المشددة وبعدها لام ساكنة ففاء ثم عين فتاء مربوطة: موضع يقع غرب مدينة بريدة وشمال البكيرية ويطل على مشارف مطار القصيم من الشمال الغربي. انظر: معجم بلاد القصيم للعبودي ج٤ ص١٤٣٨

(٤) تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق. عبدالله بن محمد بن بسام، نسخة مخطوطة بخط السيد مصطفى شربية. المكتبة الصالحية في عنيزة، انظر أحداث السنوات المذكورة في صفحة ٨ وما بعدها.

كما يلاحظ أن قبائل حرب كانت كثيراً ما تشترك في تلك الوقائع إلى جانب الظفير في حين كانت قبائل أخرى كبني خالد وغيرهم من حلفاء عنزة.

وللاطلاع على تفصيلات هذه المناخات وأخبارها فإنه يستحسن الرجوع إلى كتابنا: من أخبار القبائل في نجد خلال الفترة من ٨٥٠ ــ ١٢٠٠هـ.

خَلَف بن سالم بن مضيّان : الذي اشترك مع والده في مناخ نفي أيضا سنة ٨٥٣ وقُتل فيه.

عبدالله بن سالم بن مضيَّان : وهو أخو خلف بن سالم السابق ذكره، ويبدو أنه تولّى الرئاسة بعد والده حيث اشترك في مناخ أضَاخ[١] سنة ٨٦٠هـ.

سَرحان بن مضَيّان : اشترك مع قومه إلى جانب الظفير أيضا في مناخ السِّر[٢] الشهير سنة ٨٦١هـ، كما يورد صاحب تحفة المشتاق، وقُتل فيه أيضا.

أما في القرن العاشر الهجري فقد ذكر صاحب التحفة منهم:

راجح بن مضيَّان : حيث ورَدَ ذكره بمناسبة اشتراكه في مناخ الشبكة[٣] سنة ٩٣٣هـ ثم:

هَذال بن مضَيَّان : الذي اشترك بجماعته إلى جانب قبيلة الظفير ضد عنزة

---

(١) أضاخ: بضم الألف في أوله فضاء مفتوحة ثم خاء معجمة، موضع قديم مشهور في نجد، وهو الآن قرية عامرة تقع في جنوب منطقة القصيم. انظر معجم بلاد القصيم، للعبودي، ج١ ص٣٥٣

(٢) السر: منطقة تشمل عدة قرى أهمها ساجر، وتتبع اداريا لأمارة الدوادمي.

(٣) الشبكة: هناك أكثر من موضع بهذا الاسم في نجد، ولعل المقصود الشبكة الواقعة في منطقة الدوادمي. كما أن هناك الشبيكة قرب بلدة الروضة في منطقة حائل. وهناك الشبيكية المشهورة قرب الرس. المؤلف.

وشمّر في مناخ المستوي[1] سنة ٩٦٦هـ[2].

زبْن بن جُمْعَة بن جبَار : حيث ذكر الشيخ عبدالقادر الجزيري (٩١١ ــ ٩٨٠هـ) في تاريخه وهو يتكلم عن دَرْك بني سالم في وادي الصفراء فيما بين المدينة وينبع خلال رحلاته للحج في النصف الأول من القرن العاشر الهجري أن صاحب هذا الدرك هو الشيخ زبن بن جمعة بن جبار شيخ المراوحة من بني سالم. ثم ذكر أنّه قُتل وهو يدافع عن الحاج فخلفه ابنه مضيّان بن زبْن في مشيخة قبيلة بني سالم الذين ذكر منهم: السعادين والسواعد والتمم وأولاد وافي والأحامدة والردادة والحوازم والرحلة ومزينة وبنو جميل والثوابت والغربان والخضرة والمفالحة والوسدة والحجلة والكدادات وذوي ظاهر والجوامع والقراف[3].

وبالمناسبة فإن المؤرخ عبدالقادر الجزيري من المشايخ الذي كانو يُرَافقون محمَل الحج المصري بتكليف من مماليك مصر، وقد رافق محمل الحج المصري أكثر من ثلاثين سنة[4] خلال الفترة من ٩٢٦ إلى ٩٦٦هـ.

مُضَيّان بن زبَن : حيث ذكر الشيخ الجزيري أنه الْتَقى به في بعض رحلاته للحج أثناء عبور الحاج المصري لدَرك بني سالم بين ينبع والمدينة[5]. ولا

---

(١) المستوي: بكسر الميم فسين ساكنة فتاء مفتوحة فواو مكسورة بعدها ياء: أرض واسعة تقع إلى الجنوب الشرقي من منطقة القصيم. معجم بلاد القصيم، للشيخ محمد العبودي. حرف الميم ج٦ ص٢٢٥٦

(٢) تحفة المشتاق، مصدر سابق، ص٢٦

(٣) الدّرَر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، تأليف: الشيخ عبدالقادر الجزيري، تحقيق: الشيخ حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض سنة ١٣٩٩هـ، ص١٥٦٤ وص١٥٦٥ وص١٥٦٥، ومجلة العرب، مجلد٢٤، ص٥٥٠

(٤) المصدر السابق، ص٩١٥ وص٨١٠

(٥) المصدر السابق، نفس الصفحات وما بعدها.

أستبعد أن يكون مضيان هذا هـو الـذي ينتسـب إليـه آل مضيـان إذا مـا أخذنـا في الاعتبار رأي بعض المشككين في تاريخ ابن بسام.

مضيان بن أحمد: ورد ذكره في حِلْفٍ مع أحـد أشـراف المدينـة وهـو السـيد حسن بن علي بن شدقم الحسيني والد المؤرخ علي بـن حسـن بـن شـدقم صـاحب كتاب "زهرة المقول"، المتوفى سنة ١٠٣٣هـ. وتاريخ الحلـف علـى مـا يبـدو سـنة ٩٨٥هـ، حيث يذكر مؤلف زهـرة المقـول أن والـده حسـن بـن علـي تحـالف مـع مضيان بن أحمد شيخ بني سالم يومئذ، عندما ثار بنو السفر (الفردة والوهوب) على الشريف المذكور[١].

أحمد بـن رحمَـة بن مضيّان : وهو من أشهر شيوخ قبيلـة حـرب مـن أبناء هذه الأسرة، وقد ذكره السيد ضامن بن شدقم الحسيني وذكر أنـه كـان شـيخ بني سالم سنة ١٠٧٥هـ[٢]. أما مؤرخ الحجاز عبدالملك العصامي فقـد وصفـه سـنة ١٠٧٨هـ بأنـه: **(شـيخ العـرب وسـلطانها القـائم بخدمـة الحرمـين منـذ أزمـان، الشـهـاب أحمد بن رحمة بن مضيان)**[٣].

وقد شَهد عَصرُ الشيخ أحمد بن رحمة بن مضيان صراعاً مريراً بين قبائل حرب وأشراف الحجاز. وتاريخ رئاسته كان خـلال الفـترة مـن ١٠٧٠هـ إلى ١٠٩٠هـ تقريباً.

(١) تحفة الأزهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار، تأليف: السيد ضامن بـن شـدقم بـن علـي بـن حسـن بـن علـي الحسيني، مخطوطة مديرية الآثار العامة، بغداد، الجزء الثاني، ورقة٥٢٤

(٢) تحفة الأزهار في نسب الأئمة الأطهار، تأليف: ضامن بن شـدقم بـن علـي بـن الحسـن الحسـيني، مخطوطـة، مديرية الآثار العامة، بغداد، ج٢ ورقة٥٢٤ و٥٢٥

(٣) تاريخ العصامي المسمَّى سمط النجوم العوالي، حوادث سنة ١٠٧٨هـ.

ويبدو من سياق هذه الأخبار أنه أحمد بن رحمة بن مضيان بن أحمد بن مضيان بن زبن بن جبار، والله أعلم.

بدوي بن أحمد بن رحمة بن مضيان : ورد ذكره سنة ١١٠٥هـ بما يفيد أنه كان شيخ حرب، حيث يقول المؤرخ المكي السنجاري: (**.... ولما كان يوم السبت ثالث عشر رجب ورد إلى مكة مورّق من البحر من عند مولانا الشريف ومعه أوراق لكبار العسكر ومضمونها: "أن رابع عشر الشهر ورد على مولانا الشريف قاصد من مصر معه خلعة وصحبته أمر باشوي بأن مولانا الشريف لا يعترض بدوي بن أحمد بن رحمة شيخ حرب ..... الخ**)(١).

كما ورد أنه كان شيخ قبيلة حرب سنة ١١٠٦هـ، ومن ذلك ما ذكره صاحب الدر الفاخر ونصه: (**أرسل محمد باشا يطلب من الشريف ـ سعد ـ أن يعيّن له أربعماية جمل بالكراء، فأرسل الشريف مهيدي إلى بدوي وأخيه مبارك أولاد أحمد بن مضيان شيخ حرب بهدية وكسوه وفرس لبدوي وأن يعين لمحمد باشا أربعماية جمل بالكراء، واستكرا منهم إلى ينبع**)(٢). وذلك في ربيع الثاني سنة ١١٠٦هـ.

كما ذكر أيضاً في أخبار مطلع سنة ١١١١هـ أن الشريف سعيد بن سعد ألبس بدوي بن مضيان شيخ حرب فرواً من القاقم وأهداه فرساً لأنه طلب من قبائل حرب أن يخرجوا معه لايصال الحج الشامي إلى العلا وحمايته من تهديد القبائل وخاصة عنزة(٣).

---

(١) منائح الكرم، مصدر سابق، ص١٨٥

(٢) الدر الفاخر، مصدر سابق، ورقة ٩٧ (٩٩).

(٣) الدر الفاخر، مصدر سابق، ورقة ١٠٢ (١٥٠).

كما سجل أيضا وفاة الشيخ بدوي بن مضيان فقال: (**وفي أول ربيع الأول** ـ أي سنة ١١١٤هـ ـ **انتقل إلى رحمة ا لله بدوي بن أحمد بن رحمة شيخ حرب، وسبب موته كسل نحو سنه، ووصل إلى المدينة ونزل في النقا خارج المدينة يقصد أنه يتطبب، ولم يشف مما به، وبرز من المدينة إلى الصفراء مسكنه، وكانت وفاته هناك، وكان رجلاً مسدَّداً. فبعد وصل الخبر إلى مكة أرسل الشريف سعد وأقام أخوه مبارك مقامه شيخاً على حرب**)[1].

مبارك بن أحمد بن رحمة بن مضيّان : تولى زعامة قبيلة حرب بعد أحمد بن رحمة، حيث يفهم من المصادر التاريخية الحجازية أنه كان شيخ قبيلة حرب في الحجاز سنة ١١١٦هـ. ومن ذلك ما أورده صاحب تحفة المشتاق عن لجوء أحد الأشراف إليه، ونصُّه: (.... **أما ما كان من الشريف سعيد بن سعد بن زيد فإنه توجه إلى جهة المدينة فنزل على مبارك بن رحمة شيخ حرب وشكا إليه ما فعله به بنوا عَمِّه** ...إلخ)[2] . ومع أن المؤرخ يسميه مبارك بن رحمة فإن ذلك من باب اسم الشهرة، وليس لأن أباه رحمة. كما ورد ذكره سنة ١١٢٢هـ[3] .

كما أشار صاحب الدر الفاخر إلى أن شريف مكة أراد الاستعانة بمبارك بن أحمد بن مضيان شيخ حرب ضد الشريف سعيد بن سعد فأرسل السيد عبدا لله بن بركات إلى ابن مضيان لكنه رفض التدخل في الصراع بين الاشراف واعتذر عن ذلك[4].

---

(١) الدر الفاخر، مصدر سابق، ورقة ١٠٩ (١١٣)، ومنائح الكرم، مصدر سابق، ص٢٧٧

(٢) تحفة المشتاق، أحداث السنة المذكورة، ص٦٢

(٣) خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام. السيد أحمد زيني دحلان، طبعة ١٣٩٧هـ القاهرة، أحداث السنة المذكورة، ص١٦٣

(٤) الدر الفاخر، مصدر سابق، حوادث ربيع الأول سنة ١١١٨هـ، ورقة ١١٨ (١٢٢).

هَزّاع بن مبارك بن مضيّان : حيث تفيد المصادر التاريخية أنّه كان شيخ حرب، كما أن سياق الأحداث التاريخية التي ارتبط اسمه بها يوحي بذلك حيث كان له دور كبير في حوادث المدينة المنورة سنة ١١٥٥هـ[١].

عِيد بن بدوي بن أحمد بن مضيَّان : وقد ورد ذكره في حوادث قبيلة حرب مع شريف مكة سنة ١١٥٥هـ[٢].

ثم أصبح لهذا الشيخ شهرة عظيمة بعد ذلك، حيث تسميه بعض المصادر التاريخية شيخ الحربية كافة، وذلك أنه اجتمعت عليه قبائل حرب وصار له مكانة كبيرة وقوة عظيمة، كان من نتائجها أن تحارب مع أمير الحج الشامي فتبعه إلى تبوك وحاصره بها وأخذ الحاج بكامله.

ثم بعد ذلك عزمت الدولة العثمانية على كسر شوكته، فأسندت ذلك إلى عبدالله باشا وعينته والياً على الشام، فخرج بقوة عسكرية كبيرة وتقاتل مع عيد بن مضيان قتالاً عظيماً، وانتصر عليه، وقتله سنة ١١٧١هـ[٣].

وبعد مقتل عيد بن مضيان عينت الدولة ابن عمه هزاع بن مبارك مكانه، لكن ابنه بدوي بن عيد عارض هذا التعيين وثار لمقتل والده حتى استرد المشيخة وتم تعويضه عن مقتل والده وأقاربه.

وقد أوردنا تفاصيل هذا القتال في كتاب: **فصول تاريخية من قبيلة حرب**، فليرجع إليه لمزيد من التفاصيل.

---

(١) مجلة العرب ج٧، ٨ س٢٠ ص٤٤٣، و س١٢ ص٣٨٢ الشيخ حمد الجاسر.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) انظر: افادة الأنام، مصدر سابق، ق ١٦٥ وما بعدها، وأعلام الحجاز، ج٤ ص١٨٩، وأمراء مكة في العهد العثماني، ص٢٨٣ ، ومجلة العرب، س١٢ ، ج٥ و٦ ، ص٣٥٤

رحمة الظاهري : وهو غير رحمة السابق وربما يكون من أحفاده ــ وقد ورد اسمه في وثيقة تاريخية مؤرخة في سنة ١١٦٤هـ ــ وهي عبارة عن مبايعة أرض وبئر في منطقة غرب المدينة[١].

بَدَوي بن عِيْد بن مُضيّان : وهو من أشهر شيوخ قبيلة حرب في عصره، كما كان له دور سياسي كبير في حكم المدينة في القرن الثاني عشر الهجري، ومن ذلك مثلاً مشاركته في بعض حوادث المدينة سنة ١١٨٧هـ[٢]. وقد مات هذا الشيخ مَغدوراً به في سجن الشريف سرور سنة ١١٩٢هـ، ومن أجل ذلك ثارت قبائل حرب على أشراف الحجاز إلى أن انتهى هذا الوضع بانضمام حرب إلى آل سعود في الدرعية سنة ١٢١٥هـ على يَدَيْ أبناء بدوي بن عيد وهما بدّاي وبادي[٣] كما سيأتي توضيحه في الفصل التالي.

بَادي بن بدوي بن مضيّان : وهذا الشيخ هو الذي وفَد على الامام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في الدرعية سنة ١٢١٥هـ تقريباً وبايعه على مناصرة الدعوة[٤]، وبذلك انضمّت معظم قبائل حرب ــ وخاصة بني سالم ــ إلى الدولة السعودية الأولى. وتُوفي هذا الشيخ سنة ١٢١٧هـ مصاباً بالجدري فخَلَفَه أخوه

---

(١) وثائق تاريخية من قبيلة حرب، مجموعة المؤلف.

(٢) مجلة العرب س٢٠ ص٤٤٥، حمد الجاسر.

(٣) المصدر السابق ص٤٥٥

(٤) عنوان المجد في تاريخ نجد، تأليف الشيخ عثمان بن بشر، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، أحداث سنة ١٢١٧هـ وسنة ١٢٢٠هـ، ج١ ص١٢٢ و١٣٧ ومع أن ابن بشر لم يورد خبر انضمام ابن مضيان إلى الدرعية إلا في أخبار سنة ١٢٢٠هـ إلا أن سياق الحوادث يفيد أن الانضمام كان في حدود سنة ١٢١٥هـ، كما سيأتي توضيح ذلك.

بدَّاي كما سيأتي.

بَدَّاي بن بدوي بن مضيّان : تولّى بعد أخيه بادي وكان له دور نشط وشهرة كبيرة في أحداث ضم الحجاز للدولة السعودية الأولى وتوفي سنة ١٢٢٠هـ فخلَفه مسعود بن مضيان. كما يقول ابن بشر[١].

بسم الله الرحمن الرحيم

من بداي بن مضيان الشيخ الكريم ومن يراه من كبار أهل المدينة السلام
على رسول الله صلى الله عليه وبعد يكون عندكم معلوم أن حرم الله وحرم رسوله
ما فيه قتال ونهانا نبينا صلى الله عليه وسلم قال عليه الصلوة والسلام
حرمت بلدي هذا كحرمة بيت الله ونقول سمعا وطاعة لله ورسوله
ونعوذ بالله أننا نقاتل في حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عن
أصحابه أجمعين ولكن فعل نبينا صلى الله عليه وسلم فيه قدوة قطع
السبيل عن مكة وتضييق عليها الطرق حتى فتحها الله له وهنا
[illegible] منكم على دين الله ورسوله إن كان لكم بالأمن والمعيشة نصيب
فاقبلوا النصيحة العافية ترى هنا نعزمكم على كلمة سواء بيننا وبينكم
أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا وردوا الأمر إلى الكتاب والسنة
ورسوله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

الشكل رقم (١)

صورة من كتاب الشيخ بداي بن مضيان إلى كبار أهل المدينة، وهو الكتاب المشار إليه في الكتاب المرفوع من أهل المدينة إلى السلطان في ١٩/١/١٢١٨هـ

---

(١) المصدر السابق ص١٣٨

وكان لهذا الشيخ دور بارز في حوادث ضم الحجاز إلى الدولة السعودية الأولى وخاصة خلال الفترة ما بين ١٢١٧هـ حتى ١٢٢٠هـ، حيث باشر قيادة القوات السعودية التي حاصرت المدينة خلال تلك الفترة، وتوضح الوثيقة المرفقة ـ الشكل رقم (١) ـ صورة الخطاب الذي بعثه إلى أهل المدينة آنذاك.

وبالمناسبة فقد أطلقت أمانة مدينة الرياض ـ مشكورة ـ اسم هذا الشيخ على أحد الشوارع في الدرعية الجديدة اعترافا بفضله.

مسعود بن بدوي بن مضيّان : من أعظم شيوخ قبيلة حرب من هذه الأسرة، عرف بالشجاعة والمهابة وكثرة الأتباع، وكان من أبرز قادة الامام عبدالعزيز وابنه سعود، وله دور لا يُنْسَى في دَحْر قوّات طوسون باشا في وقعة الخيف التاريخية سنة ١٢٢٦هـ، ولذلك عيّنه الامام سعود أميراً على المدينة إلى أن قُتل وهو يدافع عنها في أواخر سنة ١٢٢٧هـ كما سيمرُّ معنا.

الشكل رقم (٢)

احدى الوثائق التاريخية الخاصة بالشيخ مسعود بن مضيان أثناء امارته على منطقة المدينة المنورة من قبل الدولة السعودية الأولى خلال الفترة من ١٢٢١هـ - ١٢٢٧هـ، ومضمونها:

(بسم ا لله الرحمن الرحيم. من مسعود بــن مضيــان إلى مــن يراهــا[1] ويـرى فيصل بن حـجـِّي. السلام، وبعد؛ ما نرى في فتوى ابن حجـي نقـض ولا يردهـا .....؟[2]). الختم (مسعود بن مضيان)

ويمثل الشكل رقم (٣) احدى الوثائق المتعلقة بمسعود بن مضيان.

الشكل رقم (٣)

صورة مصغرة من وثيقة مؤرخة في ٢٨ رجب سنة ١٢٦٣هـ وموضوعها الاتفاق بين ورثة مسعود بن مضيان وبين ورثة مبارك بن عوض، وهذا نصها:

(الحمد لله وحده مؤرخ يوم ٢٨ رجب الفرد سنة ١٢٦٣ قد حصل التراضي بين ورثة مسعود بن مضيان في توريد الماء، تـميَّز لعيال مبارك بن عوض من الماء (ثلاثة عشر) قيراط: قيراطين في الحاجي بيد عيـد بـن نفيـع والبـاقي؟ هـم (أحـد

(١) يراها: أي يرى هذه الورقة.

(٢) الكتابة غير واضحة.

عشر) قيراط، تسعة في ابن مسفر وقيراطين في السليمانية. هـذا مـا حصـل عليـه الرضى؟ بشهادة صالح ابن؟ حسـين وشـهادة حـامد ابـن؟ نـامي. وكتـب بينهـم ابراهيم؟ ابن؟ سالم وا لله ورسوله خير الشاهدين).

غانم بن مضيّان : وهو من أشهر أعيان هذه الأسرة، تولّى رئاسة القبيلة بعد مقتل مسعود بن مضيّان. وعاصر استيلاء قوات محمد علي باشا على نجد، وله مواقف تاريخية هامّة.

وللشيخ غانم بن مضيان أخبار كثيرة في الوثائق العثمانية منها:

- خبر الوقعة التي حصلت بين غانم بن مضيان وابن مجلاد شيخ الدهامشة من عنزة في شهر جمادى الثانية سنة ١٢٣٥هـ.
- خبر الوقعة التي حصلت بين غانم بن مضيان وابن مخلف من شيوخ عنزة أيضاً وذلك في منتصف سنة ١٢٣٦هـ.
- اشتراك غانم بن مضيان في تمرد قبائل مسروح ضد محمد علي باشا في شهر رجب سنة ١٢٣٦هـ.
- اشتراك ابن مضيان في وقعة الشماسية الشهيرة في القصيم التي قُتل فيها الشيخ مشعان بن مغيلث بن هذال سنة ١٢٤٠هـ[١].
- رغبة غانم بن مضيان في الاستقرار بالمدينة كما ورد في طلب مرفوع منه إلى محمد علي باشا في شهر صفر سنة ١٢٤٣هـ.
- الخلاف بين غانم بن مضيان ومحمد علي باشا، كما ورد في وثيقة مؤرخة في ٩/١٠/١٢٤٣هـ[٢].

---

(١) عنوان المجد لابن بشر، أحداث سنة ١٢٤٠هـ، ج٢ ص١٩

(٢) لمزيد من التفاصيل حول هذه الأخبار والمصادر، يرجى الرجوع إلى كتابنا: فصول من تاريخ قبيلة حرب.

ثم لا تشير الوثائق التاريخية المتاحة بعد ذلك إلى أخبار الشيخ غانم بن مضيان، مما يوحي بأنه لم يعش طويلاً بعد هذا التاريخ.

وبخلاف ما يتداوله العوام عن علاقة هذا الشيخ بابراهيم باشا، فقد كان على خلاف كبير مع القواد المصريين كما سنوضح بالوثائق في الفصل الرابع من هذا المبحث.

والظاهر أن الشيخ غانم بن مضيان قتل سنة ١٢٤٥هـ تقريباً في خلاف داخلي بين قبائل حرب.

الشكل رقم (٤)

خطاب باللغة التركية من محمد علي باشا إلى غانم بن مضيان، وهذا نصه:

(عمدة القبائل والعشاير شيخ عربان حرب في أراضي نجد حالاً الشيخ غانم ابن مضيان زبن عشيرته. بعد السلام المنهي إليك أنه وصل عرضحالك وكافة ما ذكرته من كيفية شرح حالك صار معلوم لدينا والحال أنت تعلم طيب بأن زمام مصلحتنا دائماً في يد من يتولاها من طرفنا وبناءً على ذلك مصلحتنا بطرفكم فهي مفوضة لعهدة قدوة الأمراء الكرام ولدنا الحاج حسين بك محافظ المدينة

وسر عسكر بلاد نجد حالا فالمراد منك تكون دائماً في اطاعة ولدنا الموَمى إليه وتحت أمره بكلما يكون عايد لصالح المصلحة وتبذل جهدك ووجودك في صدق الخدامة وكلما يكون به راحتك تعرضه له وهو يفعله لك والذي لا يقدر على فعله يعرض إلينا ونحن نصدر أمرنا باجراه وقد حررنا إلى ولدنا الموَمى إليه على ذلك فأنت تعمل جهدك بتأدية الخدامة المرضية بمبادرة الموَمى إليه ويكون معلومك ذلك وسلام ٢٦ ج سنة ٢٣٦[1]).

الشكل رقم (٥)

ترجمة أحد الخطابات التركية المرسلة من محمد علي إلى الشيخ غانم بن مضيان، وهذه نص الترجمة:

(فخر القبائل وعمدة العشائر عربان حرب في أراضي نجد حالاً الشيخ غانم بن مضيان زين عشيرته، بعد السلام المنهي إليك بمقتضى صدقك وسدادك واقتضاء خلوص .....؟ بلغ مسامعنا متابعتكم؟ إلى رأي ولدنا محافظ المدينة المنورة في دفع شرور أرباب الشقاء وتأمين البلاد فرضينا ذلك بوفاء الخدمة

---

(١) المقصود ٢٦/٦/١٢٣٦هـ.

اللازمة عليكم، فيلزم أن تبادروا فيما يلزم خدمتكم وامتثالكم فيما يقتضيه رأي ولدنا المومَى إليه، وبذلك تحوز رضانا. وقد أصدرنا هذا الرقيم فأنتم على موجبه تمتثلوه؟ والسلام).

ذِيَاب بن غانم بن مضيّان : ذكر ابن بشر أنه كان زعيم بني سالم من حرب في مناخ المربَّع سنة ١٢٤٩هـ(١). ويبدو أن فترة رئاسته كانت قصيرة حيث لا تذكره المصادر كثيراً بعد هذه الوقعة. وبالمناسبة فهو غير ذياب بن شلاَش بن غانم بن مضيان المتوفى سنة ١٣٣٤هـ بل هو عم الأخير كما أكَّدَ لي الشيخ عبدالله بن نايف بن مضيان أمير بلدة مدَرَّج(٢) في القصيم.

شاهر بن غانم بن مضيَّان : شاخ بعد أخيه غانم وله شهرة كبيرة في نجد، وقد وجدت له توقيعاً في وثيقة مصرية يعود تاريخها إلى سنة ١٢٥٣هـ(٣).

كما ورد له ذكر في كتاب أصول الخيل العربية، إلاَّ أنه ورد برسم شاهد (بالدال)، وهذا تصحيف أو خطأ مطبعي والصحيح أنه شاهر وليس شاهد(٤).

وبالمناسبة فإن أولاد غانم المشهورين هم: ذياب وسيف وشاهر وشلاش وضيدان.

---

(١) عنوان المجد، أحداث السنة المذكورة، ج٢، ص٤٦

(٢) مُدَرَّج: بلدة عامرة تقع على بعد مائة وخمسة وعشرين كيلاً تقريباً من مدينة بريدة شمالاً. وسكانها الظواهرة من بني سالم من حرب، وأمير البلدة والقبيلة في الوقت الحالي أي سنة ١٤١٠هـ الشيخ عبدالله بن مضيان.

(٣) كتاب: من وثائق الدولة السعودية الأولى في عهد محمد علي، ط١ تأليف د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، المجلد الأول ص٥٧٦

(٤) أصول الخيل العربية الحديثة، مصدر سابق، ص٣٩١

وحيث أن هذا البحث المختصر يركّز على مشيخة آل مضيان في القديم وعلاقتهم بالدولة السعودية الأولى وعصر محمد علي باشا، فسوف لا نتحدث عن شيوخ آل مضيان المتأخرين وبطولاتهم، ليس تقليلاً من شأنهم ولكن لأن المقصود هنا هو توضيح بعض الحقائق المتعلقة بما يقال عن تاريخ ابن مضيّان وعن علاقته مع الدولة ومع ابراهيم باشا من روايات عامية لا تقوم على أساس تاريخي ولا تستند إلى حقائق واقعية!

بعض مشاهير قبيلة الظواهرة:

بالاضافة إلى أسرة آل مضيان، فقد كان في قبيلة الظواهرة شيوخ آخرون صار لهم شهرة ومكانة، إلاَّ أن ظهورهم كان بعد أن ضعفت مشيخة ابن مضيان الظاهري، وتقلصت مكانتها في الحجاز بعد استيلاء قوات محمد علي وقواده على الحجاز.

فالمعروف أن مشيخة ابن مضيان كانت لا تقتصر على قبيلة الظواهرة فقط بل تتعداها إلى قطاع كبير من قبائل حرب قبل حكم المصريين للحجاز، وذلك أن محمد علي وقواده أضعفوا مركز شيخ القبيلة بشكل عام ومشيخة الظاهري بشكل خاص.

[١] الشيخ عباس بن أحمد الظاهري:

لمع اسم هذا الشيخ الشهير كأحد أعيان قبائل المراوحة من بني سالم في منتصف القرن الثالث عشر الهجري تقريباً. وكان ظهوره حتمياً لسد الفراغ الذي تركه آل مضيان في الحجاز، وذلك أنه بعد مقتل الشيخ غانم بن مضيان انتقلت امارة آل مضيان إلى نجد وانحصرت على قبيلة الظواهرة في نجد.

وتفيد الوثائق التاريخية أن الشريف محمد بن عون قد عرض على محمد علي باشا اقتراحاً بتنصيب الشيخ عباس بن أحمد الظاهري في مشيخة قبائل المراوحة من حرب وبالذات قبائل الظواهرة والحوازم، وذلك في مطلع سنة ١٢٥٥هـ. إلاّ أن تعيينه لقي معارضة شديدة من قبائل ميمون ومن معها من مسروح، تضامناً مع شيوخ الأحامدة الذين أراد محمد بن عون اضعافهم[١].

ثم أصدر الشريف مرسوماً بعزل الشيخ زيد بن محمود الأحمدي وتعيين الشيخ عباس بن أحمد وذلك في آخر سنة ١٢٥٥هـ[٢].

وقد اشتهر من أبناء الشيخ عباس بن أحمد الظاهري: الشيخ نصار بن عباس الذي صار له ولأسرته شهرة كبيرة في مشيخة قبيلة الظواهرة بعد وفاة والده الشيخ عباس بن أحمد في حدود سنة ١٢٦٥هـ تقريباً.

ومن أحفاد الشيخ نصار بن عباس الذين أدركتهم الشيخ نصّار بن مهنا بن شاهر بن نصار بن عباس بن أحمد الظاهري وأبناؤه في مكة المكرمة. وقد زرت الشيخ نصار بن مهَنّا رحمه الله وذلك سنة ١٤١١هـ، واطلعت عنده على وثيقة مكتوبة باللغة التركية تخص جده نصّار بن عباس الظاهري مكتوبة سنة ١٣١٠هـ[٣]، (الشكل رقم [٦]).

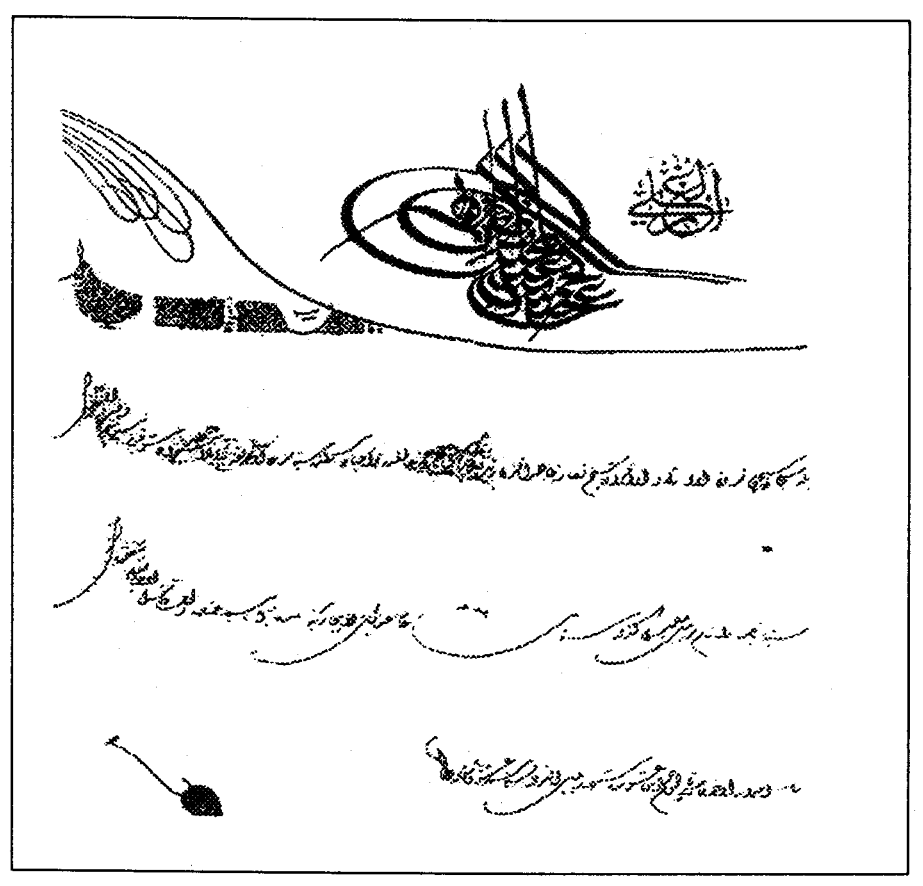
وكذلك شيخ قبيلة الظواهرة في الحجاز الآن وهو الشيخ محفوظ بن محمد ناصر بن نصير بن عباس الظاهري (انظر الشكل رقم [٧]).

---

(١) دار الوثائق القومية ـ القاهرة ـ محفظة رقم ٢٦٦ عابدين، وثيقة نمرة ١٨ أصلية، من سليم باشا إلى أحمد شكري باشا، بتاريخ ١٢٥٥/٤/٦هـ، ووثيقة نمرة ١٦ من نفس المحفظة، بتاريخ ١٢٥٥/٣/١٧هـ.

(٢) دار الوثائق القومية ـ القاهرة ـ محفظة رقم ٢٦٦ عابدين، وثيقة رقم ١٨٧ حمراء و٦ أصلية، من محمد بن عون إلى صاحب الدولة، في ١٢٥٥/١٢/١هـ.

(٣) مجموعة وثائق المؤلف.



الشكل رقم (٦)

صورة مصغرة من وثيقة مؤرخة في ١٦ رجب ١٣١٠هـ، وهي عبارة عن شهادة تقدير من السلطان عبدالحميد إلى الشيخ نصار بن عباس الظاهري. وهذا مفاد الوثيقة:

(الغازي ـ سلطان عبدالحميد بن عبدالمجيد

للاحاطة بأن شيخنا قدوة الأمة والأقران الشيخ نصار الظاهري أفندي قد نال عاطفة أعيان السلطنة السَّنِيـَّة خلال المدة الآنفة، واستحق صدور الاذن السنية موجب الكفاية إلى عثمان باشا.... تاريخ صدور الاذن؟: حرر في اليوم السادس عشر من شهر رجب من سنة عشر وثلثمائة. الختم الهمايوني)

[٢] أسرة ابن ناهض الظاهري:

وأسرة ابن ناهض أيضاً من الأسر التي لها مكانتها في مشيخة قبيلة الظواهرة بعد تراجع مشيخة ابن مضيان الظاهري في الحجاز.

ومن أوائل مشاهير هذه الأسرة الشيخ عطية الله بن ناهض الظاهري، الذي ورد اسمه في عدد كبير من الوثائق التاريخية خلال الفترة من سنة ١٢٤٨هـ إلى سنة ١٢٦٢هـ. وكذلك أخوه حمد بن ناهض الظاهري الذي ورد في وثيقة مؤرخة في ١٨/٢/١٢٧٠هـ. وكذلك محمد بن ناهض الظاهري الذي ورد في وثيقة مؤرخة في ٢/١١/١٢٦٤هـ و ٢٥/٧/١٢٧٧هـ.

ومنهم أيضاً ناهض بن عطية الله بن ناهض الذي ورد في عدة وثائق تاريخية خلال الفترة من سنة ١٢٨٠هـ إلى سنة ١٢٩٧هـ.

ومنهم أيضاً بالود بن ناهض الذي ورد في عدة وثائق تاريخية خلال الفترة من سنة ١٣٠٥هـ إلى سنة ١٣٢٠هـ.

ويعتبر ابن ناهض الظاهري هو حَنيَّة قبيلة الظواهرة. والحنيَّة هو الشخص الذي ترجع إليه القبيلة في محاجيبها وملازيمها ويكون عوناً لشيخ القبيلة.

وتنص وثيقة مؤرخة في ٣/٣/١٣١٤هـ، أن بالود بن ناهض الظاهري هو حنيَّة القبيلة.

ولا تزال حنية قبيلة الظواهرة ممثلة في أسرة ابن ناهض الظاهري التي لها مكانتها في القبيلة. والشيخ الموجود الآن من هذه الأسرة هو الشيخ عطية الله بن ناهض بن بالود بن ناهض بن عطية الله الظاهري، وهو رجل كبير في السن، فاضل كريم، وكذلك ابنه علي بن عطية الله واخوانه، ويقيمون في مدينة جدة[١]، (انظر الشكل رقم[٧]) المشار إليه.

(١) أي أثناء كتابة هذا البحث في سنة ١٤١٥هـ. المؤلف.

بسم الله الرحمن الرحيم - والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إنه يوم تاريخه الثامن من شهر جمادى الثانيه عام الف واربعمائه وخمسه من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تحاضروا رجال ذوي ظاهر في بيت شيخهم عطية الله بن ناهض الظاهري للنظر في موضوع طلب الظواهرة الموجودين في رابغ الرجوع إلى القبيلة وهم كالآتي.

١- محمد سعيد بن سعيد الظاهري ٢- خضر بن سعيد الظاهري ٣- مبارك بن سعيد الظاهري

٤- سعيد محمد سعيد الظاهري ٥- أحمد خضر سعيد الظاهري ٦- محمد مبارك سعيد الظاهري

٧- محمد بن محمد بن محمد الظاهري ٨- سعيد بن محمد بن سعيد الظاهري ٩- حامد بن خضر بن سعيد الظاهري

١٠- سعيد خضر سعيد الظاهري ١١- عادل خضر سعيد الظاهري ١٢- ياسر خضر سعيد الظاهري

١٣- صالح سعيد الظاهري ١٤- فوزي محمد بن حامد الظاهري

وقد حضر الشيخ نصار بن مهنا الظاهري والشيخ محفوظ محمد ناصر الظاهري شيخ ذوي عباس والشيخ عطية الله بن ناهض الظاهري والشيخ صالح بن ناهض الظاهري عن النواهضة - وراشد بن محمود الظاهري - ونصار بن عواد الظاهري عن ذوي رشود - ومحمد بن راشد وراشد محمد راشد عن الرواشدة - وعواد عطا الله الظاهري وعائض بن عطية الله الظاهري عن ذوي مصري - وعبد الله بن سلامه وعتيق الله بن عطية الله بن مهوس عن الزعوب - وعبد الله بن محمد عمر بن منور ومحمد عيد بن سليمان عن ذوي عيد - حامد بن عطية وسعيد بن احمد بن محمد عن ذوي سلمان - واحمد بن عفيت العريكي وابنه زين احمد العريكي واحمد بن موسى بن ناجي واخيه ناجي...... بن موسى بن ناجي عن ذوي عمير. ومحمد بن عيد وسعيد بن حمد بن عائض عن الجمايله.

واتفقوا جميعاً على تعيينهم ورجوعهم إلى القبيله ودمجهم في نسبهم القديم ... موسى بن ناجي الظاهري وقد طلبت منهم القبيلة كفيل ... فتكفل أحمد بن موسى الظاهري ولزم عليه مبارك بن سعيد بن سعد الظاهري فأصبحوا من تاريخه باسم ... الظواهرة بعد أن التمسوا أمام القبيلة أنهم لم يدخلوا في أحلاف مع أي قبيلة خلال الفترة السابقة كما أنهم ليس عليهم أي لزوم ماديه أو معنويه فلذلك اتفق الجميع وتكافلوا على ذلك والله ورسوله خير الشاهدين.

تكتب هذه السطور على عطية الله بن ناهض الظاهري

أمير القبيلة
الشيخ / محفوظ محمد ناصر الظاهري

الشيخ / نصار مهنا الظاهري

صحيح / شيخ قبيلة الظواهرة
وكيل
الشيخ عطية الله بن ناهض الظاهري

الشكل رقم [٧]

[٣] مبارك بن بُدَيْد الظاهري:

وهو من مشاهير الظواهرة، ويوجد وثيقة بدار الوثائق المصرية مرسلة من هـذا الشيخ إلى أمين أفندي في سنة ١٢٣٥هـ[١]، وأمين أفندي من باشوَات الدولة أتبـاع محمد علي باشا في الحجاز. وقد ورد لهذا الشيخ وأبنائه ومنهم فيصل وثـواب ذكـر يدل على شهرتهم ومكانتهم التاريخية في القرن الثالث عشر الهجـري[٢]. كمـا ورد اسم مبارك آخر في وثيقة تعود لسنة ١٢٦٣هـ[٣]، تخص شيوخ الظواهرة تنص على أنه مـبارك بن عـوَض (بسكون العين وفتح الـواو كمـا ينطقهـا أحفـاده بالحجـاز). وهذا يعني أن اسم مبـارك اسـم متكـرر في قبيلـة الظواهـرة، ممـا يـؤدي إلى صعوبـة التفريق بينهم وتداخل الجدود أحياناً.

وبالمناسبة فقد ذكر خير الدين الزركلي شيخاً باسـم: **مَـدْوخ بـن مضَـيَّـان**، وقال إنه أدرك معركة الامام سعود وطوسون[٤]. إلاّ أني لم اجد في المضايين شـيخاً بهذا الإسم. لكن المشهور في حرب هو الشيخ مَـدوَخ بـن معَـيَّـان (بـالعين) مـن شيوخ قبيلة بني علي الذي ورَد ذكره في بعض الوثـائق التركيـة[٥]، فلعـل الزركلـي الْـتَبَـسَ عليه الأمر لتقارب التركيب الشكلي في رسم ابن مضيَّان وابن معيَّـان! ولا

---

(١) الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانيـة، تـأليف د. محمـد بـن عبـدالله السـلمان، ط١ ص٤١٢

(٢) أصول الخيل العربية الحديثة، تحقيق: الشيخ حمد الجاسر، دار اليمامة، ص ٤٥٨ ـ ٤٦٢

(٣) مجموعة وثائق المؤلف. وانظر ملحق الوثائق في آخر الكتاب.

(٤) شبه الجزيرة العربية في عهـد الملـك عبدالعزيـز، خـير الديـن الزركلـي، ط٣، دار العلـم للملايـين، بـيروت، ص١٠٤

(٥) دار الوثائق القومية ـ القاهرة، محفظة ٢٦٢ عابدين، المرفـق العربـي للوثيقـة ٩٨ بتـاريخ ٢٧ جمـادى الأولى سنة ١٢٥٣هـ.

أستبعد أن الزركلي قد نقل عن مخطوطة أصول الخيل العربية، التي ورد اسم الشيخ مدوخ بن معيَّان محرَّفاً في عدة مواضع[1].

وبعد هذا العرض التاريخي السريع لبعض شيوخ قبيلة الظواهرة الأوائل، فسوف نلقي الضوء في الصفحات التالية على الدور السياسي لأسرة ابن مضيان مع زعماء الدولة السعودية الأولى ووقوفهم في وجه الحملات التركية ثم نهاية هذا الدور باستيلاء محمد علي باشا على المدينة ومقتل مسعود بن مضيان وعدد كبير من أعيان أسرته.

* * * * * * * *
* * * * * *
* *

(١) أصول الخيل العربية الحديثة، تحقيق: الشيخ حمد الجاسر، دار اليمامة، ١٤١٥هـ.

الفصل الثاني

****

مبايعة آل مُضَيَّان للسعوديين ودَوْرُهم في انضمام الحجاز للدولة السعودية

الفصل الثاني

مبايعة آل مضيَّان للسعودين ودورهم في انضمام الحجاز :

لَمْ يذكر المؤرّخون النجديون السنة التي وَفَدَ فيها شيوخ حرب من آل مضيان على الامام عبدالعزيز في الدرعية ليبايعوه وينضمُّوا إلى الدولة السعودية الأولى، وكل ما ذكره ابن بشر اشارة عابرة أوردها في حوادث سنة ١٢٢٠هـ في الكلام عن ضم المدينة حيث قال: (... **وذلك أن آل مضيّان رؤساء حرب وهُمَا بَادي وبَدَّاي ابْنَي بدَوي بن مُضَيّان ومَن تبعهم من عربانهم أحبُّوا المسلمين ووَفَدَا على عبدالعزيز وبايعوه، وأرسل معهم عثمان بن عبدالمحسن أبا حسين يعلّمهم فرائض الدين ويقرّر لهم التوحيد ... الخ**)[1].

وبالرغم من أهمية هذا الخبر فإن ابن بشر لم يَدَوّنه في تاريخه، ولولا علاقته بأخبار المدينة لسَقط من تواريخ نجد. وأعتقد أن وفادتهم على الدرعية ومبايعتهم كانت في حدود سنة ١٢١٥هـ أو قبلها بقليل وذلك للاعتبارات التالية:

١- أن الامام عبدالعزيز بن محمد توفي سنة ١٢١٨هـ رحمه الله، وأن مبايعتهم له كانت قبل وفاته بالطبع.

٢- أن الشيخ بادي بن بدوي بن مضيّان شيخ حرب المذكور توفي سنة ١٢١٧هـ[2] وأن المبايعة كانت قبل وفاته أيضا!

٣- يذكر ابن بشر: أن حرباً بعد مبايعتهم للسعوديين اتفقوا مع الامام عبدالعزيز

---

(١) عنوان المجد، لابن بشر، أحداث سنة ١٢٢٠هـ ج٢ ص١٣٧، وانظر تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، تأليف: سنت جون فيلبي، ترجمة عمر الديسراوي، مكتبة مدبولي ـ القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، ص ص١٦٢/١٦٥

(٢) المصدر السابق، ص١٢٢

على فتح المدينة فبَنَوا قصراً في عواليها وحاصروا المدينة وأقاموا على ذلك سنين كما سيأتي معنا عند الكلام عن حوادث تسليم المدينة. فإذا علمنا أن فتح المدينة تم سنة ١٢٢٠هـ[١]، فإن قوله: سنينن يقدَّر له بعدّة سنوات قبل فتح المدينة، وعلى هذا الأساس قدّرنا المدَّة بخمس سنوات على الأقل.

ومع أن ابن بسَّام في تحفة المشتاق يذكر أن حصار المدينة دام سنة ونصف[٢]، إلا أن ذلك لا ينفي ما ذهبنا إليه إذا ما أخذنا في الاعتبار القرائن المذكورة، وأن هناك مدّة بين مبايعة آل مضيّان وبداية حصارهم للمدينة.

٤ـ أن بعض التقارير التركية قد أشارت إلى انضمام القبائل المجاورة للمدينة إلى ابن سعود ومشاركتها في حصار المدينة سنة ١٢١٥هـ[٣].

٥ـ الخطاب المرفوع من بدَّاي بن مضيان إلى أهل المدينة يحثهم فيه على تسليم المدينة والانضمام إلى السعوديين ـ المنشور صورته في الفصل السابق ـ. ومع أن الخطاب غير مؤرخ، إلاَّ أنه يتضح من سياق الأخبار التاريخية أنه كتب في آخر سنة ١٢١٧هـ، لأن أهل المدينة قد أشاروا إلى كتاب ابن مضيان في خطابهم المرفوع إلى السلطان العثماني، بتاريخ ١٢١٨/١/١٩هـ[٤].

ويستفاد من عبارة ابن بشر السابقة أن حرباً وخاصة أتباع ابن مضيّان قد دخلوا في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عن رغبة واقتناع بعد أن تَبَيّن لهم حقيقة هذه الدعوة والقائمين عليها وما يتميَّزون به من العدل في معاملة الرعيّة.

---

(١) المصدر السابق، نفس السياق.

(٢) تحفة المشتاق، ص١٠٦

(٣) وثائق الأرشيف التركي، وثيقة رقم ١٩٦٩٣ خطي همايوني، كتاب من والي الشام عبدالله باشا إلى الصدارة العظمى، في ـ/ ـ/١٢١٥هـ.

(٤) أرشيف رئاسة الوزراء باستنبول، وثيقة رقم ١٩٣١٢ خطي همايوني، بشأن الخطاب العربي المرفوع من شيخ العرب بداي بن مضيان.

ولم يتم انضمامهم إليها عن طريق الاخضاع كما هو الحال مع كثير من القبائل الأخرى. ومع أن البعض قد يعزُو ذلك إلى خلاف حرب مع أشراف مكة[1]، إلاّ أنه معروف عن أبناء قبيلة حرب قابليتهم للدّين وانقيادهم للقيادة العادلة متى وُجدَت[2].

استيلاء ابن مضَيَّان على يَنْبُع سنة ١٢١٩هـ :

لقد أدَّى انضمام ابن مضيّان للسعوديين إلى زيادة حدّة الصراع بين السعوديين والشريف غالب شريف مكة، ولعبَت قبائل حرب دَوْراً هاماً في توسع السعوديين غرباً في صراعهم مع الأشراف إلى أن انتهى الأمر بدخول الحجاز في تبعيتهم أخيراً. وما حادثة ينبع هذه إلاّ جزء من هذا الدور الذي قام به ابن مضيّان خير قيام. حيث تذكر مصادر الشريف أن الشيخ بدّاي بن مضيان ومعه شيخ جهينة قد استولى على ينبع سنة ١٢١٩هـ وطرَدَ منها وزير الشريف، يقول المؤرخ أحمد زيني دحلان: (.... **وفي شهر صفر جاءت الأخبار أن بَدّاي شيخ حرب دخل ومَن معه في الطّين واستولوا على ينبع ومعه ابن جُبَارة شيخ جهينة وخَدَعَا وزيرها بعد قتال وحصار وإغارة** .... إلى أن يقول: **ودخل بدّاي وابن جبَارة ينبع مع كثير من حرب وجهينة)**[3].

ثم تفيد المصادر الشريفية أن بدّاي بن بدوي بن مضيان بعد أن استولى على ينبع عَيّن أحد أقاربه أميراً فيها وتركها، ثمّ إن الشريف داهمها بقوّات

---

(١) مجلة العرب س٢٠ ص٤٤٥، حمد الجاسر.

(٢) مرآة جزيرة العرب، أيوب صبري باشا، دار الرياض للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ، ج٢ ص٢٧٦

(٣) خلاصة الكلام، مصدر سابق، ص٢٨٤

برية وبحرية واستَرَدَّها بعد عدة محاولات أثناء غياب الشيخ بدّاي بن مضيان عنها[1].

دَور ابن مضيَّان في حوادث المدينة سنة ١٢٢٠هـ :

يقول ابن بشر: (وفي أول هذه السنة ـ ١٢٢٠هـ ـ قَبْل مبايعة غالب ـ شريف مكة ـ بايع أهل المدينة سعوداً عَلىَ دين ا لله ورسوله والسمع والطاعة، وهُدِمَت جميع القِبَاب التي وُضِعَت فيها القبور والمَشاهد، وذلك أن آل مضيّان رؤساء حرب وهُمَا بادي وبَدّاي ابني بدوي بن مضيان ومَن تبعهم من عربانهم من حرب أحَبُّوا المسلمين ووَفَدَا على عبدالعزيز وبايعوه، وأرسل معهم عثمان بن عبدالمحسن أبا حسين يعلّمهم فرائض الدين ويقرّر لهم التوحيد، فأجمعوا على حرب المدينة ونَزَلوا عَوَاليها، ثم أمَرَ عبدالعزيز ببناء قصر فيها فبَنَوه وأحكموه واستوطنوه، وتبعهم أهل قباء ومَن حولهم وضَيّقوا على أهل المدينة وقَطَعوا عنهم السوابِل وأقاموا على ذلك سنين، وأرسل إليهم سعود وهم في موضعهم ذلك الشيخ العالِم قِرناس بن عبدالرحمن صاحب بلد الرس المعروف بالقصيم فأقام عندهم قاضِياً معلّما كل سنة يأتي إليهم في موضعهم ذلك. فلمَّا طال الحصَار على أهل المدينة وقَعَت المكاتبات بينهم وبين سعود من حَسَن قَلْعِي وأحمد الطيّار والأعيان والقضاة، وبايعوه في هذه السنة)[2].

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة وما بعدها.

(٢) عنوان المجد لابن بشر، ص١٣٧

تعيين ابن مضيان أميراً على المدينة سنة ١٢٢٠هـ:

لا يذكر المؤرخون النجديون وعلى رأسهم ابن بشر شيئاً عن تعيين أمير المدينة من قبل السعوديين بعد استيلائهم عليها مع أن المصادر الحجازية تشير إلى أن الإمام سعود عَيّن الشيخ بَدّاي بن مضيان أميراً على المدينة وعلى قبائل حرب المُحيطين بها، ثم توفي بداي وحل محله مسعود بن مضيان[1].

وقد وَهَم د. عبدالباسط بدر فذكر أن الإمام سعود بن عبدالعزيز قد عيّن مبارك بن مضيان الظاهري الحربي أميراً على المدينة وقائداً للمرابطين، وكان مبارك قد أسهم في بناء القصر في العَوَالي وسُمِّي فيما بعد باسمه واستمرت امارته إلى نهاية الحكم السعودي أي سبع سنوات وبضعة أشهر ..الخ[2].

أقول: والصحيح أن الشخص المقصود هو مسعود بن مضيان وليس مبارك. ولكن د. بدر ينقل إما عن الجبرتي أو عن البرادعي في: تاريخ المدينة المنورة عبر التاريخ الاسلامي، وكلاهما قد وقعا في هذا الخطأ.

ويذكر البرادعي أن الأمير ابن مضيان قد سكن بالساحة وعرف سكنه بسقيفة الأمير نسبة إليه، والدار هي وقف الحمصاني ومعمورة حتى اليوم ويسكنها الشيخ محمد مرسي الذي يعمل بالمسجد النبوي الشريف كما أن من آثاره القلعة التي عرفت باسم قلعة ابن مضيان[3].

---

(١) خلاصة الكلام، ص٢٩٥، ومواد لتاريخ الوهابيين، الرحالة بوركهارت، تحقيق: د. عبدالله العثيمين ص١٢٣ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ، وكتابنا: ابن مضيان الظاهري وعلاقته بالحملات المصرية، للمؤلف، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص٣٥ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق، ص٤٣٢

(٣) المدينة المنورة عبر التاريخ الاسلامي، تأليف: أحمد بن صالح البرادعي، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ، ١٩٧٢، ص١٣٠

كما أشار إلى ذلك لوريمر في كتابه دليل الخليج، وهو يتكلم عن حوادث انضمام المدينة للسعوديين، فذكر أنه تم استبعاد الحاكم التركي، وَوُضِع أحد شيوخ قبيلة حرب مكانه(١).

وفاة الشيخ بدّاي بن مضيان سنة ١٢٢٠هـ :

في آخر سنة ١٢٢٠هـ توفي الشيخ بدّاي بن بدوي بن مضيان بعد اصابته بمرض الجدري، وقد عيّن الإمام سعود أخاه مسعوداً بن بدوي بن مضيّان مكانه زعيماً لقبيلة حرب ـ حيث يقول ابن بشر في تاريخه: (**وفيها مات رئيس حرب بدّاي بن بَدَوي بن مضيَّان بِعلَّة الجُدَري، وولّى سعود مكانه أخاه في بوادي حرب**)(٢).

لكن المؤرخ النجدي الشيخ ابراهيم ابن عيسى ذكر هذا الخبر في حوادث سنة ١٢٢١هـ(٣)، وكذلك فعل صاحب تحفة المشتاق(٤)، وقد يكون أحدهما نقل عن الآخر، لكني أميل إلى رواية ابن بشر لأنه أقرب عهداً منهما بتلك الحوادث.

أما المؤرخ أحمد زيني دَحلان فإنه يفيد بأن مسعوداً هو ولد بدّاي(٥)، وهذا قول ضعيف في نظري لأنه لا يُسَمّي مسعوداً باسمه بخلاف المصادر الأخرى، فالراجح أنه أخوه وليس ولده.

---

(١) دليل الخليج، ص٥٩٤

(٢) انظر عنوان المجد، لابن بشر، أحداث السنة المذكورة ص١٣٨

(٣) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ابن عيسى، ص١٣٢

(٤) تحفة المشتاق، لابن بسام، أحداث السنة المذكورة ص١٠٧

(٥) انظر خلاصة الكلام ص٢٨٤

ابن مضيّان يَحُجُّ مع الإمام سعود سنة ١٢٢١هـ :

يقول المؤرخ ابن بشر: (وفيها حَجّ سعود بن عبدالعزيز رحمه الله، بالمسلمين حجّته الثالثة، خَرَجَ من الدرعية ليلة الجمعة لاثنتي عشرة ليلة من ذي القعدة. وكان قد سَيَّرَ قبل خروجه وقت انسلاخ شهر رمضان عبدالوهاب بن عامر برعاياه من عسير وألـْمَع وغيرهم، وفهّاد بن سالم بن شكبان بأهل بيشة ونواحيها، وعثمان المضايفي بأهل الطائف ونواحيه وأهل اليمن وتهامة وأهل الحجاز ... إلى أن يقول: ثم سَيَّرَ أمامه من أهل نجد حُجَيلان بن حمد بشوكة أهل القصيم، ومحمد بن عبدالمحسن بن علي بشوكة أهل الجبل ومن تبعه من شمّر وغيرهم وشوكة أهل ناحية الوشم، وَوَاعَدَهم المدينة النّبَوِية. واجتمع معهم مسعود بن مضيّان وأتباعه من حرب، وذلك لأن سعوداً خاف من غالب شريف مكّة أن يُحدِثَ عليه بسبب دخول الحَوَاج الشامية وأتباعهم في مكة. فرجع عبدا لله العظم باشا الشام ومن تبعه من المدينة إلى أوطانهم، ثم رحل هؤلاء الأمراء وأتباعهم من المدينة وقَصَدوا مكة فاجتمعوا فيها بسعود فاعتمَروا وحَجّوا على أحسن حال)[1].

اشتراك مسعود بن مضيّان في مقاومة القوّات المصرية في رمضان سنة ١٢٢٦هـ :

لـمّا وَصَل طوسُون باشا بقوّاته أرض ينبع البحر وبدأ يُقيم معسكراته خارجها استعداداً للزحف صَوْب المدينة حَدَث أنّ فرقة سعودية مكوّنة من قبائل جهينة وحرب الـمُوَالين للسعوديين بقيادة كل من الشيخ جابر بن جبارة من شيوخ جهينة

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، لابن بشر، أحداث السنة المذكورة، ص١٤٠

ومسعود بن مضيّان أغارت على العساكر واشتبكت معهم في وقعة جزئية، وذلك يوم ٤ رمضان سنة ١٢٢٦هـ الموافق ٢٢ سبتمبر ١٨١١م، لكنّ هذه الفرقة لم تصمُدْ أمام قوّات طوسون باشا على حد قول مصادر محمد علي، ممّا اضطرّ هذين القائدين إلى التراجع والانضمام إلى القوات السعودية المحتشدة في بدر لملاقاة الحملة المصرية[١].

وعن حجم القوت السعودية المحتشدة حول ينبع يقول محمد علي في أحد تقاريره المرفوعة إلى السطان العثماني: (.... **وقد عَلِمُوا ــ** أي العساكر ــ **بالتحقيق أن على رأس الجيوش الوهابية عبدا لله بن سعود بالذات، يصحبه أعاظم رؤساء الوهابية، وبينهم محمد بن شكبان وأبو نقطة ومسعود بن مضيان وعثمان المضايفي وابن جبارة، ويبلغ عدد المقاتلة: أربعة آلاف من الهجّانة وخمسمئة من راكبي الخيول وألفاً من المشاة ...الخ)**[٢]

وتقول احدى الوثائق المرفوعة من محمد علي باشا إلى الباب العالي في اسطنبول بالافادة عن هذه الواقعة: (... **أقاموا ــ** أي العساكر ــ **خارج ينبع البحر وبينما هُم يرسلون رسائل التأليف والاستمالة إلى صنوف العربان، إذ هاجم الملعونان؟ المدعوّان جابر بن حبَارة ومسعود بن مضيّان أخص أصدقاء السعود وأهم رؤساء أنصاره مع ما استصحباه من حَشَرَات لا تُعَدّ، رُكبَاناً على الخيول الهجين، وحَمَلوا على العساكر المنصورة ... الخ)**[٣].

---

(١) محمد علي وشبه الجزيرة العربية، عبدالرحيم عبدالرحيم ج١ ص٣١٣/٣١٤

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء، وثيقة رقم ١٩٥٤٤، في ١٢٢٦/١١/١٩هـ.

(٣) انظر: دار الوثائق القومية، القاهرة، دفتر١ معية تركي محفظة٧٧ في ١٢٢٦/١١/٥هـ (١٨١١/١١/٢١م) من محمد علي إلى الباب العالي.وانظر: من وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر محمد علي، تأليف الدكتور عبدالرحيم عبدالرحيم، ج٢ ص٢٠٢

كما تذكر هذه الوثيقة أيضا أن هذه المعركة استغرقت ثلاث ساعات وانتهت بانتصار العساكر وانسحاب المهاجمين بَعد أن قُتل وجُرح منهم حوالي ألف، في حين بلغ قتلى وجرحى العساكر حوالي مائتين حسب الرواية المصرية.

وبالمناسبة فإن هذه المعركة تعتبر أول المواجهات بين العساكر المصرية التي تستخدم البنادق والمدافع والمتفجّرات المتطوّرة وبين عرب الجزيرة الذين يقاتلون بالسيوف والرماح وبنادق الفتيل في أحسن الأحوال، ولعلّ هذا ما يفسّر عدم صمودهم في تلك المواجهة، وارتفاع عدد قتلاهم وجرحاهم إن صدقت رواية عساكر محمد علي، حيث فتَكَتْ بهم أسلحة حديثة لا عَهْدَ لهم بها.

اشتراك مسعود بن مضَيّان في وقعة السُّوَيْقة وبَدر في ذي القعدة سنة ١٢٢٦هـ :

بعد زحف قوات طوسون باشا من ينبع إلى المدينة وأثناء اقترابها من بدر والسويقة حدث اشتباك بين العساكر وبين القوّات السعودية بقيادة عبدالله بن سعود الذي قاد قوّة كبيرة من أتباعه، كان من رؤسائهم مسعود بن مضيان وعثمان المضايفي ومحمد بن شكبان وابن جباره وغيرهم. وتذكر مصادر محمد علي أنّ القوات السعودية انسحبت من أمام قوات طوسون بعد أن خسرت حوالي مائتين من القتلى في حين لا تذكر هذه المصادر شيئا عن خسائر قوات طوسون[1].

---

(١) كتاب مجموعة الوثائق، د. عبدالرحيم، ج٢ ص٢٠٩، وانظر دار الوثائق القومية، دفتر١ محفظة ٧٩ في ١٢/١٩/ ١٢٢٦هـ ١٨١٢/١/٤م

دور مسعود بن مضيان في انتصار القوّات السعوديّة على الحملة المصرية الأولى سنة ١٢٢٦هـ :

بخلاف الاعتقاد السائد بأن حرباً هم الذين سهّلوا دخول الحملات المصرية في بداية مجيئها، فقد لعبَ ابن مضيان وأتباعه من حرب دوراً حاسماً في مقاومة هذه القوات، يوضح ذلك ما أورده ابن بشر بعد أن ذكر خروج القوّات المصرية في حملتها الأولى ووصولها إلى الشواطيء السعودية وخروج الامام عبدالله بن سعود بجنوده لمواجهتها، حيث يقول: (... **فنَهَضَ عبدالله بتلك الجنود ونزل الخَيْف المعروف من وادي الصفراء فوق المدينة النبوية واستعَدُّوا لإقبال العساكر المصرية. واجتمع معه من الجنود نحو ثمانية عشر ألف مقاتل وثمانمائة فارس. ولـمّا نَزَل عبدالله بالخيف أمَرَ مسعود بن مضيّان ومَن معه مِن بوادي حرب وجيش أهل الوشم أن ينزلوا في الوادي الذي في جانب منزلهم الذي هُم فيه مخافة أن يأتي معه دفعَةً من الترك فيفتِكوا بالمسلمين**). ويضيف ابن بشر أيضا: (**فالْتَقَى الفريقان وجعل عبدالله على الخيل أخاه فيصل بن سعود وحَبَاب بن قحيصان المطيري، فحَصَل قتال شديد وصَبَر الفريقان وكَثُرَ القتل في الترك والمسلمين**[١]**، وصار عدّة وقائع ومقاتلات في هذا المنزل وابتُلِي المسلمون بَلاَءً شدِيداً**)[٢].

ويواصل ابن بشر فيقول: (**وأقاموا على ذلك نحو ثلاثة أيام فأرسل عبدالله إلى مسعود بن مضيان ومَن معه من حرب وأهل الوشم وأمرهم أن يَحمِلُوا على الترك، فأقبلوا وصار أوّل حملة عليهم مع جملة جنود المسلمين فانهزمت العساكر**

---

(١) اعتاد مؤرخوا الدعوة السلفية وخاصة ابن بشر وابن غنام على هذه الصيغة في ظل تلك الصراعات السياسية، لكن هذا لا يعني نفي الاسلام عن غيرهم.

(٢) عنوان المجد، لابن بشر، أحداث السنة المذكورة، ص١٥٨

المصرية لا يَلْوِي أحدٌ على أحد، وانكشفوا عن مخَيّمهم ومحطَّتهم وولّوا مدبِرين وتركوا المدافع وهي سبعة والخيام والثقل والرحايل وكثير من السلاح وما في محلتهم من جميع آلات الحرب والذخاير)(١).

ويقول صاحب الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر مع التَحفظ على بعض عبارات هذا المؤلف المتحامل على السعوديين وأتباعهم: **(فلمّا نفَذَت ذخاير الوَهّابي(٢) وأوزعه واحتاج إلى رجوع النفس بَعَثَ [إلى] ابن مضيان من مكان مبعده عنه فيه فجاء معه ألف راية، فلمّا رَآه عسكر الوزير بهذا العدد قالوا هذا الوهابي الكبير يعنون سعود والذي في نجد ولده عبدالله، فأدبر عسكر الوزير مَمْشَى ثلاث ساعات على موضع يقال له بدر)**(٣).

وقال في موضع آخر عن الشيخ مسعود بن مضيان: **(والمذكور أعظم أقرانه في الشجاعة وهو الذي هَزَم عسكر الوزير المغفور له أحمد طوسون باشا ابن الوزير محمد علي باشا)**(٤).

وأخيراً فإنه من الانصاف أن نذكر أن أهل نجد من الحاضرة والبادية قد أبلوا بلاءً حسَناً في وقعة الخيف المذكورة سنة ١٢٢٦هـ واستشهد عدد كبير من خيار أهل نجد منهم: **مقرن بن حسن آل سعود، وبرغش بن بدر بن راشد الشبِيْبي وسعد بن ابراهيم بن دغَيْثِر ومانع بن كَدْم، ووُحَيْر العَجْمي** الفارس المشهور، **وهادي بن**

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) الوهابية مصطلح أطلقه واستعمله المناوئون لحكومة الدرعية، الذين تحاملوا على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي ناصرها آل سعود وحملوا راية الجهاد لنشر التوحيد في ربوع الجزيرة، لكن نجاحهم أثار نار الحقد والحسد في قلوب أعدائهم فأرادوا تشويه هذه الدعوة والقائمين عليها.

(٣) الدر الفاخر في أخبار العرب الأواخر، تأليف محمد بن بسام النجدي، تحقيق سعود بن جمران العجمي، ص١٥٨

(٤) الدر المفاخر في أخبار العرب الأواخر، ص٤٠

قَرْمَلة شيخ قحطان، **وراشد بن شبعان** شيخ بني هاجر، **وتوَيْم بن بصَيّص** شيخ الصعران من مطير وغيرهم[١].

احتلال وادي الصفراء والاستيلاء على بعض قُرَى حرب سنة ١٢٢٧هـ:

بعد هزيمة طوسون باشا في وقعة الخيف السابقة مكث محمد علي باشا يجمَع الأموال ويُجَهّز القوّات من المصريين والأتراك والمغاربة وغيرهم حتى تكوّن له قوّة هائلة فأرسلها إلى ابنه أحمد طوسون الذي كان قد اتخذ يَنْبُع قاعدة عسكرية له وأخضع ما حولها من القبائل كجُهَينة وبعض قبائل حرب. وبعد وصول تلك الامدادات له عاود طوسون باشا الكَرَّة على المدينة بعد سنة تقريباً من وقعة الخيف ولكنْ بقوّات أكبر وخبرة أكثر هذه المَرّة. فلم يجد صعوبة في اكتساح قُرَى حرب الصغيرة المتناثرة على الطريق بين ينبع والمدينة[٢]، وبالطبع فقد سار مع قواته بعض أهل هذه القُرَى مسير المغلوب مع الغالب لا مسير الخائن لبلده وقومه، فمسيرهم هذا يشبْه مسير بقيّة أهل نجد الذين مرّت بهم تلك القوات وفتحت بلدانهم بالقوّة كأهل القصيم وغيرهم[٣].

استيلاء طوسون باشا على المدينة المنورة سنة ١٢٢٧هـ:

كما تذكر المصادر التاريخية فإن الإمام سعود رحمه الله بعد وقعة الخَيف رَحل بقواته إلى مكة وحج ثم عاد إلى نجد بعد أن ترك في المدينة حامية من أهل نجد

---

(١) انظر عنوان المجد، أخبار وقعة الخيف سنة ١٢٢٦هـ، ص١٥٨

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد أحداث السنة المذكورة، ص١٦٠ وانظر: الدولة السعودية الأولى، د. عبدالرحيم عبدالرحيم، ط٤، ج١، ص٣١٥

(٣) الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية تأليف د. محمد السلمان ص١٠٦

مع مسعود بن مضيان. أما طوسون باشا فإنه بعد أن استولى على القرى والقبائل الواقعة في طريق المدينة تقدّم بجيوشه إلى أن وَصَل اطراف المدينة وبدأ الحصار والحرب للاستيلاء عليها، وقد استبسل المرابطون السعوديون في الدفاع عن المدينة، لكن القوات المصرية التركية كانت تفوقهم في العدد وفي نوعية التسليح الذي عموده المدافع والقنابل وغيرها ممّا لا قبَل لأهل الجزيرة به، ليس هذا فقط بل إن مرابطة المدينة الذين مع مسعود بن مضيان ابتلوا بخيانة الموالين لمحمد علي باشا وللدولة التركية فأدخلوا الترك قلعة المدينة دون علْم المدافعين عنها.

ولنستمع إلى ابن بشر في أحداث سنة ١٢٢٧هـ حيث يقول: (**في هذه السنة قَدِمَ من مصر أحمد بن نابرت على العسكر الذي في ينبع البحر مع أحمد طوسون وكانوا قد أقاموا في بَعْدَ وقعة الخيف المتقدّمة. فقَدِمَ عليهم ابن نابرت المذكور بعساكر كثيرة من مصر جهّزَها معه محمد علي صاحب مصر، فضَبَطوا الينبع وتبعهم بقيّة عربان جُهَينَة واستالوا ـ** هكذا ـ **على ينبع النخل. ثم على وادي الصفراء وبلدان بوادي حرب. ثم ساروا قاصدين المدينة النبوية وسار معهم بوادي حرب، فنزلوا على المدينة منتصف شوال وحاصروها أشد الحصار ونصَبُوا عليها المدافع والقنابر الكبار ـ** يقصد القنابل أو راجماتها ـ **وهدَموا ناحية قلعة البلد، وحفروا عليها السراديب وثَوَّروا فيها البارود، وكان فيها عدد كثير من جميع النواحي جعلهم فيها سعود وقت قفوله من الحج نحو سبعة آلاف رجل، لكنهم ابتلوا بالأمراض المؤلمة، ثم إن العساكر المصرية كادوهم بكل كيد وسَدُّوا عنهم المياه الداخلة في وسط المدينة، وحفَروا سِرداباً تحت سور قلعة المدينة وملؤوه بالبارود وأشعلوا فيه النار، فانهدم السور فقاتلهم من كان في من المرابطة قتالاً شديداً، ثم إن أهل المدينة فتحوا للترك باب البلد، فلم يَدْرِ** المرابطة **إلاّ والرمي عليهم من الترك داخل البلد وذلك لِتِسْعٍ مَضَيْنَ من ذي القعدة،**

فانحاز المرابطة وجنود المسلمين إلى القليعة فاحتصروا فيها. وكانت ضيّقة عليهم من كثرتهم، وصار فيها خلق كثير يرتكم بعضهم على بعض ونَصَبَ الترك عليهم القنابر والمدافع. فكانت القنبرة إذا وقَعَتْ وسَط القليعة أهلكت عدداً من الرجال، فكثر فيهم المرضى والجرحى. فطلبوا المصالحة بَعْد أيام. فنزلوا منها بالأمان)(١).

ويبدوا أن كثيراً من أتباع القوات السعودية قد تركوا المدينة أثناء المناوشات لـمَّا رأوا شراسة القتال ومَدَى قوّة عدوّهم و لم يصمُد في قلعة المدينة إلا نَفَرٌ قليل من أهل الصدق والشجاعة الموالين للسعوديين وعلى رأسهم الشيخ مسعود بن مضيان وأتباعه وحسن قلعي محافظ القلعة وغيرهم.

ونعُودَ إلى ابن بشر مرّة أخرى لمواصلة الخبر حيث يقول: (**وهَلَكَ في هذه الواقعة من المسلمين بين القتل والوباء والهلاك في البر بعد ما خرجوا من المدينة وقبل أن ينزل عليهم الترك نحو أربعة آلاف رجل من عسير وأهل بيشة والحجاز وأهل الجنوب وأهل نجد، وظهر باقيهم إلى أوطانهم، وأمسك الترك حسن قلعي وعذبوه بأنواع العذاب وبعثوه إلى مصر**)(٢).

أسْر الشيخ مسعود بن مُضَيَّان ونقله إلى استانبول واعدامه آخر سنة ١٢٢٧هـ :

من المؤسف حقاً أنّ المؤرخ عثمان بن بشر لم يذكُرْ شيئاً عن مصير الشيخ مسعود بن مضيان، ولعَلّ له عُذراً ونحن نلوم. لكنّ الله قيَّضَ لهذا البطل مَن يؤرّخ لقصة نهايته. فقد سجل ذلك صاحب كتاب **الدرر المفاخر** الذي يميل في تاريخه إلى

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، أحداث السنة المذكورة، ص١٦٠

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

جانب قوّاد الحملة المصرية وبعض القواد العثمانيين. حيث قال وهو يُعَدّدُ القوّاد الذين أسَرَهم محمد علي باشا وأولاده من أهل الحجاز ونجد: **(ومِنْ الأسرَى المذكورين مسعود بن مضيّان وهو مِن نواحي الحجاز وساكن المدينة المقدَّسَة على ساكنها أفضل الصلاة وأزْكَى التسليمات، والمذكور أعظم أقرانه في الشجاعة وهو الذي هَزَمَ عسكر الوزير المغفور له أحمد طوسون باشا)**[1].

وقال في موضع آخر عن قصة مقتله بعد أن وَصَف الاستيلاء على القلعة واستسلام من بقي من مرابطة المدينة: **(فبقِيَ مسعود بن مضيّان في قصره مُحتَصَراً ـ أي مُحاصَراً ـ حاير الأفكار، فدَعَوْهُ بلا أمان وطلَبَ الأمان فامتنع الوزير وقام ابراهيم نابرته وكتَبَ له على لسان الوزير أنك آمِن، فأقبَلَ وأكرَمَه الوزير اكراماً مفرِطاً، فلمَّا انتهى إلى ثلاثة أيام كل يوم أعظم إكراماً مما قَبْله وجاء نهار رابع أوثقوا قيُودَه وناقَشوه في أفعاله، فمَا أجاب بحُسْنَى ولا سَيّئة لمعرفته بالهَلاك، ومنهم حسن القلعي ضابط الحُجْرة الشريفة أخباره تطول)**[2].

ويؤكد محمد علي باشا نفسه استبسال المدافعين عن المدينة بقيادة مسعود بن مضيان فيقول: **(إنهم ثبتوا ثباتاً عنيداً في الدفاع زاعمين أن مدلول النظم المجيد [ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون] في حق أمثالهم من المبطلين، واعتقدوا أن هذا الدفاع يكون لهم ذخراً أخروياً، لا جَرَم حصل الاضطرار إلى حفر الألغام والنسافات من تحت الأرض .....الخ)**. ثم يذكر أنهم تمكنوا من اقتحام قلعة المدينة وافناء جميع المقاتلين والعفو عن بعضهم، ثم يقول: **(بَيْد أن اللعين المدعو ابن مضيان المحروم من الإيمان من أعاظم رؤسائهم**

---

(١) الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر، ص٤٠

(٢) الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر، ص٣٤

أوقف عند الباشا ....)[1].

ويوضح محمد علي باشا حنقه على الشيخ ابن مضيان فيذكر أن ذلك لا يتوقف على كونه قائد القوات السعودية في المدينة بل يذكر أنه لعب دوراً بارزاً في نشر الدعوة وضم كثيراً من قبائل الحجاز إلى الدولة السعودية معتمداً على مكانته وقبيلته الكبيرة الكثيرة النفوس، كما يقول[2].

كما ورد في افادة أخرى من محمد علي باشا إلى مندوبه في استامبول: أنه تم الإستيلاء على قلعة المدينة في ١٧ ذي القعدة سنة ١٢٢٧هـ، وأنه قد تم أسر الشيخ ابن مضيَّان، والتحفظ عليه لدى طوسون باشا في الحجاز استعداداً لارساله إلى استامبول[3].

والحاقاً لرسالة محمد علي السابقة، فقد بعث برسالة أخرى بهذا الخصوص جاء فيها: **(كنت قد سطَّرت لكم قبل الآن أنه سقط في اليد في وقعة المدينة المنورة كبير مشايخ قبيلة حرب ابن مضيان .... وتُرِك لدى ولدنا طوسون باشا. وقد أرسل الباشا الومَى إليه المزبور إلى طرفي، وأنا بدوري قد أرسلته إلى الدار العلية مع ولدي كامل اسماعيل باشا ....الخ)**[4].

كما أنّ إحدى الوثائق المصرية قد أشارت إلى مقتل مسعود بن مضيان ضمن

---

(١) دار الوثائق القومية ـ القاهرة ـ دفتر ١ معية تركي، وثيقة رقم ٩١، تقرير من محمد علي إلى الباب العالي، بتاريخ ١٢٢٧/١٢/٥هـ، (ص/ مكتبة الملك فهد الوطنية، فيلم٤).

(٢) دار الوثائق القومية ـ القاهرة ـ دفتر ١ معية تركي، وثيقة رقم ٩٩، كتاب محرر إلى الباب العالي للافادة بارسال مسعود بن مضيان إلى الاستانة، بتاريخ ١٢٢٧/١٢/١٥هـ.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، قسم الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/١ــ١٧١ تاريخها ١٢٢٧هـ، من محمد علي والي مصر إلى مندوبه في استامبول.

(٤) دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، قسم الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/١ــ١٢٨ وتاريخ ١٢٢٨/١/١٥هـ، خطاب مرسل من محمد علي باشا والي مصر إلى معتمده لدى الباب العالي نجيب أفندي.

تقرير مرفوع من محمد علي إلى اسطنبول حول مصير الأسرى من القوّاد السعوديين، حيث تذكر الوثيقة أنّه تَمّ قتل بعضهم واطلاق سراح البعض الآخر في حين تَمّ استبقاء مسعود بن مضيان ثم قتله من قبل الدولة وقوادها[1].

وقد أفادني الشيخ عبدا لله بن مضيّان أمير بلدة مدَرّج في القصيم، أن الذين قُتلوا مع مسعود بن مضيّان حوَالي أربعين فَرْداً من أعيان هذه الأسرة، وكنت لا أعتمد كثيراً على الروايات العامية فإذا بالمصادر التاريخية تؤيّد هذه الرواية، حيث يذكر الرحّالة السويسري بوركهارت الذي كان في الحجاز أثناء وجود محمد علي بها قصة نهاية مسعود بن مضيّان بشيء من التفصيل فيقول: (**أمّا مسعود بن مضيّان، الذي جعَله سعود شيخاً لكل قبيلة حرب ووضع تحته عدَداً من القبائل الأخرى، فكان قد رَغِبَ في ألاّ يقفل على نفسه داخل المدينة. وذهَبَ مع أسرته وأربعين رجُلاً من أتباعه إلى بيت في بستان كان قد حَصَّنه على بُعد ساعة من تلك البلدة**.. إلى أن يقول: **لكن حينما استسلَمَت القلعة، وذبِح أكثر رجال الحامية نَهَبَ الأتراك بيته وقَتَلوا أبناءه ورجاله وقيّدوه بالسلاسل، وأرسلوه إلى ينبع**). ثم يذكر بوركهارت أنه أرسل من ينبع إلى القاهرة ثم إلى القسطنطينية حيث قطعت رأسه[2].

وأخيراً فقد أشار بوركهارت إلى غدر رجال محمد علي باشا بأهل المدينة ومنهم مسعود بن مضيان حيث لم يُرَاعوا عادات أهل الجزيرة التي تحترم العهود

---

(١) دار الوثائق القومية ـ القاهرة، دفتر١ معية تركي محفظة رقم٩١ في ١٥/١٢/١٢٢٧هـ (٢١/١٢/١٨١٢م) وانظر كتاب: من وثائق الدولة السعودية الأولى في عهد محمد علي باشا ـ تأليف د. عبدالرحيم عبدالرحيم، ج٢ ص٣٠٣ ط١٤٠٣هـ.

(٢) مواد لتاريخ الوهابيين، الرحالة بوركهات، ترجمة د. عبدا لله العثيمين، ص١٢٣ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ.

وشروط الأمان التي أعطوها للقواد السعوديين فقال: (**وكان تصرّف الأتراك الغادر في المدينة اجرَاءً غير حكيم. ذلك أنهم كانوا يتحاربون مع عَدُوٍ مشهور بتَمَسُّكِهِ الشديد بالنيّة الطيّبة في تنفيذ وعده بالأمان متى ما وَعَدَ به. وقد أثار ذلك التصرف اشمئزاز كل البدو كما وَصَمَ، مع التصرفات الأخرَى المشابهة والتي سأذكرها فيما بعد، اسم الأتراك بالعار في كل الحجاز .... الخ**)[1].

كما أورد المؤرخ أحمد زيني دحلان خبَر مقتل مسعود بن مضيان بعبارة مختصرة جداً فقال: (**... وكان عثمان المضايفي قد بَعَثوا به إلى مصر ومعه ابن مضيّان قبل وصول محمد علي باشا إلى جدّة فلم يلتقِ به، ووصل عثمان المضايفي إلى مصر في منتصف ذي القعدة فأركبوه على هجين وأدخلوه في ألاَي لِيَرَاه الناس ثمّ أرسلوه إلى دار السلطنة ومعه ابن مضيّان فطافوا بهما في اسلامبول ثم قتلوهما**)[2].

* * * * * * *

* * * * * *

* *

---

(١) المصدر السابق ص١٢٤

(٢) خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ص٢٩٦

الفصل الثالث

* * * * * * * *

علاقة حرب بالحملة المصرية الأولى

(طوسون باشا)

الفصل الثالث
عَلاَقة حَرْب بالحَمْلة المِصريّة الأولى
(طوسون باشا)

إن كثيراً من المتأخرين قد لا يجهلون دور ابن مضيان الايجابي فقط بل إنهم يسيئون فهم علاقة قبيلته مع الحملة المصرية الأولى. فقد وصل الأمر إلى أنّ هناك من العوّام من يُرَدّد أن بعض شيوخ حرب وبالذات الشيخ ابن جزا الأحمدي قد ذهب إلى مصر يستقدم محمد علي باشا وجاء به إلى الحجاز. حيث يقول البلادي نقلاً عن أولئك العوّام: (**إنّه سافر إلى مصر في سنة ١٢٢٤هـ أو التي بعدها وصاح تحت قصر محمد علي باشا وقال: إن ابن سعود قد ربَط الخيل في الحرم، وعندما جهَّزَ محمد علي جيوشه لِغَزو الجزيرة كان ابن جَزا هذا أوّل دليل لهم .... الخ**)[١].

أقول: وهذا من تخرُّصَات العَوّام الساذجة التي لا تقوم على أساس تاريخي. وكان الأولى بالأستاذ البلادي ألاّ يتعجل في نقل كل ما يسمع، فمحمّد علي لم يأت بنَاءً على طلب هذا الشيخ أو غيره، فالثابت من واقع الوثائق والمصادر التاريخية أن محمد علي جاء بناءً على تكليف رسمي بعد طلَبات متكرّرَة من الباب العالي في استانبول بعد أن فقدَتْ الامبراطورية سيطرتها على الحرمين الشريفين وأزعجها تَوَسُّع الدولة السعودية المستَقلّة الذي أصبح يُهَدّدُ قيادة الدولة العليّة ومكانتها الاسلامية. يقول مؤلف كتاب مجموعة وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر محمد علي: (**وأمَامَ هذا الموقف الذي أصبح السلطان العثماني يُقَدّرُ خطورته على كِيَان سيادته الروحية ومكانته الإسلامية في نَظَر العالَم الإسلامي لم يكن أمامه**

---

(١) نسب حرب، لعاتق بن غيث البلادي، ص١٧٩، ط٣

من سبيل يستطيع أنْ يَحِيد عنه سِوَى اللجوء إلى الوالي الذي اغتَصَب منه ولاية مصر اغتصابا، فاتّجَه مصطفَى الرابع «١٨٠٧ ــ ١٨٠٨م» صَوْبَ هذا الوالي، يطلُب منه أن يقوم بمحاربة آل سعود واسترداد الحجاز ـ إلى أن يقول ـ: **وأصدر إليه أول تكليف للقيام بهذا العمل بشهر ذي الحجة ١٢٢٢هـ الموافق ديسمبر ١٨٠٧م ... الخ**[١].

كما أن هناك دليلاً آخر على خطأ ما ذهب إليه البلادي، وهو أن ابن جزا وهو الشيخ سعد بن جزا بن عامر متأخّر عن زمن وصول طوسون باشا سنة ١٢٢٦هـ، فالمعروف أنه تولّى الشيخة بعد عمّه وَصْل بن عامر في حدود سنة ١٢٥٠هـ، وتوفي سنة ١٢٨٨هـ تقريباًز أمّا الذي عاصر مجيء طوسون باشا فهو جزا بن عامر المقتول سنة ١٢٢٩هـ وليس أحد أبنائه! وهكذا يتّضح لنا عدم صحة الرواية التي نقلها البلادي دون تثبُّت.

أما قول البلادي: إن ابن جزا هذا كان أول دليل للمصريين، فهذا خطأ آخر حيث أن هذا يتنافى مع ما تنص عليه الوثائق المتبادلة بين محمد علي وقوّاده وبين محمد علي والدولة التركية وما تتناقله المصادر التاريخية من أن شيوخاً آخرين قاموا بهذه المهمّة من غير قبيلة حرب وقد سمَّتهم الوثائق والمصادر التاريخية، ونعرض عن ذكر أسمائهم إذ لا يتعلق لنا غرض بتسميتهم[٢].

---

(١) المصدر: مجموعة وثائق الدولة السعودية الأولى، د. عبدالرحيم ج١ ص١٠ وانظر: دار الوثائق القومية، دفتر١ معية تركي، وثيقة٥ من موسى باشا إلى محمد علي في ١٢٢٣/١٠/٨هـ (١٨٠٧/١٢/٩م).
وانظر أيضاً: الرحلة الحجازية للبتنوني ص١٤٨ وكذلك العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز، فائق بكر الصواف ص٦٠ (أصل الرسالة).

(٢) دار الوثائق القومية، دفتر١ معية تركي، وثيقة ٧٨ في ١٢٢٦/١١/٥هـ (١٨١١/١١/٢١م)، وكتاب مجموعة الوثائق ج٢ ص٢٠٦

ولعَلّ من أبرز مظاهر خطأ هذا الاعتقاد أيضا ما وقع فيه بعض المؤرخين المتأخّرين من الخَلْط بين أخبار قبائل حرب مع الحملة الأولى وأخبارهم مع الحملة الثانية، ومن ذلك مثلاً ما أورده السباعي في تاريخ مكة ثم نقله عنه البلادي، حيث ذكَرَ في أحداث سنة ١٢٢٧هـ أن طوسون باشا: (**شَرَعَ يكتُب سِرّاً إلى غالب في مكة وكِبار مشائخ حرب**). ويضيف البلادي نقلاً عن تلك المصادر: (**وأخَذَتْ قيادة الجيش المصري تصُبُّ أموالها وهداياها للعربان في ينبع والبوادي صبًّا. فَمِن ذلك أنّهم أعطوا كبير مشائخ حرب مائة ألف ريال ورَتّبُوا له رواتب شهرية كانت تُصرَف له دون إبطاء، فخَفّتْ قبائل حرب لمساعدة المصريين وتقَدّم رجالهم أمام الجيش حتى أدخلوهم المدينة في ٢ ذي القعدة من السنة المذكورة بعد أن قبَضوا على أميرها السعودي علي بن مضيان**)[1].

أقول: إنّ هذا القول وما شابهه يدل على عدَم دقّة ما كُتب حول دور قبائل حرب، ومثل هذا النقل الذي يفتقر إلى التحقيق هو الذي ساعد على ترسيخ هذا المفهوم الخاطيء عن انضمام قبائل حرب إلى الحملات المذكورة.

وللتدليل على بطلان هذا التقرير نكتفي بما يلي:

١ـ أن قوله: (**بَعْدَ أن قَبَضُوا على أميرها السعودي عَلِي ابن مَضَيّان**) إنّما هو تصحيف لعبارة: قَبَضُوا على ابن مضيان أميرها السعودي! فلم يُعرَفْ في أسرَة آل مضيّان شيخاً اسمه علي! كما أن عبارة دحلان تثْبت خطأ ما ذهب إليه السباعي ومن نقل عنه، لكنّ التسرع وعدم التحقيق حَوّل حرف الجر (عَلَى) إلى اسم عَلَم وهو **عَلِي**!

---

(١) نسب حرب للبلادي، ص١٢٥ وص١٧٨ نقلاً عن تاريخ مكة للسباعي ٢/١٤٠

٢ـ إذا كان شيخ حرب في ذلك الوقت هو الشيخ مسعود بن مضيان الذي كان يقاتل في صفوف السعوديين حتى استُشهد هو ومعظم أتباعه من آل مضيان وغيرهم وهم يدافعون عن المدينة فكيف يَتّفق هذا مع ما ذكرته تلك المصادر من أن شيخ حرب كافّة كما يقول أحمد زيني دحلان: **قد حضر ومعه أكابر العربان وحصل على مائة ألف ريال فرانسة ...الخ**[١].

أقول: إن هذا الخبر المتناقض قد شكك به بعض المؤرخين المحايدين، ومن ذلك ما ذكره الدكتور سعد بدير الحلواني: الذي علق على هذا الخبر بقوله: (... **وتغالي بعض المصادر في ذكر الرشاوي والهبَات التي كانت تعطَى لتلك القبائل فيذكر أحدهم: أن كبير مشايخ حرب حصل على مائة ألف ريال، ورَتبوا له رواتب شهرية وقد خصَّه من المبلغ ثمانية عشر ألف ريال ـ بَيْد أن هذا لا يمكن تصديقه لأن مثل هذا المبلغ كبير جدا يكفي لتجهيز جيش بأكمله في ذلك الوقت، ويبدو أن السباعي ناقل من الجبرتي إذ عثرت على نفس التقدير عنده**)[٢].

أقول أيضا: أما إن صَحَّ ما قيل عن إعطاء المخصّصَات المذكورة لزعماء قبيلة حرب أثناء حملة طوسون باشا فيحتمل أن يكون المقصود به ما دُفع من تعويضات عن مقتل الشيخ جزا الأحمدي لخليفته وصل بن عامر من قبَل وزير محمد علي في المدينة سنة ١٢٢٩هـ، حيث يقول بوركهارت: (**وتسلم شيخهم الجديد وزعمائهم الصغار هدايا ثمينة من طوسون، كما دُفِعَت دِيَة جَزا إلى**

(١) خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ص٢٩٥

(٢) العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن ١٩، تأليف د. سعد بدير حلواني، جامعة الأزهر، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، ص٤١، هامش رقم٣

أقاربه **حسب التقليد البدوي**)[1]، أو أنّ المقصود ما دفعه ابراهيم باشا لغانم بن مضيان من تعويضات عن مقتل الشيخ مسعود بن مضيان وهذا ما حصل بعد حملة طوسون بعدّة سنوات.

٣ـ كما يذكر الشيخ عثمان بن بشر فإن مكاتبة غالب للمصريين إنّمَا كانت بعد سقوط المدينة وتوَجُّه العساكر إلى مكة لأن هذه الحادثة أُضعفت موقف النجديين وشَجّعَتْ الشريف غالب على مكاتبة طوسون[2].

٤ـ لم يشتهر في المصادر التاريخية ـ وخاصة الوثائق المصرية المتبادلة بين محمد علي وقوَّاده ـ صراحة أن قبيلة حرب سَهّلَت مُهِمّة حملة طوسون باشا، مع أن تلك الوثائق تذكر بالتفصيل كل ما يتعلق بتحركات قواتهم والموالين لها. والحقيقة أنه لم يَسِرْ معها من قبائل حرب إلاّ من تمّ اخضاعهم وفتح بلدانهم بالقوّة[3].

بل إن المؤرخ المحايد الرحالة السويسري بوركهارت يذهب إلى أبعد من هذا القول ويؤكّد أن قبائل حرب لم تنفع معهم اغراءات طوسون باشا وقواده، بل هم الذين ظلُّوا مصدر الخطورة الذي يقلق قوات محمد علي، حيث يقول وهو يتكلم عن علاقة قبيلتي جُهَينة وحرب مع طوسون: (... **لكنّ القِسم الأكبر من تلك القبيلة** ـ أي جهينة ـ **وكل قبيلة حرب المجاورة لها بَقوا غير مبَالين**

(١) مواد لتاريخ الوهابيين، للرحالة جوهان بوركهارت، ترجمة د. عبدالله بن صالح العثيمين، ط١ سنة ١٤٠٥هـ ص١٦٠ وما بعدها، وكتاب: محمد علي وشبه الجزيرة، للدكتور عبدالرحيم عبدالرحيم ج١ ص٣٢٧ وما بعدها.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد، أحداث سنة ١٢٢٧هـ، ص١٦١

(٣) شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، تأليف خيرالدين الزركلي، ص٤٦٤ ط٣ عن دار العلم للملايين. وانظر: الدولة السعودية الأولى، د. عبدالرحيم عبدالرحيم، ج٢ ص٣٤٣ ط٥ . وانظر: شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ص٤٩٣

بإغراءاته)[1].

ويضيف بوركهارت أن طوسون استولى على وادي الصفراء بعد قتال مع رجال قبيلة حرب وواصل تقدمه إلى مضيق الجديّدة، فيقول: **(وفي ذلك المَمَر الضَّيّق الذي يمتَدُ طوله ساعة ونصف الساعة فوجِيء الجيش التركي بهجوم قوّة موحَدة من قبيلة حرب)**[2].

ليس هذا فقط بل إن محمد علي باشا نفسه، قد وَصَف مسعود ابن مضيان بأنه من أخص أصدقاء ابن سعود وأعظم أنصاره، حسب ما وَرَد في وثيقة رفعها للدولة التركية في ١٢٢٦/١١/٥هـ يخبرهم عن حادثة أول اشتباك بين قواته وقوات السعوديين[3].

بالإضافة إلى هذا فإن المصادر التاريخية تؤكد على أن قُرَى حرب الصغيرة مثل بَدر ووادي الصفراء والفُرع وغيرها لم تُسَلّم بسهولة وإنما بعد عراك شديد. فقد جاء في الأطلس التاريخي للدولة السعودية: أن طوسون باشا أغرى أحد شيوخ القبائل من غير قبيلة حرب بالخلع والأموال والهدايا، فاستمال ذلك الشيخ عدداً من مشايخ العربان قاموا للقوات المصرية بعمليات الاستكشاف: **(وبمساعدة هؤلاء تمكّنَت قوّات طوسون من الاستيلاء على السويقة وبَدر بَعد عِرَاك طويل مع القوات السعودية. وسُرعَان ما حَلّتْ بالقوَّات الزاحفة هزيمة كبرَى في أول اشتباك لها مع القوات السعودية بقيادة عبدا لله بن سعود ومسعود بن مضيّان في**

---

(١) موَاد لتاريخ الوهابيين، مصدر سابق، ص١١٥

(٢) المصدر السابق (مواد لتاريخ الوهابيين)، ص١١٦

(٣) دار الوثائق القومية، القاهرة، دفتر١ معية تركي، محفظة٧٧ في ١٢٢٦/١١/٥هـ، من محمد علي إلى الباب العالي في استامبول.

ممر وادي الصفراء)[1].

ومما يؤكد ذلك أيضاً ما جاء في أحد تقارير محمد علي باشا إلى الباب العالي والذي جاء فيه ما يلي: (.... **إن ما أرسل على وجه الاستعجال بمعية عبدكم أحمد آغا يكن إلى جانب الحجاز براً من أربعة فرسان من الكشافة [دليلان]، ورؤساء العرب المدعوين نصر الشديد وصالح أبي شعير لما وصلوا بمنّة تعالى إلى الأقليم الحجازي مع ما استصحبوه من قبائل الحويطات والصواحلة ما خلوا عن الإغارة ليلاً مع مشاة العساكر المقيمين بينبع البحر والبر وعساكر المغاربة الذين أرسلوا بالآخرة تارة على قرى بدر حنين والمدينة المنورة وتارة أخرى على نجعات العربان في يمين مضيقي الجديدة والصفرة وشمالها وبدأوا يداومون على وسائل استملاك المضيقين وأخذهما بنهب أزواد الوهابية وذخائرهم واغتنامها حيثما وجدوا، وبالسعي في تضييق الخناق عليهم وفي صور تضعيف العدو حتى دخلوا المضيقين واستولوا عليهما بحمد الله سبحانه وتعالى)**[2].

أقول: فهذه النصوص وغيرها تدلُّ على أنّ قرَى حرب على ضعفها لم تَفتَح أبوابها لقوّات طوسون باشا وإنما وَقَعَتْ بعد مقاومة وعراك، كما أن عربان حرب وعلى رأسهم ابن مضيان وأتباعه لم يُقدّموا التسهيلات لتلك القوات بل أذاقوها طَعم أوّل وأقسى هزيمة. كما أن نصَّ الشيخ ابن بشر لا يختلف كثيراً عن هذا حيث

---

(١) الأطلس التاريخي للبلاد السعودية ـ مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ملحق رقم١ ص١١،اصدار رقم١١ لعام ١٣٩٨هـ. وانظر: محمد علي وشبه الجزيرة العربية، د. عبدالرحيم ج١ ص٣١٤، وعجائب الآثار، للجبرتي ج٤ ص١٣٨، وانظر: دار الوثائق القومية ــ القاهرة، وثيقة٧٨ دفتر١ معية تركي في ١٢٢٦/١١/٥هـ، ووثيقة رقم٧٥ في ١٢٢٦/٩/٢٣هـ.

(٢) دار الوثائق القومية ـ القاهرة ـ دفتر نمرة ١ معية تركي، وثيقة رقم ٨٧، من محمد علي باشا إلى الباب العالي ــ بشأن التبشير بفتح الجديّدة ــ مؤرخ في ١٢٢٧/٩/٢٧هـ.

يُفـهَم منْه أن قوّات طوسـون باشـا استولت علـى بُلـدان وعربـان حـرب استيلاء عسكرياً لا عن طريق الأموال والهدايا[1].

كما أن كثيراً من المؤرخين المحققين الذين عددوا القبائل الـتي استمالها القـوّاد المصريون لم يذكروا قبيلة حرب[2].

ونفس الشيء أيضا نجده عند أمين الريحاني الذي يبدو أنه نقل عن ابـن بشـر، فقال: (**في سنة ١٢٢٧ جـاءت النجـدات المصريـة فأعـاد طوسـون الكـرَّة علـى المدينـة بعـد أن احتَـلّ ينبـع النخـل وضَـمَّ إلى جيشـه كثـيراً مـن أعـراب جهينـة وحرب**)[3].

وإذا ما استثنينا ما ذكرَه ابن بشر في أحداث سنة ١٢٣٠ من أن طوسون لـمّا وصل القصيم: (**أرسل عسكراً ونَـزَل الشّـبِيـبِيـّة بين عنـيزة والـخَبْراء ومعهـم بوادي حرب** ... الخ)[4].

أقول: إذا ما استثنينا هذا الخبر فإنه ليس هناك ما يدُلّ على اشتراك حرب مـع هذه القوّات بشكل مباشر خلال فترة تواجدها في نجـد الـذي استمَرَّ حـوالي أربـع سنوات. علماً بأن هذا المسير الذي ورَدَ اسم حرب فيه انتهـى سِـلْماً بـالصلح بـين أهل القصيم وطوسون، وكفَى ا لله المؤمنين شر القتال.

وبالمناسبة فقد ذكر مؤلّف كتاب **لَمْع الشهَاب** كلاماً متناقضاً عـن موضـوع انضمام حرب إلى طوسون باشا، ولكنْ يكفي أن نعرف أنّ ذلك المؤلف لـمْ يكُـنْ قريباً من تلك الحوادث و لم يكن من المؤلفين المحققـين، وأن كثيراً ممـا أورده تعـوزه

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، لابن بشر، ج٢ ص١٦٠ وما بعدها.

(٢) حياة محمد بن عبدالوهاب، للعقيلي.

(٣) تاريخ نجد الحديث، تأليف الأستاذ أمين الريحاني، دار الجيل، بيروت، الطبعة السادسة صفحة٧٣

(٤) عنوان المجد في تاريخ نجد، أحداث السنة المذكورة، ١٨٤

الدقة والتحقيق خاصة فيما يتعلق بالحملات المصرية كما يقول الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ محقق مخطوطته[1].

وهكذا فلم يذكُر أولئك المؤرخون دوراً هاماً لقبيلة حرب في مساندة القوات المصرية، مع أن بعض تلك القبائل كانت على خلاف حاد مع النجديين في تلك الأثناء. فالقوّات النجدية لم تتوقّف عن شن الغارات على بعض بوادي حرب خلال الفترة بين ١٢٢٨ و ١٢٣٠هـ، ومع هذا فإن أولئك البوادي لم يستَغلُّوا تلك الظروف للتَّشَفّي من النجديين. ولا يُستَبعَدُ أن تكون تلك العلاقات المتوترة بين الفريقين هي التي أفسحت المجال لإثارة الشكوك حول دور ابن مضيان وأتباعه في تلك الحقبة وما بعدها، وكما يقول الشاعر:

ليسَ الزمان وإنْ حَرَصتَ مُسَالِماً

خُلُقُ الزمَان عَدَاوة الأحرار

والله أعلم.

* * * * * * *

* * * * *

* *

---

(١) لمْع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، تحقيق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، من مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ص١١٦

الفصل الرابع

****

علاقة حرب بالحملة المصرية الثانية

(ابراهيم باشا)

الفصل الرابع

علاقة حرب بالحملة المصرية الثانية
(حَمْلَة ابراهيم باشا)

وصل ابراهيم باشا في آخر سنة ١٢٣١هـ إلى ينبع ثم وصل إلى المدينة فالحناكية. يقول الشيخ ابن بشر الذي نقل عنه كثير من مؤرخي نجد: (**وفي هذه السنة جهَّز محمد علي باشا العساكر الكثيفة من مصر والترك والمغرب والشام والعراق إلى نجد مع ابراهيم باشا فسار إلى المدينة النبوَية وضبَطَها ونواحيها ثم سار منها إلى الحِنَاكِيَّة الماء المعروف في تلك الناحية فنزلها وأقام فيها وأكثر الغارات على ما حولها من العربان وأخذ أموالاً وقتَل رِجَالاً، فاجتمع عليه بَوَادي كثيرة من تلك الناحية من حرب ومطير وغيرهم وعتيبة ومن عنَزة الدهامشة**)[1].

أقول: وهكذا جاء ابراهيم باشا ويسمّيه أهل نجد ـــ راعي الرقباء ـــ أي صاحب الرقباء ـ على رأس الحملة المصرية الثانية وكان يفوق أخاه شجاعة ودهاء. جمَع بين القوة والسياسة. كان صارماً غليظ القلب لكنه كان يُظْهرُ غير ما يُبْطن فاستطاع أن يستميل القبائل، وضَمنَ وصول قوافله وامداداته بمَأمَن من اعتداءات القبائل، ولعل هذا كان أهم أسباب نجاح الحملة المصرية الثانية.

والذي يَهُمُّنا هُنَا هو ما يقال عن موقف حرب مع جيش ابراهيم باشا حيث يبالغ بعض الرواة في تصوير موقف شيوخ حرب وبالذات الشيخ غانم بن مضيّان، ويسيئون تفسير حقيقة انضمامهم إلى ابراهيم باشا، لكنّ وثائق ابراهيم باشا تذكر

---

(١) عنوان المجد، لابن بشر، أحداث السنة المذكورة، ص١٨٧

عكس ذلك تـمَاماً حيث اشتكى مراراً من عدم تعاون شيوخ حرب معه ومـا يجـدُهُ منهم من عداوة وعصيان، حيث يقول ابراهيـم باشـا في احـدى رسـائله إلى والـده محمد علي: (**مولاِي وَلِـيُّ النّـعَم: إنّ عُربـان حـرب في جهـة الـجُديِّدة[١] يَظْـهَرُ منهم منذ القديم عدَمُ الطّاعة وإيصال الاذى وأنواع النهب والسَّلب نحو حجاج المسلمين ومنذ أتَيْتُ المدينة الـمُنَوّرة لم يقابلني شـيخهم الشـقي المدعـو زيـد بـن محمود[٢] ولا أحد من سائر مشايخهم لا من صغارهم ولا من كبارهم ...الخ**)[٣].

أقول: والحقيقـة أن غانم بن مضيّـان الظاهـري قـد كـان مـن أشـد المنـاوئين للقوّات المصرية، و لم يكن أوّل الـمُستقبلين لها، والسبب في ذلك واضح جداً وهـو أن هذه القوات قد قتلت كبـار أسـرته وعلـى رأسـهم الشيخ مسـعود بـن مضيـان وغدَرَت به بعد استيلائها على المدينة كما مَرَّ معنا. وللحق والانصـاف فـإن علاقـة ابن مضيان بالسعوديين كانت تقوم على أسس قوية من الارتباط السياسـي والديـني الذي كان من نتائجه استبسال الشيخ مسعود بن مضيان وأتباعه في صـد الحمـلات المصرية حتى ذهَبَ ضَحيّة لهذا الموقف المخلص. وبما أن ابراهيم باشا الداهية كـان يُدرك أهمية موقف ابن مضيان فقد كان لزاماً عليه أن يَحُل مشكلته معه بأيّ ثمـن.

---

(١) الجدَيّدة موضع قديم في وادي الصفراء قرب بدر في غربي منطقة المدينـة المنورة، اشتهر تاريخياً في كتب رحلات الحج بسبب وقوعه في مضيق استراتيجي على طريق الحج والقوافل بـين ينبـع والمدينـة، لكنـه اليـوم مكان شبه مندثر بسبب نضوب عيونه، وتلاشي أهميته. ويعـرف الموضـع الآن بخيـف أم ذيـّان وفيـه نخيـل وأملاك لقبائل من بني سالم من حرب. المؤلف.

(٢) زيد بن محمود: من شيوخ حرب، كان له شيخة وشهرة قديمـة، وكذلـك لأبنائـه مـن بعـده، وهـم شـيوخ الفضلة أحد البطون الرئيسية الثلاثة في قبيلة الأحامدة من ميمون مـن بـني سـالم مـن حـرب، وسـيأتي معنـا بعض أخباره في المبحث التالي من هذا الكتاب.

(٣) دار الوثائق القومية، محفظة٦ بحرا بـرا، رقـم الحفـظ ١١٥ في ١٨١٩/١٢/١٣م وانظر كتـاب: مـن وثـائق الدولة السعودية الأولى، د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، ج٢ ص٧١٩

وحتى يخفّف من عدّاء ابن مضيّان فقد كان من الضروري أن يتقرّبَ إليه بشتّى الوسائل التي في مقدمتها التكفير عن مقتل آل مضيان، وهذا ما يفسّر بَذلَه مبلغ مائة ألف ريال فرنسي وتوزيعها على مشائخ القبائل، منها ثمانية عشر ألف ريال تخص ابن مضيان وحده من غير الرواتب الشهرية له ولكبار رجاله، إذا صحّت هذه الرواية! وممّا يجب التأكيد عليه أيضا أن أهم أهداف عطاء ابراهيم باشا لشيوخ القبائل كان لـمُجَرَّد أن يوافقوا على عدم اعتراض قوافله وامداداته أثناء عبورها لأراضيهم، ولم يكن يشترط عليهم أن يسيروا معه لمحاربة النجديين كما يعتقد البعض.

يقول ضاري الرشيد في مذكراته التاريخية: (**وقام ـ يعني ابراهيم باشا ـ كلّمَا مَرَّ على رئيس بادية سَلَّمَه مائة ألف ريال على أنه يمْنَع قوافله عن قومه بواسطة خفير للامدادات التي تأتيه من مصر**)[1].

أقول: ولا يخفى على فطنة القاريء أن رواية ضاري الرشيد فيها مبالغة ظاهرة، لأنه ليس من المعقول أن يدفع المصريون مبلغ مائة ألف ريال فرانسة لكل رئيس بادية، لأن دفع مثل هذا المبلغ ذلك الوقت ليس متصوراً! لكنه من الوارد جداً احتمال صحة هذه الرواية عن كيفية أسلوب ابراهيم باشا في التعامل مع رؤساء القبائل!

ومن الواضح أن غانم بن مضيان لم يستسلم لمحاولات ابراهيم باشا بسهولة ولم ينضم له فور وصوله للحناكية، ولم يتم ذلك إلاّ بعد جهود مضنية استخدم فيها الأخير كل ما لديه من أساليب التحايل والدهاء، ومن ذلك مثلاً ضَرْبُ القبائل بعضها ببعض عن طريق الرشاوي والدسائس كما يقول أمين الريحاني[2].

---

(١) نبذة تاريخية عن نجد ـ املاء ضاري الرشيد، من منشورات دار اليمامة، تحقيق وتعليق الشيخ حمد الجاسر، ص٢٩

(٢) تاريخ نجد وملحقاته ـ أمين الريحاني ص٥٨، وشبه الجزيرة في عهد محمد علي، د. عبدالرحيم، ج١ ص٣٤٢

ويبدو أن دهاء ابراهيم باشا قد تفوّق في النهاية فانخدع الشيخ الجديد غانم كغيره من شيوخ القبائل، لكنه سرعان ما تخلّى عن الباشا بعدما أدرك حقيقة نواياه السيئة. يقول أحمد عبدالغفور عطار عن ابراهيم باشا: **(وخَدَعَ - أي ابراهيم باشا - غانماً بن مضيّان أحد رؤساء قبيلة حرب، فانضَمَّ تحت لِوَاء ابراهيم باشا بألف رَجُل مِن رجَاله الشجعان كامِلِي البَزّة ... الخ)**[1].

أقول: وممّا يؤيّد هذا القول أن متابعة ابن مضيان لابراهيم باشا لم تستمر طويلاً وأنه لم يشترك معه إلاّ في غزوة واحدة على إحدى القبائل، كما تذكر مصادر ابراهيم باشا نفسها: **(وذلك أنّ ابراهيم باشا سار في ١٧ يناير ١٨١٧م (١٢٣٢/٣/١٠هـ) من الحناكية في ألف وثمانمائة مقاتل ومعه غانم شيخ حرب في خمسمائة فارس فغزَا وغنِم وعاد إلى الحناكية[2] بسَلْب كثير من جُمْلته ٨٠٠ جَمَل و ٤٠٠٠ رأس غنم فهابته قبائل العرب وأتوه سِرباً صاغرين مستأمنين إليه)**[3].

ولم تُشِر المصادر بعد هذه الحادثة إلى أنّ غانم ابن مضيّان سار مع القوّات المصرية أو اشترك معها في فتوحاتها للحواضر النجدية. كما أنه لم يُذكَرْ عن ابن مضيان ولا عن مشائخ حرب عموماً أنهم ارتكبوا أعمالاً شائنة في حق النجديين أو تَوَلَّوا مناصب قياديّة من قبَل ابراهيم باشا وقوّاده. وممَّا يدل على تدهور علاقات ابراهيم باشا وقبائل حرب أنه أغار على بعض بوادي حرب في سنة ١٢٣٢هـ. حيث يقول ابن بشر: **(ثمّ دخلَتْ السنة الثانية والثلاثون بعد المائتين**

---

(١) صقر الجزيرة. أحمد عبدالغفور عطار، ص٨٠

(٢) الحناكية: موضع قديم وبلدة عامرة في هذا العصر تقع على بعد ١٠٠كم عن المدينة باتجاه القصيم، وهي تابعة ادارياً لامارة منطقة المدينة، وغالب سكانها من مسروح من قبائل حرب، المؤلف.

(٣) تاريخ البلاد السعودية. د. منير العجلاني ص٧٩ نقلا عن آثار الأدهار.

والألف والعساكر المصريون في الحناكية مع ابراهيم، ومعه البوادي المذكورون وهو يغير على بوادي نجد، فأغار على الرُّحَلة من حرب عند أبانات[1] الجبلان المعروفان فأخَذهم وقتَلهم)[2].

أقول: ويبدو أن هذه الوقعة كانت هي بداية انفصال ابن مضيّان وأتباعه عن ابراهيم باشا، ولعلّ هذا ما يفسّر عدم اشتراك حرب في الحوادث التالية. فلم يُذكَر مثلاً أن حرباً ــ وخاصة ابن مضيان ــ شاركوا في الحوادث التي تلت هذه الحادثة كحصار الرس وغيره.

ومن أراد مزيدا من التفصيلات حول هذا الموضوع فليرجع إلى ما ذكره المؤرخون، وبالذات كل من فؤاد حمزة والدكتور منير العجلاني والدكتور عبدالرحيم عبدالرحيم[3].

ولا تكتفي المصادر بعدم ذكر اشتراك حرب في حصار الرس، بل إنها تذكر أن بعض مشاهير حرب اشتركوا في الدفاع عن الرس وقُتلوا في تلك المعارك، ومن أولئك الشيخ العالم صالح بن راشد الحربي، أورد خبره الشيخ عبدا لله البَسّام في علماء نجد، وذكر أنه قُتل شهيداً في حرب الرس ضد ابراهيم باشا عام ١٢٣٢هـ[4].

---

(١) آبَانَات: يطلق هذا الاسم على مجموعة جبال مشهورة تقع غرب مدينة الرس على بعد ٥٠ كيلا منها. وينطقها المتقدمون كما يلي: أبان بالافراد أو أبانان بالتثنية أما المتأخرون فيطلقون عليها: أبانات بالجمع. وفيها الآن مركز أمارة تابع لامارة منطقة القصيم ويتبع هذا المركز عدة مراكز صغيرة. معجم بلاد القصيم للعبودي، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ، ج١ ص٢٢١

(٢) عنوان المجد، لابن بشر، ص١٨٨

(٣) تاريخ البلاد العربية السعودية ص٨١ وص٨٩، وانظر شبه الجزيرة في عهد محمد علي، عبدالرحيم عبدالرحيم ج١ ص٣٤٣، وانظر: في قلب جزيرة العرب ـ فؤاد حمزة ص٣٤٢

(٤) علماء نجد خلال ستة قرون، للشيخ عبدا لله بن عبدالرحمن البسام، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م). مطبعة النهضة الحديثة ــ مكة المكرمة، الجزء الثالث، صفحة٧٦٥

والشيء نفسه يمكن أن يقال عن حرب الدرعية حيث تجلّى عداء ابراهيم باشا لقبيلة حرب وحقده عليها بقتله بعض رجالها صبراً عن طريق تفجيرهم بالمدافع والقنابل. يقول ابن بشر عن قتلى الدرعية: (**ومنهم من جعل في ملفظ القبس والقنبر، فممَّن جُعِل في ملفظ القبَس والقنبَر علي بن حمد بن راشد العريني قاضي ناحية الخرج، وصالح بن رشيد الحربي من أهل الرس وعبدا لله بن صقر الحربي من أهل الدرعية ... الخ**)[1].

أقول: وما ذاك إلاّ بسبب صدقهم مع آل سعود وعدم تعاونهم مع قوات ابراهيم باشا، هذا في الوقت الذي أشارت تلك المصادر بشكل واضح ومفصل إلى آخرين تعاونوا مع ابراهيم باشا وقوّاده وخذلوا السعوديين في أحرج الظروف أثناء حصار الدرعية[2]!

إضافة إلى كل ما سبق فإن غانم بن مضيان لم يكتف بعدم مشاركة ابراهيم باشا بل إنه تمرد عليه وذلك أن ابراهيم باشا عندما كان يستميل القبائل في بداية وصوله كان يوزع عليهم المال وفي نيته أنه يسترده منهم بالقوة متى ما انتهت حاجته إليهم، لكن ابن مضيان فقط هو الذي استعصى على الباشا في حين لم يكن أحد يجرؤ على ذلك. وقد اعترف الباشا نفسه بفشله مع غانم بن مضيان. يقول ضاري الرشيد عن ابراهيم باشا وهذه القصة: (**وَجعَلَ كُلّمَا مَرَّ على رئيس من رؤساء البادية استرجع منه المال، والذي ما يَجِد عنده المال بعَينه يأخذ من مواشيه إبل وغَنَم، إلا ابن مضيّان من رؤساء حرب فإنه قد لاحظ ولم يتَلَقّاه، بل**

---

(١) عنوان المجد، لابن بشر، حوادث حصار الدرعية، ج٢ ص٢٠٦

(٢) عنوان المجد، حوادث سقوط الدرعية سنة ١٢٣٣هـ ج٢ ص٢٠٦ وانظر: تاريخ المملكة العربية السعودية، صلاح الدين المختار، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، ج١ ص١٧٤

جعَل بينه وبينه مسافة قليلة الـمِيَاه فلـمَّا أيِسَ مِنْهُ قال: إن مثـل ابـن مضيـّان كَـمَثَل الجربوع)[1].

ليس هذا فقط بل إنه لم يَرد عـن المصادر التاريخية التي اطلعنا عليها من وثائق ابراهيم باشا أو قوّاده ما يَدل على أن الشيخ ابن مضيّـان كان من المخلصين لزعماء الحملة المصرية، ولو كان ما يُقال عن ولاء ابن مضيان للباشا صحيحاً لَـمَا خـلَتْ منه الوثائق المصرية الـتي لم تـترك الاشـارة إلى مواقـف زعمـاء البلـدان والقبـائل في المنطقة وعلاقتهم بها[2].

وأخيراً فإن مؤرخا غربيا هـو الكـابتن فورتـر سـادلير الـذي زار الدرعيـة بعـد هدمها مباشرة وذلك سنة ١٩١٨م (١٢٣٤هـ) قـد أورد معلومـات هامـة ودقيقـة عن مكونات جيش ابراهيم باشا الذي حاصر الدرعيـة واقتحمهـا، وذكـر تفـاصيل دقيقة عن عدد القوات المصرية وعن القبائل التي اشتركت معها في حرب الدرعيـة، لكن هذا المؤرخ القريب من تلك الأحداث لم يذكر أن أحداً من حرب كان ضمن قوات ابراهيم باشا[3].

---

(١) نبذة تاريخية عن نجد ـ املاء ضاري بن فهيد الرشيد (منشـورات دار اليمامـة بالريـاض، تعليـق الشيـخ حمـد الجاسر) ص٣٢

(٢) دار الوثائق القومية، محفظة ٢٦٢ عابدين، رقم الحفظ ١٨٩ في ١٢٥٣/٧/١٧هـ وانظر: من وثـائق الدولـة السعودية الأولى، د. عبدالرحيم، ج١ ص٥٨٠ وانظـر: دار الوثـائق القوميـة، محفظـة ٢٦٢ عـابدين، رقـم الحفظ ١٣ في ١٢٥٣/٩/٢٠هـ، ومجموعة وثائق الدولة السعودية الأولى، د. عبدالرحيم، ج١ ص٥٨٥

وانظر: تاريخ نجد في عصور العامية، تأليف أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري ١٦٤/٢ نقلا عن نشأة أمارة آل رشيد للدكتور عبدالله العثيمين ص٥٤

وكتاب: من آدابنا الشعبية، تأليف منديل الفهيد، ١٤٠٣هـ، ج٣ ص١١٨

(٣) رحلة عبر الجزيرة العربية، مذكرات الكابتن فورتر سادلير، ترجمـة أنس الرفـاعي، تحقيـق: سعود بـن غـانم العجمي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١ سنة ١٤٩٣هـ، ص١٤٦

والخلاصة أن ما يُـرَدِّده العوَام عن علاقة ابن مضيان وأتباعه مع ابراهيم باشا أو غيره من قواد الحملات المصرية لا يَعدُو كونه من الروايات العامية التي لا تقوم على دليل واقعي، وإنما ذلك من ظلم التاريخ لهذه الأسرة الكريمة التي طبقت شهرتها الحجاز ونجداً خلال ثلاثمائة سنة من تاريخ المنطقة، فتنكَّرَ لها الزمان بعد اقبال، وهذه سُنَّة الحياة، ولن تجدَ لسنة الله تبديلاً!

* * * * * * * *

* * * * * *

* *

المبحث الثالث

مشيخة الأحامدة

في القرن الثالث عشر الهجري
(١٢٠٠هـ - ١٣٠٠هـ)

ويشتمل هذا البحث على مقدمة وثلاثة فصول:

الفصل الأول: الشيخ ابن جزا

الفصل الثاني: الشيخ ابن محمود

الفصل الثالث: الشيخ ابن مطلق

مقدمة المبحث الثالث

مقدمة:

بعد دخول القوات المصرية التركية للمدينة المنورة والقضاء على مشيخة ابن مضيان الظاهري من قبل قوات محمد علي باشا في أواخر سنة ١٢٢٧هـ، برز في قبيلة حرب مشيخات جديدة، وانتقلت زعامة قبائل بني سالم في الحجاز من قبائل المراوحة إلى قبائل ميمون وبالذات قبيلة الأحامدة.

ويلاحظ من قراءة تاريخ العلاقة بين الدولة والقبائل بعد استيلاء قوات محمد علي باشا على الحجاز ونجد أن عساكر الدولة حَوَّلوا زعامة القبائل من المشيخة الواحدة إلى تعدد المشيخات، فقسموا القبيلة الواحدة إلى أكثر من مشيخة، ولم يكتفوا بذلك بل إنهم أوجدوا بين تلك المشيخات تنافساً كبيراً، واستغلوا ذلك التنافس للسيطرة على القبائل واضعافها.

وسوف نلاحظ في هذا المبحث أن قبيلة الأحامدة وحدها في الحجاز خلال القرن الثالث عشر الهجري كان فيها ثلاث مشيخات، كل شيخ مستقل عن الآخر، وهي مشيخة ابن جزا في قبيلة الصميدات وابن مطلق في قبيلة الصخارنة وابن محمود في قبيلة الفضلة. وسوف نتناول في فصول هذا المبحث كل مشيخة على حدة بشيء من الاستعراض التاريخي الموثق.

ولعله من المناسب هنا أن نشير إلى ظهور مشيخة رابعة في قبيلة الأحامدة في آخر القرن الثالث عشر الهجري، وهي مشيخة ابن ناحل في نجد التي خصصنا لها بحثاً مستقلاً في آخر هذا الكتاب.

الفصل الأول

مشيخة ابن جزا

آل جزا هم شيوخ قبيلة الصميدات من قبيلة الأحامدة الميمونية السالمية، كما أوضحنا في المقدمة.

ويستفاد من المصادر التاريخية التي اطلعنا عليها أن أول من اشتهر في هذه الأسرة هو عامر بن جويبر من الصميدات من الأحامدة. فقد ورد في بعض مصادر تاريخ الحجاز أن ابن جويبر اشترك إلى جانب الشريف سرور في قتاله لأهل المدينة سنة ١١٩٤هـ[١].

كما أشار إليه المؤرخ ابن عبدالسلام الدرعي المغربي في رحلته للحج سنة ١١٩٦، ١١٩٧هـ. حيث نقل عنه الشيخ حمد الجاسر خبر الخلاف بين بعض قبائل حرب في وادي الصفراء وبين الحاج، إلاّ أن الشيخ حمد وقع في تصحيف بسيط فطبع الاسم في مجلة العرب: عامر بن جويسر، ولكن الصحيح أنه عامر بن جويبر[٢].

وقد برز بعد ذلك كمنافس قوي للشيخ ابن مضيان الظاهري الذي كانت تجتمع عليه مشيخة بني سالم في الحجاز حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري وبداية القرن الثالث عشر.

ويبدو أن الشيخ عامر بن جويبر مؤسس هذه المشيخة التي عرفت فيما بعد بامارة الشيخ ابن جزا، قد توفي في حدود سنة ١٢١٥هـ.

---

(١) انظر عن تفاصيل هذا الخبر كتابنا: فصول من تاريخ قبيلة حرب، حوادث السنة المذكورة.

(٢) ملخص رحلتي ابن عبدالسلام الدرعي، عرض وتلخيص الشيخ حمد الجاسر، منشورات دار الرفاعي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص٥٥، ومجلة العرب س٢٠ ص٤٢٣

جزا بن عامر بن جويبر:

ويعتبر المؤسس الحقيقي لامارة ابن جزا حيث عرفت هذه المشيخة باسمه واشتهرت خلال القرن الثالث عشر الهجري وما بعده باسم ابن جزا.

وذلك أن الشيخ جزا بن عامر بن جويبر الصميدي الأحمدي الذي عاصر وصول قوات طوسون باشا إلى الحجاز كان ذا هوى شريفي مما مَهَّد لانضمامه إلى قوات طوسون باشا التي دخلت المدينة فبرز كزعيم غير مُوَالٍ للسعوديين في الدرعية، واستغل محمد علي وأتباعه هذا الجانب كما استغلوا التنافس القديم بين قبائل ميمون والمراوحة، فقرَّبوا هذا الشيخ في الوقت الذي قضوا فيه على زعامة منافسه ابن مضيَّان الظاهري. ومع أن محافظ المدينة قد غدر بالشيخ جزا بن عامر وقتله بعد استيلاء المصريين على المدينة بسنتين. إلا أن أخاه وصل ومن بعده ابنه سعد بن جزا استطاعا أن يحتفظا بمكانتهما السياسية وأن يبرزا في رئاسة قبائل ميمون وخاصة في عهد الشيخ سعد بن جزا الذي استطاع أن يثبِّت شهرة هذا البيت باسم والده جزا الأحمدي، فعرفت هذه المشيخة ابتداء من رئاسته باسم الشيخ ابن جزا.

وقد خلف الشيخ جزا بن عامر والده في موالاة أشراف مكة ثم مال إلى طوسون باشا بعد دخوله الحجاز وشارك إلى جانبه في حوادث الاستيلاء على المدينة سنة ١٢٢٧هـ، لكنه لم يذهب إلى مصر ويستنجد بمحمد علي باشا كما نقل البلادي عن رواية العَوَام من كبار السن(١). وإنما انضم إلى قوات طوسون باشا أثناء حصارها للمدينة بعد استيلاء القوات المصرية على المنطقة بين ينبع والمدينة، كما أوضحنا في المبحث السابق.

---

(١) نسب حرب، للبلادي، مصدر سابق، ص١٧٩

وبعد دخول قوات محمد علي باشا على المدينة واستيلائها على منطقة الحجاز لمع نجم الشيخ جزا بن عامر في ظل القضاء على مشيخة ابن مضيان في الحجاز كما أسلفنا. لكن قواد محمد علي باشا ـ وخاصة محافظ المدينة ديوان أفندي ـ أرادوا الحدَّ من القوة المتنامية لهذا الزعيم البدوي، واستعجل محافظ المدينة التخلص من هذا الشيخ اثر مشاجرة بينهما، فدبر مقتله في شهر شعبان سنة ١٢٢٩هـ (الموافق أغسطس ١٨١٤م)(١).

وَصَل بن عامر:

بعد مقتل جزا بن عامر ثارت قبائل حرب على محمد علي باشا وقواده في الحجاز، وقطعت الطريق بين ينبع والمدينة وهو طريق الامدادات الرئيسي للقوات المصرية في الجزيرة العربية، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل إن الأحامدة ومن معهم من حرب صمموا على حصار المدينة مطالبين برأس محافظها ديوان أفندي. وهنا اضطر محمد علي باشا إلى التحرك لتسكين هذه الثورة. فأرسل ابنه طوسون من مكة إلى وادي الصفراء للتفاوض مع قبائل حرب، ونجح في تهدئة الفتنة والتوصل إلى هدنة مع القبائل، ساعده في ذلك وفاة محافظ المدينة أثناء التفاوض بين الطرفين، ويقال إن قتله كان مدبراً، فجنحت القبائل إلى الصلح بعد أن تم دفع دية الشيخ جزا الأحمدي وفق ما طلبه شيوخ الأحامدة وعلى رأسهم أخوه الشيخ وصل بن عامر(٢).

---

(١) انظر تفاصيل هذا الخبر في كتابنا: فصول من تاريخ قبيلة حرب، حوادث سنة ١٢٢٩هـ.

(٢) انظر تفاصيل هذا الخبر في كتابنا: فصول من تاريخ قبيلة حرب، نقلاً عن: [كتاب: مواد لتاريخ الوهابيين، الرحالة جوهان بوركهارت، ترجمة د. عبدالله بن صالح العثيمين، جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى، ص١٦٠ وما بعدها .. وانظر كتاب: محمد علي وشبه الجزيرة، تأليف د. عبدالرحيم عبدالرحيم ج١ ص٣٢٧/٣٢٨].

لكن محمد علي قام بتعيين الشيخ زيد بن محمود الفضيلي في مشيخة قبيلة الأحامدة ومن يتبعها من قبائل حرب.

واتسمت فترة رئاسة الشيخ زيد بن محمود الفضيلي بالتذبذب مع قواد محمد علي باشا، حيث كانت تتحسن حيناً وتسوء حيناً آخر بسبب سوء تعامل أولئك القواد مع العرب. وقد أدّى هذا الوضع غير المستقر إلى قيام محمد علي بعزل الشيخ زيد بن محمود وتعيين الشيخ وصل بن عامر وذلك في منتصف سنة ١٢٣٦هـ، فأعاد المشيخة في الصميدات.

ففي ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٢٣٦هـ أرسل محمد علي خطاباً إلى الشيخ وصل الأحمدي يبلغه فيه بأنه قد تم تعيينه شيخ مشايخ الجديّدة ووادي الصفراء وذلك بناء على عدم لياقة الشيخ زيد واستمرار عصيانه وكذلك بناء على ما رفعه عدد من أعيان وشيوخ حرب في تلك المنطقة عن رغبتهم في ذلك الاجراء. وهؤلاء الشيوخ هم:

١ـ فوّاز بن حصاني من قبيلة صبح.

٢ـ عبدالواحد بن عاطف من قبيلة صبح.

٣ـ سلامة الطيير من قبيلة صبح.

٤ـ دخيل بن بكري من قبيلة صبح.

٥ـ ابراهيم بن سليمان من قبيلة الحوازم.

٦ـ ثلاب بن نصار من قبيلة الحوازم.

٧ـ سليمان القرف من قبيلة الحوازم.

٨ـ عوض بن نويفع من قبيلة الحوازم.

٩ـ مبرك بن راجح من بني عمرو؟

١٠ـ حمدان اللبين من بني عمرو؟

١١ـ محسن بن مطلق من قبيلة الأحامدة.

١٢ـ بنية؟ الشاربي من قبيلة الأحامدة.

١٣ـ عايق؟ بن سعيدان من قبيلة الأحامدة.

١٤ـ مفرّج بن جارا لله من قبيلة الأحامدة.

حيث رفع الشيوخ المشار إليهم التماساً إلى محافظ المدينة أحمد آغا بهذا الخصوص كما يقول محمد علي في خطابه الموجه إلى الشيخ وصل والذي جاء فيه: **(فبناء على انهاء أحمد آغا واستدعاء الشيوخ المذكورين، قد انعطف توجهنا إليك وقبلنا رجاء المذكورين والتجاءهم ونصبناك شيخاً على قبيلة حرب، فيوصل مرسومنا هذا إليك ولاطلاعك على مضمونه، فتوجه لطرف الوكيل المومى إليه بالمدينة المنورة تلبس خلعتك وبموجب ما يوصيك وينبّه عليك المرقوم تعمل وتكون دائماً مطيعاً إليه ومنقاداً إلى رأيه بكل وجه، وتبذل جهدك ووجودك باجراء الصداقة بتأدية الخدمات المرضيَّة لدينا وتصرف كل امكانك وغيرتك باستحصال وسايل أسباب أمن حجاج المسلمين وسلامة أبناء السبيل، لتكون دائماً مشكور المساعي عندنا وتنال من طرفنا مزايا رضانا، اعلم بذلك واعتمد وتحاشا أمر مخالفته والسلام)**[1].

ومما يجب التنبيه إليه أن الوثيقة السابقة تسمي الشيخ المذكور وصل بن سليمان، مع أن المشهور وصل بن عامر، وهذا في نظري يحتمل أمرين لا ثالث لهما:

١ـ أن محمد علي أو كاتبه قد أخطأ في اسم وصل بن عامر وهذا وارد جداً لأن الزعماء الأتراك بعيدون عن معرفة القبائل العربية وأسماء شيوخها، ومثل هذا الخطأ له شواهد كثيرة في الوثائق التركية التي اطلعت عليها حيث ورد اسم شيخ

---

(١) دار الوثائق القومية ـ القاهرة ـ مكاتبة عربية، نمرة ١٥٠ ـ دفتر معية تركي رقم٧، بتاريخ ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٢٣٦هـ، (ص/مكتبة الملك فهد الوطنية).

الجديّدة مرة واصل بن سليمان ومرة واصل بن غانم ومرة واصل بن عامر.

٢ـ أن هناك شيخاً آخر اسمه وصل بن سليمان من الأحامدة، وهذا احتمال ضعيف جداً في نظري لأن وثائق قبيلة حرب ورواتها وكذلك الوثائق التركية لا تؤكد هذا الاحتمال، بل تؤكد عكسه، حيث تنص وثيقة أخرى من محمد علي إلى وكيل محافظ المدينة مؤرخة في ١٢٣٦/٦/١١هـ، بأن الأمير حسن بك قد قام بتعيين الشيخ وصل أخي الشيخ جزا المتوفى وألبسه الخلعة(١).

وقد ورد اسم الشيخ وصل بن عامر في عدد كبير من وثائق محمد علي باشا منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- وثيقة مؤرخة في ١٢٣٦/٦/٢٦هـ، وهي عبارة عن خطاب من محمد علي باشا إلى أحمد آغا وكيل محافظ المدينة(٢).
- وثيقة مؤرخة في ١٢٣٧/٥/١٧هـ، وهي عبارة عن خطاب مرسل من الدولة إلى وصل بن عامر، ومضمونها تأكيد صداقته وشكره لما رفعه حول تحالف ابن مضيان مع بعض قبائل مسروح وخروجهم على الدولة(٣). أنظر الشكل [١]
- وثيقة مؤرخة في ١٢٣٧/١٠/٢٠هـ، عبارة عن خطاب مرسل من الجناب العالي إلى الشيخ وصل رئيس عربان حرب، إلا أنه ينبغي التنبيه إلى أن الكاتب سماه الشيخ وصل بن مضيان، وهذا خطأ كتابي، كما يتضح من قراءة الوثيقة(٤).
- وثيقة مؤرخة في ١٢٤٢/١١/٢٥هـ، عبارة عن خطاب مرسل من الجناب العالي

---

(١) دار الوثائق القومية ـ القاهرة ـ وثيقة رقم ١٤٧، دفتر معية تركي، من محمد علي باشا إلى وكيل محافظ المدينة، بتاريخ ١٢٣٦/٦/١١هـ.

(٢) دار الوثائق القومية ـ القاهرة ـ دفتر٧ معية تركي، وثيقة ١٥٤، في ٢٦ جمادى الآخرة ١٢٣٦هـ.

(٣) دار الوثائق القومية ـ القاهرة ـ دفتر١٠ معية تركي، وثيقة ١٣٨، بتاريخ ١٢٣٧/٥/١٧هـ.

(٤) دار الوثائق القومية ـ القاهرة ـ دفتر١٠ معية تركي، وثيقة ٣١١، بتاريخ ٢٠ شوال، سنة ١٢٣٧هـ.

إلى الشيخ وصل لتطمينه بشأن تحركات الشريف يحي[1]، الشكل رقم [٢].

الشكل رقم [١] كتاب إلى الشيخ وصل بن عامر

الشكل رقم [٢] خطاب إلى الشيخ وصل

(١) دار الوثائق القومية ـ القاهرة ـ دفتر٢ عابدين، وثيقة ١٩٧، بتاريخ ١٢٤٢/١١/٢٥هـ.

ـ وثيقة مؤرخة في ١٢٤٣/١/٢٥هـ، عبارة عن خطاب مرسل من الجناب العالي إلى محافظ المدينة، بشأن الموضوع السابق[1]، الشكل رقم [٣].

الشكل رقم [٣] خطاب من الجناب العالي إلى محافظ المدينة

ـ وثيقة مؤرخة في ١٢٤٥/١٠/٢٤هـ، وهي معاهدة بين قبائل ميمون من بني سالم وبني محمود من قبائل بني عمرو أهل وادي الفرع[2]. وهذه الوثيقة ممهورة بختم الشيخ وصل بن عامر، وهذا نص الختم: **(الواثق بالله العزيز وصل بن عامر)**، الشكل رقم [٤].

---

(١) دار الوثائق القومية ـ القاهرة ـ دفتر٢ عابدين، وثيقة ٢٦٣، بتاريخ ١٢٤٣/١/٢٥هـ.

(٢) وثائق تاريخية من قبيلة حرب، وثيقة مؤرخة في ١٢٤٥/١٠/٢٤هـ.

نماذج قديمة من أختام شيوخ قبيلة حرب



صورة مكبّرة لختم الشيخ وصل بن عامر من شيوخ الأحامدة المشهورين
كما جاء في وثيقة مؤرخة في
سنة ١٢٤٥هـ تقريباً :



صورة بالحجم التقريبي لنفس الختم

الشكل رقم (٤) صورة مكبرة لختم الشيخ وصل بن عامر

والهدف من استعراض الوثائق السابقة هو تحديد فترة مشيخة وصل بن عامر تحديداً يقوم على الوثائق التاريخية لا على تخرصات العوام.

ويفيد تقرير مؤرخ في ١٢٤٩/١/٢٧هـ أن الشيخ وصل بن عامر قد ثار على دولة محمد علي التي عَيَّنَت ابن أخيه سعد بن جزا بمنصب شيخ مشايخ حرب.

غير أن الدولة سرعان ما اختلفت مع الشيخ سعد بن جزا، مما أدى إلى تدهور الأوضاع واستمرار الشيخ سعد في ثورته حتى سنة ١٢٥٦هـ، كما سيمر معنا.

ويظهر من سياق الأخبار التاريخية الموثقة لقبيلة الأحامدة أن هذا الشيخ توفي في حدود سنة ١٢٥٠هـ، ويفيد أحفاده أن أتباع محمد علي دبَّروا مقتله.

الشيخ سعد بن جزا:

وهذا الشيخ هو الذي اشتهر باسم ابن جزا، وكثير من العوام إلى عصرنا هـذا ينسبون إليه القصص التاريخية، فيقولون: فعل ابن جزا، وقال ابن جزا، ... وهـم لا يعرفون اسمه، ولا يدركون تاريخ شيخته، وإنما ينسبون إليه ذلك بسبب شهرته!

ويبدو من الوثائق التاريخية أن سعد بن جزا خلف عَـمَّـه وصـل بـن عـامر في مشيخة الصميدات بترتيب من محمد علي باشا، لكنـه مـا لبـث أن صـار لـه شـهرة كبيرة في قبيلة الأحامدة خصوصاً وقبائل ميمون عموماً، فأصبح أكبر شيوخ ميمون ولكن مع بقاء الشيوخ الآخرين في مكانتهم في قبائلهم وديارهم، وذلك أن سياسـة محمد علـي باشـا كـانت تقـوم علـى تعـدد المشـيخات لاضعافهـا عـن طريـق زرع الخلافات والدسائس بينها!

وقد مكث الشيخ سعد بن جزا فترة قياسية طويلة في المشيخة تمتد إلى أكثر من أربعين عاماً مما جعل تاريخه حافلاً وذكره بارزاً في تاريخ قبـائل حـرب في الحجـاز، وأدى إلى شهرته وشيوع صيته.

وقد نشر مؤلف كتاب: وثائق الدولة السـعودية الأولى في عصـر محمـد علـي، ترجمة الخطـاب المرفـوع مـن سـعد بـن جـزا إلى محمـد علـي في ١٢٤٩/١/٢٧هـ (١٨٣٣/٦/١٦م)، لكن المؤلـف وهـو د. عبدالرحيـم عبدالرحيـم وقـع في أخطـاء كبيرة لعدم معرفته بشيوخ القبائل العربية، ومن تلك الأخطاء على سـبيل المثـال مـا يلي:

١ــ أنه سَمَّى الشيخ سعد بن جزا: سعد بن مُـرَّة! وذلـك نتيجـة لتصحيـف الاسـم الأخير الذي يكتبه قواد محمد علي هكذا: جزة، مما أوقع الكاتب في هذا الخطـأ الفادح. رغم أن قراءة الخطاب نفسه تفيد بأن المقصود سعد بن جزا، لأنه أشار في الخطاب إلى كثير من أقاربه مثل عمه: وصل بن عامر وأخيه بخيت بن جزا.

٢ـ أنه سَمَّى الشيخ عطية بن رومي: عطية بن درمي! مع أنه أشار إلى ما يفيد بأن المقصود الشيخ عطية بن رومي شيخ زبيد أهل رابغ وأهل خليص، الذي اشتهرت مشيخته في تلك الفترة كما أشرنا في المبحث الأول من هذا الكتاب(١).

ونقتطف من ترجمة الخطاب المذكور ما يلي:

(من: سعد بن جزا شيخ مشايخ حرب إلى ولي النعم..... وهو أنه يوم نزل الحج الشريف في بدر وحنين لاقيناه بالخدمة والصدق والصداقة، وحضروا جميع العربان أهل الصرَّة المعتادة. وكل أخذ حقه بالعادة والقانون، وللمشيخة المذكورة ماية ريال، وثمانية ريال، بالطلعة عند التوجه إلى مكة المشرفة، وخمسين ريال بالرجعة عند الحضور إلى المدينة المنورة، والمبلغ المرقوم معتادة لشيخ مشايخ حرب، ويوم صار الاستلام بموجب المقيد بالدفتر ببدر وحنين حضر مفرج بن أخي الشيخ وصل بن عامر، بطلب الماية وثمانية ريال، حقة المشيخة، يقول: هذه لعمّي وصل بن عامر، ما هي للمشيخة، وان كان ما سَلَّمنيها أمين الصرة أعمل على الحج فتنة، بحال الزور والتعدي، ليس هي بالحق. ونظرنا في أمر المصلحة للحج ففهمنا أن الفتنة لا تمكن في وجه الحجاج، وسلمنا المبلغ المرقوم إلى ابن أخي الشيخ وصل المذكور، ورَدَّيناه لا يتعرض للحجاج، وكل ذلك لأجل راحة الحج ....، وبعده توجه الحج إلى مكة المشرفة بالسلامة، ومعه أخي بخيت بن جزه تحت المحمل بالخدمة، وكتبنا معه مكتوب إلى الشريف محمد بن عون بجميع ما صار من الفساد، من الشيخ وصل بن عامر، وبعده توجهنا إلى الجديدة بصرَّة عربان الأحامدة لاجل عادتها القديمة، يستلمها شيخ المشايخ ويفرِّقها عليهم في

(١) من وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر محمد علي، تأليف: د. عبدالرحيم عبدالرحيم، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، المجلد الأول، ص١٩١

الجديدة، ويوم حضرنا الجديدة لقينا الشيخ وصل رابط مع عربان الأحامدة المذكورين، رابطة انكم لا تأخذوا صرّتكم إلا عن الريال المصري، ريال فرانسة، وعن جوخة التتمين؟ جوخة عين، وعن أردب المسيري أردب قمح بعينه. وحصل لنا مع المذكورين غاية المشقة والتعب الكثير، وبعده استرضيناهم وأعطيناهم حقهم مع ضم زيادة من عندنا ...... وبعده توجهنا إلى المدينة المنورة وواجهنا الحاج سليمان آغا محافظ المدينة المنورة، وأخبرناه بجميع الفساد الذي صار من وصل بن عامر، ورجعنا إلى الجديدة، فوجدنا وصل بن عامر، رابط مع عربان الأحامدة رابطة أخرى: أنكم اقعدوا بالجديدة واعملوا على الحج فتنة عند رجوعه من مكة، وبعد يومين جانا مكتوب من عند الشريف محمد بن عون: أنكم لاقوا الحج في رابغ، أنت يا شيخ سعد والشيخ وصل ومشايخ حرب، فقلنا سمعاً وطاعة، أنا وجميع المشايخ، وأما الشيخ وصل، فقال: لا أخدم ولا أروح إلى رابغ، وأظهر العصيان، وبعد ثمانية أيام، جانا الشريف حسين والشيخ عطية بن رومي ومعهم كسوة إلى الشيخ وصل من عند الشريف محمد المرقوم، فيوم حضورهم لنا حضر لنا الفرمان المتوج بالختم الكريم، فقريناه على الشريف حسين والشيخ عطية المذكورين، فقالوا: سمعاً وطاعة لأمر أفندينا، ولكن أرسلنا الشريف محمد بحيلة على الشيخ وصل، لأجل سلوك طريق الحج، وحال أعطوه الكسوة توجهوا إلى مكة، وبعده جمعنا جميع مشايخ العربان، وقرينا عليهم الفرمان الكريم، فقالوا: سمعاً وطاعة، وأما وصل بن عامر ومفرِّج، عصوا ولم يحضروا لقراءة الفرمان، وبعده حال الحج من مكة، قابلناه في بدر وحنين، وحضرنا صحبته إلى الجديدة، وحال نزوله في الجديدة جاء وصل بن عامر، وأخذ الخمسين ريال المذكورة أعلاه، وكذلك مفرج أخذ كسوة وثلاثين ريال، وكذلك وصل أخذ ثمانية ريال باسم عودة، وأخذ جوخة باسم فواز، وجوخة

باسم محمود، وكل ذلك ترتيب جديد، بيد التعدّي ليس هو الحق، وصبرنا على جميع ذلك لأجل قلّة الفتنة في وجه الحج الشريف، وتوجهنا صحبة الحج إلى المدينة المنورة وأخبرنا سليمان آغا بجميع ما صار من الفساد من وصل ومن مفرِّج، وبعد الزيارة بكم يوم توجه الحج من المدينة، وتوجهنا بصحبته وعَدَّيناه من الجديدة بالسلامة .....الخ).

أقول: ويظهر أن العلاقة الطيبة لم تدم طويلاً بين الشيخ سعد بن جزا ودولة محمد علي، حيث يستفاد من الوثائق التاريخية أن الدولة اختلفت مع الشيخ الشاب سعد بن جزا الذي كان له طموحاته وتطلعاته التي لم تعجب السلطة في الحجاز، فقامت بخلعه.

ولكن يبدو أن الدولة لم تبادر إلى تعيين شيخ آخر مكانه في البداية معتقدة أنه يمكن تسيير أمور منطقة الجديدة ووادي الصفراء عن طريق مرابطة قوات عسكرية ضخمة فيها، غير أن هذا الاجراء لم ينجح، فقامت الدولة بإعادة تعيين الشيخ زيد بن محمود الفضيلي الأحمدي في مشيخة عربان الجديدة وذلك في أول سنة ١٢٥٣هـ[1]. كما سيأتي الكلام عن الشيخ ابن محمود في الفصل التالي.

لكن الشيخ سعد بن جزا لم يستسلم لهذا الأجراء، فقام بثورات عارمة ضد محمد علي وقواته، حسب ما تورده التقارير التركية خلال تلك الفترة. ومن ذلك ما أورده تقرير مرفوع من خورشيد باشا إلى محمد علي في شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٣هـ، جاء فيه: أن الشيخ سعد لا يزال متمرداً على الدولة، وأنه يهدد بقطع طريق وادي الصفراء، وقد انضم إليه بعض كبار الأحامدة ومنهم أخوه بخيت بن جزا وابن عمهما عامر بن وصل ومن معهما من الأحامدة.

---

(١) دار الوثائق القومية ـ القاهرة ـ محفظة ٢٦١ عابدين، ترجمة مرفق الوثيقة رقم ٣٦٣، تقرير من خورشيد باشا إلى ولي النعم، بتاريخ ١٢٥٣/٧/٢٩هـ، ص٢ من الترجمة، (ص/مكتبة الملك فهد الوطنية، فيلم٢).

كما يفيد التقرير أيضاً أن الشيخ سعداً لجأ إلى بعض قبائل مسروح فتضامنوا معه وثاروا على محمد علي، وهم بنو عمرو وزبيد واللهبة من عوف، وقاموا بشن بعض الغارات على المناطق الخاضعة لقواد محمد علي وهدَّدوا طريق امداداته بين ينبع والمدينة ومكة والمدينة واشتبكوا مع القوات التركية المصرية في عدة معارك عنيفة[1].

واستمراراً لتلك الثورة، فقد استطاع سعد بن جزا أن يوَجِّه لقوات محمد علي ضربة عنيفة في مطلع سنة ١٢٥٤هـ، وذلك بقيامه بتنفيذ تهديده بقتل أكبر قواد محمد علي بمنطقة الحجاز وهو اللواء عثمان بك أمير اللواء الموَجَّه للمرابطة في مضيق الجديدة ومحاربة الشيخ سعد بن جزا وأتباعه من حرب[2].

وقد حاول قادة محمد علي اضعاف ثورة سعد بن جزا عن طريق ضرب قبائل حرب ببعضها، وكان من نتيجة ذلك ايقاع الخلاف بين ميمون والمراوحة، فوقع عدة مقاتلات بين الأحامدة ومن معهم من ميمون وبين الحوازم ومن معهم من المراوحة كالظواهرة وغيرهم وذلك في منتصف سنة ١٢٥٤هـ. وهنا استنجد الشيخ سعد بن جزا بقبائل مسروح كما حاول اثارة جهينة ضد الدولة، مما اضطر محافظ المدينة وقادة محمد علي إلى محاولة تسكين الفتنة مرة أخرى[3].

---

(١) دار الوثائق القومية ـ القاهرة ـ وثيقة رقم ١٣٤ حمراء، محفظة ٦٢، عابدين بتاريخ ١٢٥٣/٣/١٨هـ، (ص/مكتبة الملك فهد الوطنية، فيلم٢).

(٢) انظر تفاصيل هذا الخبر في كتابنا: فصول من تاريخ قبيلة حرب.

(٣) انظر تفصيل هذه الأخبار في كتابنا: فصول من تاريخ قبيلة حرب، وانظر:[دار الوثائق القومية ـ القاهرة ـ محفظة رقم ٢٦٣ عابدين، وثيقة رقم ٣٥ أصلي/ ٦٥ حمراء، من محافظ المدينة إلى خورشيد باشا، بتاريخ ١٢٥٤/٥/٣هـ، وكذلك الوثيقة رقم ٩٨ حمراء، محفظة ٢٦٣ عابدين، خطاب من محافظ المدينة إلى خورشيد باشا، بتاريخ ١٢٥٤/٥/٩هـ (ص/مكتبة الملك فهد الوطنية، فيلم٢)].

ومع ذلك فقد استمرت ثورة سعد بن جزا واستمر الخلاف بين الحوازم والأحامدة حتى بداية سنة ١٢٥٦هـ. وقد تخلل تلك الفترة عدة حوادث دامية بين الأحامدة ومن معهم من حرب وبين الحوازم ومعهم الدولة، فدمَّرت قرى الطرفين وحرِّقت نخيلهم عدة مرات خلال الفترة من سنة ١٢٥٣هـ إلى ١٢٥٦هـ، كما راح منهم أعداد هائلة ضحية لتلك الأوضاع المضطربة. ومع ذلك فقد صمد الشيخ سعد بن جزا وحارب قوات محمد علي ببسالة، ولم يتم انهاء ثورته إلاَّ بالتفاوض على يد الشريف محمد بن عون الذي قاد بنفسه قوات ضخمة لقتال الأحامدة وذلك في مطلع سنة ١٢٥٦هـ. لكنه لما رأى صعوبة اخضاع تلك القبيلة بالقوة وصعوبة الحاق الهزيمة بالشيخ سعد المتحصن في جبل الفقرة الحصين، سعى إلى انهاء ثورتهم عن طريق المصالحة والمهادنة.

وبعد التفاوض والاتفاق على شروط وقف القتال تمكن الشريف محمد بن عون من دخول جبل الفقرة بمرافقة بعض شيوخ الأحامدة، وتم انهاء تمرد الشيخ سعد بن جزا عن طريق اعادته إلى منصبه وابقاء شيوخ الأحامدة الآخرين في مناصبهم(١).

وبعد ذلك سكنت الأمور بعض الشيء واستقرت مشيخة سعد بن جزا وامتدت حتى سنة ١٢٨٠هـ تقريباً، رغم ما تخللها من بعض الخلافات أحياناً مع أشراف مكة. وقد أتاح هذا الوضع لمشيخة سعد بن جزا أن تتسع وتشتهر في قبائل حرب، حتى صارت أكبر مشيخات حرب تقريباً عند وفاته.

وللاستفادة من الوثائق التاريخية في تحديد فترة رئاسة الشيخ سعد فإنه يمكن استعراض أهم الوثائق التي لها علاقة بهذا الشيخ ومشيخته خلال فترة رئاسته، ومنها على سبيل المثال ما يلي:

---

(١) انظر تفصيل هذه الأخبار في كتابنا: فصول من تاريخ قبيلة حرب.

١ـ الوثيقة المؤرخة في ١٢٤٥/١٠/٢٤هـ التي سبق الاشارة إليها وهي الحلف بين قبائل ميمون من بني سالم وبني محمود من بني عمرو من مسروح. حيث ورد فيها ما يفيد أن سعد بن جزا كان من كبار الأحامدة في ذلك الوقت ولكنه لم يكن شيخاً بعد.

٢ـ الخطاب المؤرخ في ١٢٤٩/١/٢٧هـ، المرفوع من سعد بن جزا إلى محمد علي.

٣ـ الوثيقة المؤرخة في ١٢٥٣/٤/٢٨هـ، وهي البرقية المرفوعة من خورشيد باشا إلى وزير داخلية مصر، للاخبار بأن سعد بن جزا شيخ عربان بني سالم سابقاً ينوي قطع خط الرجعة على خورشيد باشا إذا ما انسحب من المنطقة! وأن مواجهته تحتاج إلى ارسال زهاء ثمانمائة من عساكر العرب اضافة إلى القوة الموجودة.

٤ـ الخطاب المرفوع إلى خورشيد باشا في ١٢٥٣/٥/٢٢هـ والذي ورد فيه الافادة بهروب سعد بن جزا وقيامه بالطواف بين القبائل وتحريضها، وضرورة اعطائه الأمان أو اسكاته بأية طريقة!

٥ـ الخطاب العربي المرفوع من مفرِّج بن جارا لله الأحمدي إلى محافظ المدينة، بتاريخ ١٢٥٤/٥/١٥هـ، وفيه يفيد أنه قابل كلاً من الشيخ سعد بن جزا والشيخ عبدا لله بن محسن بن مطلق وحاول اقناعهما بالتخلّي عن عصيانهما للدولة ولكنه فشل في ذلك وبالذات مع الشيخ سعد بن جزا لأنه يشترط دفع جميع مخصصاته التي توقف المحافظ عن دفعها!

٦ـ التقرير المرفوع من سليم باشا مأمور مضيق الجديدة إلى محمد علي بتاريخ ١٢٥٤/٨/٦هـ، ويفيد باستمرار ثورة سعد بن جزا وأخيه بخيت بن جزا ولجوئهما إلى جبلي رحقان والفقرة.

٧ـ التقرير المرفوع من سليم باشا بتاريخ ١٢٥٤/٩/٣هـ إلى ولي النعم ونقتطف

منه ما ترجمته: (**غادرْنا ينبع البحر في ٢٤ شعبان سنة ٥٤ ووصلنا المدينة في نهايته، ولما وصلنا إلى مضيق الجديدة جاءنا الشيخ عبدالله بن مطلق مع الشيخ مفرّج والشيخ بخيت أخو الشقي المدعو سعداً من الأحامدة، فكلمونا ورافقونا إلى المدينة إلا الشقي الذي يقال له سعد، فهو لم يأتنا ولا قابلنا ....الخ**).

٨- التقرير المرفوع من الشريف محمد بن عون إلى محمد علي في ١٢٥٦/٣/١هـ والذي يفيد فيه بانتهاء ثورة الشيخ سعد بن جزا، وبقائه على مشيخته.

٩- مبايعة في بلاد الأحامدة مؤرخة في ١٢٧٢/٢/٢٦هـ.

١٠- وثيقة مؤرخة في سنة ١٢٧٨هـ وهي عبارة عن الاتفاق على حِمَى الفقرة.

١١- رسالة من الشيخ سعد بن جزا إلى الشريف في ١٢٧٩/٩/٢٣هـ.

وبعد هذا التاريخ لا يرد ذكر للشيخ سعد بن جزا في المكاتبات والمراسلات الرسمية، مما يوحي بأن فترة مشيخته لم تدم كثيراً بعد هذا التاريخ، ومما يجعلنا نعتقد بأن وفاته كانت في حدود سنة ١٢٨٠هـ.

بخيت بن جزا:

من مشاهير أسرة آل جزا، وهو أخو الشيخ سعد بن جزا، وكان له دور سياسي كبير أثناء مشيخة أخيه سعد بن جزا، وخاصة أثناء ثورة سعد بن جزا على الدولة. وقد ورد ذكر بخيت بن جزا في عدد كبير من الوثائق التاريخية، منها على سبيل المثال:

- التقرير المرفوع من الشيخ سعد بن جزا إلى محمد علي باشا بتاريخ ١٢٤٩/١/٢٧هـ، وقد ذكر فيه أن بخيت بن جزا رافق الحاج إلى مكة وحمل مكتوباً إلى الشريف محمد بن عون في مكة.

- التقرير المرفوع من خورشيد باشا إلى ولي النعم بتاريخ ١٢٥٣/٣/١٨هـ، وذكر فيه أن سعد بن جزا لا يزال ثائراً على الدولة ومعه أخوه بخيت وابن عمهما عامر بن وصل.
- التقرير المرفوع من سليم باشا إلى ولي النعم بتاريخ ١٢٥٤/٨/٦هـ، وذكر فيه أن الشيخ سعد بن جزا وأخاه بخيتاً، قد خرجا عن الطاعة وتحصّنَا في جبلي رحقان والفقرة.
- التقرير المرفوع من سليم باشا إلى ولي النعم بتاريخ ١٢٥٤/٩/٣هـ، وذكر فيه أنه قابل عدداً من شيوخ الأحامدة ومنهم عبدالله بن مطلق ومفرّج بن جارالله وبخيت أخو الشيخ سعد بن جزا.
- تقارير الشريف محمد بن عون حول محاربته للأحامدة سنة ١٢٥٦هـ.

وهكذا يتضح أن الشيخ بخيت بن جزا كان من أعيان قبيلته البارزين، وكان له دور هام في مساندة أخيه سعد بن جزا أثناء خلافه مع قوات محمد علي، مما أدّى إلى صمود ثورته واستعادته للمشيخة فيما بعد.

حذيفة بن سعد بن جزا:

من مشاهير شيوخ هذه الأسرة خلَف والده في المشيخة، وعاصر أمارة عدد كبير من أشراف مكة مثل: الشريف عبدالله محمد بن عوْن (١٢٧٤ — ١٢٩٤هـ)، والشريف حسين بن عون (١٢٩٤ — ١٢٩٧هـ)، والشريف عون الرفيق بن محمد بن عون (١٢٩٩ — ١٣٢٣هـ).

وتعرَّضت المشيخة في عهده إلى كثير من المشاكل بسبب ايقاف مصر لصرف مخصصات قبيلة الأحامدة بسبب تحويل الحج من البر إلى البحر لعدة سنوات، ومماطلة أمراء الحج في تسديد مخصصات عربان الطريق.

كما حدث كثير من المصادمات والحوادث الدامية بينه وبين بعض القبائل الأخرى، بسبب التنافس على السيطرة على طرق الحج، وكذلك بسبب تدخل أشراف مكة وأتباع الدولة في شئون القبائل في أحيان كثيرة.

ومع ذلك فقد اشتهرت المشيخة في عهده وصار له مكانة مرموقة ليس على مستوى قبيلة الأحامدة بل على مستوى منطقة الحجاز!

ويستفاد من الوثائق التاريخية أن الشيخ حذيفة توفي في حدود سنة ١٣٢٠هـ أو بعدها بقليل، حيث لم أجد له ذكراً في الوثائق التاريخية بعد هذا التاريخ!

مشيخة آل جزا بعد حذيفة:

حيث أن هذا البحث يختص في مشيخة آل جزا في القرن الثالث عشر أي خلال الفترة من ١٢٠٠ ـ ١٣٠٠هـ، فإننا لن نتحدث عن مشاهير أسرة آل جزا بعد سنة ١٣٠٠هـ، لأن ذلك يحتاج إلى بحث مستقل، ولكن يستفاد من الوثائق التاريخية ومن رواية بعض كبار السن من هذه الأسرة أنه بعد حذيفة، حصل بعض التنافس بين أبنائه على المشيخة وزاد من ذلك تدخل الشريف عون الرفيق ومحافظ المدينة، فكان يستقل بها أحدهم حيناً ويشتركون فيها حيناً آخر كما يستفاد من الوثائق التاريخية التي اطلعت عليها ومنها وثيقة مؤرخة في شهر محرم سنة ١٣٢٢هـ وتحمل توقيع أبناء حذيفة الثلاثة وهم عقاب وخلف وخليل، وهي عبارة عن خطاب مرفوع إلى أمير المحمل المصري وهذا نصها:

(الحمد لله وحده، إلى حضرة الجناب العالي والمقام الغالي أمير المحمل الشريف المصري، أدامه الله تعالى، آمين؛ وبعد مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لا يخفى جنابك العزيز بأن العام الماضي خَدَمْنا المحمل الشريف في النزول وفي الرجوع وورد بالسلامة، وذكّرناكم في معاشنا السابق، وأخبرناكم

بقدره سبعة آلاف قرش وخمسماية، وشال قسميري وجوخة .... وعليق مونة خمس وسبعين هجين، استلمه والدنا [السنة] الأولة والثانية. وعلى مُدَّة الشيخ أحمد صار منه تعطيل، وأوجب استحالة[1] المحمل الشريف عن [الطريق] السلطاني وتحت مناظرتنا الدولة العلية العام خدمنا وتعهدت لنا بمعاشنا ....[2]، وطلبت منا لتكليف المحمل الشريف بخدمتنا له من دون أجر إلاّ معاشاتنا وعوايدنا، حيث انك اعتذرت .... وتعهدت لنا، وعلى حسب ذلك حضرنا طرفكم في ينبع البحر، ولم حصل لنا منكم أجر ..... بعد ذلك نظرنا تبع نظركم إن تعذرتوا، فتعذرونا ولا يلزم علينا لا خدمة ولا طريق حيث إن حاشا إن الدولة تجري شي أولاً، وثانياً ..... ولا يقبلكم مِنَّا العذر في محقيتنا، وكسر اعتبار علينا، ودولتكم ما ترضى ذلك، ولا ترضينا المصالح عن المحقية قلَّت أو كثرت. ويصير عندكم معلوم، هذا ودمتم والسلام. يوم ٩ عاشور سنة ١٣٢٢هـ. التوقيع عقاب بن الشيخ حذيفة بن سعد [الختم]، خلف بن الشيخ حذيفة بن سعد [الختم]، الشيخ خليل بن حذيفة بن سعد [الختم]). انظر صورة الوثيقة في الشكل رقم[٥].

ويستفاد من الوثيقة السابقة أن المشيخة الأسمية كانت لخليل بن حذيفة كما يظهر من قراءة التوقيعات. ثم استمرت المشيخة في أبناء حذيفة بالتناوب أحياناً وبالمشاركة أحياناً، إلى أن تعيَّن الشيخ عساف بن سعد بن جزا وذلك في حدود سنة ١٣٣٠هـ تقريباً، واستقر في المشيخة فترة طويلة وعاصر حوادث انضمام الحجاز إلى الدولة السعودية، واستمر في مكانته وشهرته إلى أن توفي سنة ١٣٦٣هـ رحمه الله.

---

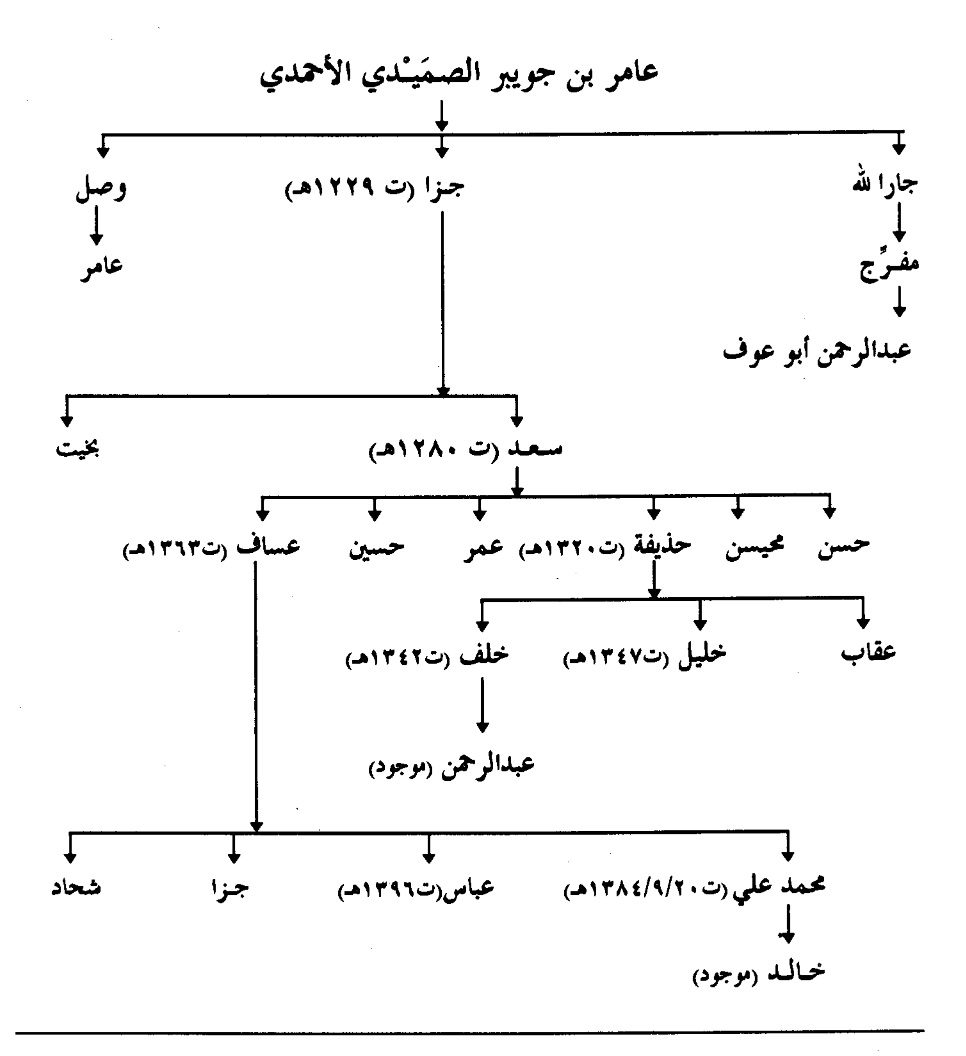
(١) المقصود أنه أثناء مشيخة الشيخ أحمد بن محمود تحول الحج عن طريق الأحامدة بسبب الخلافات مع الدولة.

(٢) الفراغات تعني بعض الكلمات غير الواضحة.

الشكل رقم [٥] مكتوب من أبناء الشيخ حذيفة بن جزا إلى أمير الحج المصري

وخلفه ابنه محمد علي بن عساف إلى أن توفي بتاريخ ١٣٨٤/٩/٢٠هـ، ثم خلفه ابنه الآخر عباس بن عساف إلى أن توفي سنة ١٣٩٦هـ، وبعده خالد بن محمد علي بن عساف بن سعد وهو الموجود حالياً. كما هو موضح في المشجرة المرفقة، الشكل [٦].

واستناداً على ما جاء في الوثائق التاريخية فإنه يمكن رسم مشجّرة أولية لبعض مشاهير أسرة آل جزا، كما هو موضح أدناه:



شكل رقم [٦] مشجرة لبعض مشاهير أسرة الشيخ ابن جزا

الفصل الثاني

مشيخة ابن محمود

تعتبر امارة الشيخ ابن محمود من الامارات العريقة والشهيرة في قبيلة حرب عامة وفي قبيلة الأحامدة بشكل خاص. وهم شيوخ الفضَلة من الأحامدة وديارهم جبل الفقْرَة ورحقان.

وللأسف الشديد فلم أجد معلومات كافية عن بداية شيوخ هذه الأسرة العريقة قبل الشيخ محمود الذي عرفت الأسرة باسمه، حيث ورد له ذكر في بعض المصادر التاريخية يفيد بأنه عاصر وصول القوات المصرية إلى الحجاز سنة ١٢٢٦هـ. ولذلك فإننا سوف نستعرض باختصار بعض مشاهير شيوخ هذه الأسرة ومنهم:

زيد بن محمود:

يستفاد من الوثائق التاريخية أن الشيخ زيد بن محمود بن محمد بن عميرة عاصر الإمام عبدالله بن سعود وكان له علاقات جيدة مع الدولة السعودية الأولى. وعلى الرغم من محاولات طوسون باشا تقريب هذا الشيخ بعد دخول المصريين للمدينة، إلاّ أنه لم يكن على وفاق تام مع قوات محمد علي، ولذلك فقد قبَض عليه ابراهيم باشا وأرسله إلى مصر مع من أرسل من أهل نجد والحجاز. حيث تفيد احدى الوثائق التركية المؤرخة في ٢١ ذي القعدة ١٢٣٤هـ المرسلة من ابراهيم باشا إلى والده محمد علي في مصر أن الشيخ زيداً قد عصَى على ابراهيم باشا وتوَارَى عنه منذ وصوله للمدينة[1] أي في سنة ١٢٣١هـ. ممّا يوحي بأن هذا الشيخ كان من

(١) كتاب وثائق الدولة السعودية في عصر محمد علي، ص٧١٩، وانظر دار الوثائق القومية، محفظة٦ بحر برا، وثيقة رقم١١٥ في ١٢٣٤/١١/٢١هـ.

المناوئين لابراهيم باشا فكانت النتيجة أن أُرسِل إلى مصر.

لكن ابراهيم باشا أخرجه من سجن مصر وأعاد تعيينه في منصب كبير مشايخ حرب الواقعين في وادي الصفراء، غير أنه لم يلبث أن ثار على المصريين، فقاموا بعزله وتعيين الشيخ وصل بن عامر سنة ١٢٣٦هـ، كما مر معنا(١).

وقد صار للشيخ زيد بن محمود شهرة كبيرة وذكر غير خامل بعد ذلك، وعاصر أحداثاً تاريخية هامة خلال حكم قوات محمد علي باشا للحجاز والجزيرة العربية.

ومن ذلك أنه بعد عزله من منصبه وتعيين الشيخ وصل بن عامر سنة ١٢٣٦هـ، قام الشيخ زيد بن محمود بالتمرد على دولة محمد علي باشا ولجأ إلى الجبال وأحرج عساكر الدولة وقوافلها مما أدى إلى اختلال النظام في المنطقة الواقعة بين ينبع والمدينة، كما تفيد بذلك احدى وثائق محمد علي باشا المحررة إلى أحمد آغا وكيل محافظ المدينة بتاريخ ١٢٣٦/٦/٢٦هـ، وقد جاء فيها الأمر بالقاء القبض على الشيخ زيد بن محمود واعدامه، حيث يقول محمد علي لمحافظه ما ترجمته: **(وحيث أنه من البديهي أن حسن النظام في تلك النواحي وأمن أهلها وسكانها يتوقفان على إزالة وجود الشيخ زيد بن محمود واعدامه بالنظر إلى انهائكم المبسوط في خطابنا الآخر، فهيًّا حتى أراك تلقي القبض على الشيخ المذكور بتدبير حسن، فمطلوبنا أن تسعوا بكل غيرة واهتمام في اجراء ما يستحقه من الجزاء ......الخ)**(٢). (انظر صورة الوثيقة باللغة التركية، شكل رقم [٧]).

---

(١) دار الوثائق القومية ـ القاهرة ـ وثيقة رقم١٥٤ مقيد بالدفتر نمرة٧ معية تركي، من محمد علي إلى أحمد آغا وكيل محافظ المدينة، بتاريخ ٢٦/جمادى الثانية/ ١٢٣٦هـ.

(٢) دار الوثائق القومية ـ القاهرة ـ وثيقة رقم١٥٥ مقيد بالدفتر نمرة٧ معية تركي، من محمد علي إلى أحمد آغا وكيل محافظ المدينة، بتاريخ ٢٦/جمادى الثانية/ ١٢٣٦هـ.

شكل رقم [٧] وثيقة باللغة التركية

ويبدو أن عساكر محمد علي لم يتمكنوا من القاء القبض على هذا الشيخ الثائر لعدة سنوات، وذلك أنه ورد في أخبار سنة ١٢٤٠هـ على لسان أمير الحج الايراني أن شيوخ الأحامدة ومنهم وصل بن عامر الصميدي وزيد بن محمود الفضيلي قد اعترضوا طريقه في وادي الصفراء وأخذوا ما يخصهم من الخاوة والكساوي لهم ولغيرهم من قبائلهم(١).

كما يستفاد من المصادر التاريخية الموثقة أن الوضع بين الشيخ زيد بن محمود وعساكر محمد علي استمر على حالته المضطربة إلى سنة ١٢٥٣هـ، إلاّ أنه كان عاقلاً حكيم التصرف، مما أدى إلى قيام قادة محمد علي بالتقرب إلى الشيخ زيد بن محمود بسبب خلافهم مع الشيخ سعد بن جزا فتم عزل الشيخ سعد واعادة تعيين الشيخ زيد في منصب كبير مشايخ حرب في وادي الصفراء مرة أخرى. وذلك أن خورشيد باشا الذي لاحظ صعوبة السيطرة على قبيلة حرب إلا عن طريق تعيين مشيخة قوية تجمعها، فاقترح على سيده محمد علي باشا أن يتم تعيين الشيخ زيد بن

(١) دار الوثائق القومية ـ القاهرة ـ وثيقة نمرة٩٤ محفظة١٠ معية تركي، خطاب من أمير حجاج ايران إلى رفعت باشا، بتاريخ ١٢٤١/١٢/٢٩هـ، وانظر تفاصيل هذا الخبر في كتابنا: فصول من تاريخ قبيلة حرب.

محمود بدلاً عن الشيخ سعد بن جزا، حيث يقول في رسالته المرفوعة بهذا الشأن:

(.... وبناء على هذه الملحوظة رأيت أن من حسن التدبير تعيين الشيخ زيد بن محمود من قبيلة الأحامدة في مشيخة هذه القبيلة لأنه محترم لديها من جهة، وليس من أرباب الفتنة من جهة أخرى .... الخ)[1].

وبناء على تلك التوصية فقد تم تعيين الشيخ زيد بن محمود الأحمدي في منصب شيخ مشايخ حرب أهل وادي الصفراء. وكان مقر الشيخ زيد بن محمود في بلدة الجديدة الواقعة في ذلك المضيق الحيوي في وادي الصفراء الذي يضم أكثر من عشرين شيخاً من مشايخ بني سالم، منهم على سبيل المثال:

- الشريف عاتق بن نامي كبير مشايخ قبيلة صبح.
- الشيخ ابن عاطف من قبيلة صبح.
- الشيخ عبدا لله بن بكري من شيوخ صبح.
- الشيخ سلامة بن مرزوق الطيير من مشايخ قبيلة صبح.
- الشيخ عبيد بن نويفع من شيوخ الحوازم.
- الشيخ محمد أبو علي من مشايخ الحوازم.
- الشيخ ابراهيم بن عبدالعزيز من مشايخ بني عمرو من بني سالم.
- الشيخ عطية ا لله القليطي من مشايخ بني عمرو من بني سالم.
- الشيخ راشد بن مساعد الرحيلي شيخ قبيلة الرحلة.
- الشيخ نصير بن نصار من مشايخ السرحة وبني يحيا.
- الشيخ مغيران بن زيدان من مشايخ وِلْد سَلِيْم.

وغيرهم.

---

(١) دار الوثائق القومية ـ القاهرة ـ وثيقة رقم٣٦٣ محفظة رقم٢٦١ عابدين، من خورشيد باشا إلى ولي النعم، بتاريخ ١٢٥٣/٧/٢٩هـ.

وفي الوقت الذي كانت علاقة الشيخ زيد بن محمود تتحسن ومشيخته تستقر كانت ثورة الشيخ سعد بن جزا تزداد وتتفاقم على الرغم من محاولات ابن عمه زيد بن محمود لتهدئة الأوضاع واعادة النظام في وادي الصفراء الذي لم يعرف الاستقرار منذ وصول قوات محمد علي إليه. وعلى الرغم أيضاً من تعاون الشيخ زيد بن محمود والشريف عبدالله بن عبدالمعين صاحب ينبع في سبيل تسكين الفتن في المنطقة إلاَّ أن الأمور كانت تزداد سوءاً خاصة بعد تضامن كل من الشيخ سعد بن جزا والشيخ عبدالله بن مطلق واستجابة قبائل حرب لهما لمحاربة الدولة[1].

وفي عهد الشيخ زيد بن محمود حدثت وقائع دامية بين قبائل ميمون والمراوحة وبالذات بين الحوازم والأحامدة الذين كانوا منقسمين إلى فئتين احداهما مع الشيخ زيد بن محمود والأخرى مع الشيخ سعد بن جزا الذي كان ثائراً على الدولة، واستمر ذلك الصراع سنتي ١٢٥٤هـ و١٢٥٥هـ. وانتهى ذلك الوضع بتدهور العلاقة بين الشيخ زيد بن محمود وقادة محمد علي باشا الذين اتهموه بالتخاذل في قتال قبائل حرب الموالية للشيخ سعد بن جزا، فقام العساكر بطلب من محمد علي باشا بالقاء القبض على الشيخ زيد بن محمود والشيخ عامر بن وصل وسجنا في مصر، وذلك في منتصف سنة ١٢٥٥هـ.

وتفيد احدى الرسائل المرفوعة إلى محمد علي باشا بتاريخ ١٢٥٤/١٠/٢٣هـ أن الشريف محمد بن عون قدَّم التماساً بالعفو عنهما واطلاق سراحهما، لكن محمد علي أجَّل اطلاق سراحهما لحين انهاء مسألة القتال مع الأحامدة.

ويبدو أن محمد علي لما قام بعزل الشيخ زيد بن محمود وسجنه قرَّر أن لا يعيِّن أحداً في مشيخة وادي الصفراء واستعاض عن ذلك بتعيين قائده سليم باشا ومعه قوة قوامها عشرة آلاف من العساكر في وادي الصفراء للسيطرة المباشرة على

---

(١) انظر تفاصيل هذه الأخبار ومصادرها في كتابنا: فصول من تاريخ قبيلة حرب.

ذلك المضيق وقبائله.

لكن الذي يظهر أن خطة محمد علي باشا في السيطرة على القبائل بتلك الطريقة لم تتحقق، مما اضطره خلال بضعة أشهر أن يبحث عن شيخ آخر ليشغل منصب كبير مشائخ في تلك المنطقة. فتم ترشيح الشيخ عباس الظاهري لهذه الوظيفة، وأراد محمد علي تعيينه، لكنه تراجع عن ذلك تحت المعارضة الشديدة من زعماء قبيلة الأحامدة ومن وقف معهم من قبائل حرب وخاصة قبيلة صبح والرحلة وعوف.

ولهذا فقد تم اعادة تعيين الشيخ سعد بن جزا الأحمدي في آخر سنة ١٢٥٥هـ، وانتهت بذلك المشيخة الرسمية للشيخ زيد بن محمود على قبائل بني سالم وانحصرت مشيخته هو وأسرته في قبيلته وهم الفضلة من الأحامدة[1].

ثم لا يرد اسم الشيخ زيد بن محمود في الوثائق التاريخية التي اطلعنا عليها بعد سنة ١٢٥٦هـ، مما يعني أن وفاته ربما كانت في حدود سنة ١٢٦٠هـ أو قبلها بقليل، في حين بقيت شهرة مشيخة هذه الأسرة في قبيلة الأحامدة على مكانتها كما سنرى.

وقد خلّف الشيخ زيد بن محمود عدداً من الأولاد منهم: حسين بن زيد ومحمود بن زيد وغيرهم.

أحمد بن محمد بن محمود:

وهو أخو الشيخ زيد بن محمود وقد عاصر أخاه الشيخ زيد بن محمود، وكان له دور بارز أثناء مشيخة أخيه، حيث ورد ذكره في بعض الوثائق التاريخية في تلك الفترة، وقد آلت المشيخة إليه هو وأبنائه وأحفاده بعد الشيخ زيد بن محمود. ومن

---

(١) انظر تفاصيل هذه الأخبار ومصادرها في كتابنا: فصول من تاريخ قبيلة حرب.

أولاد الشيخ أحمد بن محمود الذين لهم ذكر غير خامل في الوثائق التاريخية: فهد بن أحمد وسعيد بن أحمد ومحمود بن أحمد ومحمد بن أحمد، إلاّ أن الذي برز منهم بشكل خاص الشيخ فهد بن أحمد بن محمود الآتي ذكره.

فهد بن أحمد بن محمود:

اشتهر الشيخ فهد بن أحمد بن محمود بعد وفاة عمّه الشيخ زيد بن محمود، إذ صار شيخ قبيلة الفضلة وأحد مشايخ قبيلة الأحامدة الذين لعبوا دوراً هاماً في الحياة السياسية لقبيلة الأحامدة وعلاقتها بأشراف الحجاز والدولة التركية في المدينة.

وقد بدأ بروز هذا الشيخ أثناء حملات الشريف محمد بن عون على قبائل الأحامدة مع مطلع سنة ١٢٥٦هـ، والتي انتهت صلحاً، حيث ساهم هذا الشيخ في المفاوضات بين الطرفين واستطاع أن يوفق بين شروط الدولة لوقف القتال وبين مطالب المشايخ الثائرين من الأحامدة وعلى رأسهم الشيخ سعد بن جزا والشيخ عبدا لله بن مطلق الأحمدي.

ومما يدل على شهرة هذا الشيخ واتساع مشيخته وورود اسمه في عدد كبير من الوثائق التاريخية خلال الفترة من سنة ١٢٥٦هـ إلى سنة ١٣٠٧هـ، منها على سبيل المثال:

- وثيقة مؤرخة في ١٢٦٦/٤/٢٥هـ.
- وثيقة مبايعة في ١٢٦٨/٦/٨هـ (الشكل رقم [٨]).
- وثيقة مبايعة في تاريخ ١٢٧٤/٦/٢٠هـ.
- وثيقة حِلْف مع شيخ قرية أبو ضباع في ١٢٧٩/٥/٢٧هـ؟
- وثيقة مبايعة في تاريخ ١٢٨٤/٤/٢٢هـ.
- وثيقة أخرى سنة -/ -/١٢٨٥هـ.
- وثيقة أخرى في تاريخ ١٣٠٧/٣/٦هـ

ـ وثيقة أخرى في تاريخ ١٣٠٧/٤/٢٩هـ.

ويستفاد من الوثائق التاريخية أن وفاته كانت في حدود سنة ١٣١٠هـ. ثم تسلسلت المشيخة في أسرته، واشتهر منهم الشيخ فيصل الفضيلي وغيره، والشيخ الموجود الآن صادق بن سلطان بن سيف بن فهد بن أحمد بن محمود الفضيلي ويقيم في بلدة المسيجيد ـ أي سنة ١٤١٠هـ ـ.

وفيما يلي بعض مشاهير أسرة الشيخ ابن محمود الواردين في الوثائق التاريخية التي اطلعنا عليها:

(١) محمود بن عميرة ورد في وثيقة سنة ١٢٢٧هـ.

(٢) مستور بن محمود ورد في وثيقة سنة ١٢٤٥هـ.

(٣) زيد بن محمد بن محمود ورد في عدة وثائق تاريخية سنة ١٢٣٤هـ و١٢٤٥هـ و١٢٥٥هـ.

(٤) فهد بن أحمد بن محمود ورد في عدة وثائق تاريخية سنة ١٢٥٦هـ و١٢٦٦هـ و١٢٦٨هـ و١٢٧٤هـ و١٢٧٩هـ و١٢٨٥هـ.

(٥) محمد بن أحمد بن محمود ورد في وثيقة بتاريخ ١٢٧٤/٦/٢٠هـ وأخرى بتاريخ ١٢٨١/١٠/٣٠هـ.

(٦) حسين بن زيد بن محمود ورد في وثيقة تاريخية سنة ١٢٦٨هـ.

(٧) زيد بن فهد بن محمود ورد في وثيقة سنة ١٢٧٩هـ.

(٨) محمد بن فهد بن محمود ورد في وثيقة بتاريخ ١٣٠٧/٤/٢٩هـ، وأخرى في ١٣٠٧/٣/٦هـ.

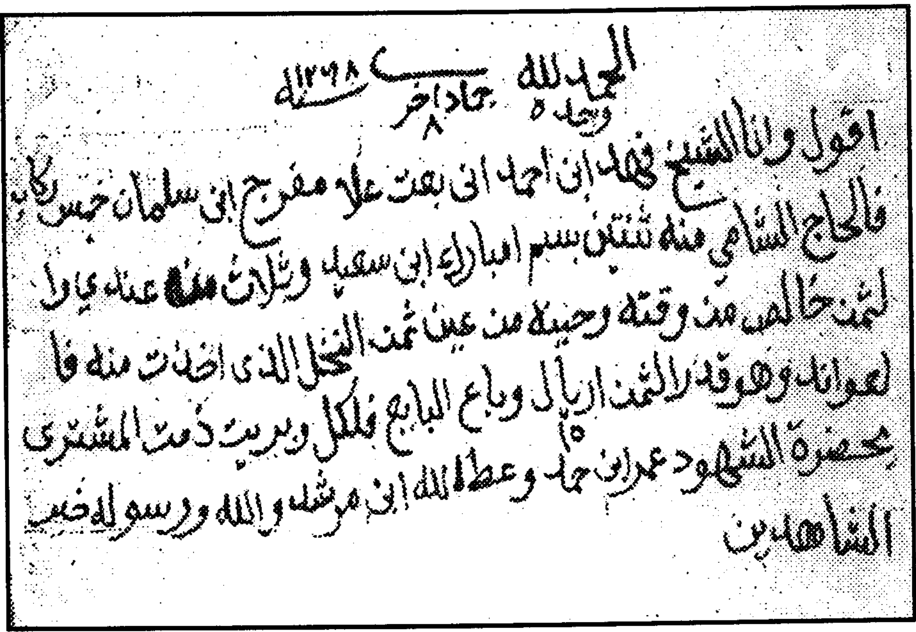
(٩) حمد بن محمد بن محمود ورد في وثيقة بتاريخ ١٢٨٧/٦/١٦هـ.

(١٠) فيصل بن عوض ورد في وثيقة بتاريخ ١٣١٥/٢/٤هـ.

(١١) محمود بن زيد بن محمود ورد في وثيقة بتاريخ ١٣٠٩/٧/٧هـ.

(١٢) صادق بن سلطان هو الشيخ المعاصر من هذه الأسرة ويقيم الآن في بلدة المسيجيد في منطقة المدينة المنورة.

(١٣) ثلاب بن زيد من أعيان هذه الأسرة وهو من مواليد سنة ١٣١٨هـ، وقد قابلته في المدينة وقد كف بصره وذلك سنة ١٤١٠هـ، وتوفي رحمه الله في شهر شعبان ١٤١٦هـ.



الحمد لله وحده ٨ جماد آخر سنة ١٢٦٦

أقول وأنا الشيخ فهد ابن أحمد اني بعت على مفرج ابن سلمان خمس ركاب
في الحاج الشامي منه ثنتين بسم امبارك ابن سعيد وثلاث منه عندي وال
ثمن خالص من وقته وحينه من عين ثمن النخل الذي اخذت منه في
العوايند وهو قدر الثمن ١٥ ريال وباع البائع في الكل وبريت ذمت المشتري
بحضرة الشهود عمر ابن حمد وعطاء الله ابن مرشد والله ورسوله خير
الشاهدين

شكل رقم [٨] وثيقة مؤرخة في ٨/٦/١٢٦٦هـ، ونصها:

(الحمد لله وحده. أقول وأنا الشيخ فهد بن أحمد أني بعت على مفرّج بن سلمان خمس ركاب في الحاج الشامي؛ منه ثنتين باسم مبارك بن سعيد وثلاث منه عندي والثمن خالص من وقته وحينه من عين ثمن النخل الذي أخذت منه في العويند، وهو قدر الثمن ١٥ ريال. وباع البائع في الكل وبريت ذمة المشتري بحضرة الشهود: عمر بن حمد وعطاء الله بن مرشد، والله ورسوله خير الشاهدين).

الفصل الثالث

الشيخ ابن مطلق الأحمدي

تمثل أسرة الشيخ ابن مطلق الأحمدي احدى المشيخات الثلاث المشهورة في قبيلة الأحامدة في الحجاز، والشيخ ابن مطلق هو شيخ قبائل الصخارنة من الأحامدة، وله مشيخة عريقة لا تقل شهرة عن المشيخات التي تحدثنا عنها في الفصلين السابقين وهما مشيخة ابن جزا ومشيخة ابن محمود.

وسوف نستعرض فيما يلي بشيء من الايجاز بعض مشاهير هذه الأسرة حسب ما توفر لدينا من معلومات تاريخية موثقة، وذلك على النحو التالي:

محسن بن مطلق:

وهو محسن بن مساعد بن مطلق، وهو أول من وجدنا له ذِكْراً في الوثائق التاريخية التي اطلعنا عليها، حيث ورد اسمه في وثيقة تاريخية مرفوعة من طوسون باشا إلى والده محمد علي باشا في شهر رجب سنة ١٢٢٧هـ، على أنه أحد مشايخ الأحامدة إلى جانب الشيخ جزا بن عامر والشيخ محمود بن عميرة. ثم يتوالى ذكره بعد ذلك في الوثائق التاريخية، بسبب الدور الكبير الذي لعبه في الحوادث التاريخية الهامة في وادي الصفراء أثناء الاحتلال المصري للمنطقة خلال الفترة من سنة ١٢٢٧هـ إلى سنة ١٢٥٦هـ.

عبدالله بن محسن بن مطلق:

اشتهر هذا الشيخ بعد والده محسن بن مطلق، وخلفه في مشيخة قبيلة الصخارنة في آخر عهد وجود قوات محمد علي باشا في الحجاز، حيث عاصر ثورة

الشيخ سعد بن جزا ضد محمد علي، وتضامن معه وسانده في قتال الدولة[1].

كما ذكر مأمور عساكر الجديدة سليم باشا في احدى مكاتباته إلى محمد علي أن الشيخ عبدا لله بن مطلق والشيخ مفرِّج بن جارا لله والشيخ بخيت بن جزا، رافقوا القائد إلى المدينة المنورة، وذلك في شهر رمضان سنة ١٢٥٤هـ[2].

وهناك وثائق كثيرة يصعب حصرها تدل على الدور التاريخي الواضح للشيخ عبدا لله بن محسن بن مطلق خلال الفترة من سنة ١٢٥٠هـ إلى سنة ١٢٨٠هـ تقريباً، منها على سبيل المثال ما يلي:

- تقرير مرفوع من محافظ المدينة بتاريخ ١٢٥٤/٥/٩هـ.
- خطاب من الشيخ مفرج بن جارا لله إلى محافظ المدينة بتاريخ ١٢٥٤/٥/١٥هـ.
- خطاب من الشيخ زيد الحيدري إلى محافظ المدينة بتاريخ ١٢٥٤/٥/٢٤هـ.
- خطاب من سليم باشا إلى محمد علي بتاريخ ١٢٥٤/٩/٣هـ.
- وثيقة مؤرخة في رمضان سنة ١٢٥٥هـ .
- تقرير من الشريف محمد بن عون بتاريخ ١٢٥٦/٣/١هـ.
- خطاب مرفوع من الشيخ عبدا لله بن مطلق إلى محافظ الحجاز حسيب باشا، بتاريخ ٢٧ صفر ١٢٦٥هـ.
- وثيقة مؤرخة في سنة ١٢٧٩هـ، وهي عبارة عن اتفاق بين الأحامدة حول الفقرة.

ويفيد رواة أسرة الشيخ ابن مطلق عن الشيخ عبدا لله بن محسن بن مطلق، أنه عاش طويلاً ومات كبيراً سنة ١٢٩٠هـ تقريباً.

---

(١) دار الوثائق القومية ـ القاهرة ـ محفظة ٢٦٣ عابدين، المرفق العربي للوثيقة التركية رقم ٤٨ و١٤٠ حمراء. من الشيخ مفرّج بن جار ا لله إلى محافظ المدينة محرم آغا، بتاريخ ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢٥٤هـ.

(٢) دار الوثائق القومية ـ القاهرة ـ محفظة ٢٦٣ عابدين تركي، وثيقة نمرة ١٧٤ حمراء، من سليم باشا إلى ولي النعم، بتاريخ ١٢٥٤/٩/٢٣هـ.

ابراهيم بن عبدالله بن مطلق:

وهو من مشاهير شيوخ هذه الأسرة أيضاً، كانت مشيخته بعد والده عبدالله بن محسن، ويستفاد من الوثائق التاريخية أن مشيخته كانت في آخر القرن الثالث عشر الهجري وأول القرن الرابع عشر الهجري، ويفيد أحفاده أنه توفي في حدود سنة ١٣١٩هـ تقريباً.

وقد اطلعت على ختمه وتوقيعه في وثيقة مؤرخة في ٧ رجب سنة ١٣٠٩هـ، إلى جانب توقيع كل من الشيخ حذيفة بن جزا والشيخ محمود بن زيد.

وقد شاخ بعده ابنه عثمان بن ابراهيم، الذي عاصر انضمام المدينة المنورة إلى حكم الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله. وقد توفي الشيخ عثمان بن ابراهيم بن مطلق سنة ١٣٤٩هـ.

أما الشيخ الحالي من أبناء هذه الأسرة فهو الشيخ مطلق بن عثمان، وهو رجل كبير السن، له مكانة مرموقة في قبيلته، ومقره قرية السدَيّرة في أسفل جبل الفقرة من الغرب، وبها مركز امارة رسمي، وقد زرتها سنة ١٤١٢هـ.

* * * * * * * *

* * * * * *

* *

المبحث الرابع

الشيخ / خَلَف بن ناحِل
بَيْن
الشعر والتاريخ

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول:

خلف بن ناحل: حياته ونسبه

الفصل الثاني:

خلف بن ناحل في مذكرات الرحالة داوتي

الفصل الثالث:

خلف بن ناحل في ذاكرة الشعر العامي

مقدمة المبحث الرابع

الشيخ خلف بن ناحل من الشخصيات الصحراوية المتميزة، لكنه مثال حي لأولئك الذين هضم التاريخ حقوقهم من عرب صحراء الجزيرة العربية، لأسباب منها:

١- أنهم عرب رُحَّل ليس للكتابة والتدوين وجود عندهم.

٢- أنهم بعيدون عمن يؤرخ لهم ولا صلة لهم بالمؤرخين في زمانهم.

٣- أن صاحب الشخصية ليس شاعرا يتغنى بأمجاده ويفاخر بأفعاله، لتبقى تلك الأشعار سِجلاً تاريخيا لشخصيته!

ولأن الأنصاف يكون أولى وأوجب إذا كان لشخصية بعيدة عن الأضواء، معزولة عن المؤرخين والمادحين، لا تفعل المكارم تصنعاً، ولا تبحث عن الشهرة تكلفاً، لكنها تفعل الحمد سَجيَّة، وتمارس الفضائل طبعاً لا تطبعاً، فقد كان هذا سبب اهتمامي بشخصية الشيخ خلف بن ناحل، الذي يضرب به المثل في الكرم بين العرب المتأخرين في نجد، في الوقت الذي نجد أن الكثيرين لا يعرفون عنه شيئا للأسباب السابقة.

وحيث أن فعل الخير والمعروف لا يذهب سُدَى، وكما يقول الحطيئة:

من يفعل الخير لا يُعْدَمْ جوازِيَهُ   لا يذهب العُرْف بين ا لله والناسِ

فلم يُعْدَم خلف بن ناحل من الاشادة بشخصيته والثناء على كرمه المتميز بالرغم من العوامل السابقة التي كانت ستؤدي حتما إلى عدم توثيق تاريخ هذه الشخصية المتميزة. ومن غريب الصدف أن يأتي هذا التوثيق من

مؤرخ أجنبي جمعت الأقدار بينه وبين هذا الشيخ البدوي بدون تخطيط أو ترتيب، ذاك هو الرّحّالة البريطاني **تشارلز داوتي**.

وحيث أن هذا المبحث يدور حول شخصية خلف بن ناحل وما قيل عنها من النثر أو الشعر، ومدى تأكيد هذا المصدرين لبعضهما، فقد رأينا تقسيمه إلى ثلاثة فصول رئيسة على النحو التالي:

الفصل الأول: خلف بن ناحل: حياته ونسبه

الفصل الثاني: خلف بن ناحل في مذكرات الرحالة داوتي

الفصل الثالث: خلف بن ناحل في ذاكرة الشعر

****

******

**

الفصل الأول

****

خلف بن ناحل:

حياته ونسبه

الفصل الأول

خلف بن ناحل: نسبه وحياته

تعريف بنسب خلف بن ناحل:

هو: خلف بن راشد بن سالم بن ناحل من ذوي رويشد من الصخارنة من قبيلة الأحامدة من ميمون من بني سالم من حرب.

ومما يجب التنويه عنه أن هذا المبحث المختصر ينحصر في الكتابة عن الشيخ خلف بن ناحل، ولا يتناول البحث عن تاريخ أسرة النواحل التي تعتبر اليوم قبيلة بنفسها، برز منها رجال كرام وشعراء وفرسان، إلاَّ أن هذا البحث لا يتسع مجاله لاستعراض تاريخ النواحل وإنما يختص بشخصية خلف بن ناحل وما يتعلق به. ولعل أحداً من أبناء النواحل يقوم باكمال ما بدأناه ويكتب عن النواحل بشكل أوسع وأشمل.

أما خلف بن ناحل الأحمدي فهو شيخ الأحامدة في نجد وقد بنَى له شهرة واسعة، حيث جمع بين الشيخة والثراء وبين الكرم والشجاعة، فكان شيخا حكيما في تصرفاته موفقا في غزواته. يمارس التجارة إلى جانب الشيخة، وكان بعيدا في تطلعاته التجارية، فوصلت قوافله التجارية إلى مصر والشام فضلا عن الحرمين الشريفين. وفوق هذا النجاح والتوفيق استطاع خلف بن ناحل أن يَبْني كنزا عظيما أهم وأبقى من المال ومن الشيخة، وهو السمعة الطيبة والصيت العظيم، فصار كرم خلف بن ناحل مدار حديث الركبان في البَيْداء، وموضوع كلام المجالس لدى أهل الوَبَر وأهل المَدَر.

وكان العرب يكفيهم بالرجل فخراً أن يكون شجاعا أو كريما، حتى كان إذا

اشتهر بواحدة من هاتين الخصلتين، قيل: فيه من الاثنتين واحدة! وكفاه ذلك فخراً، لكن خلف بن ناحل جمع بين الخصلتين مَعَاً، فكان واحداً من كرماء العرب المتأخرين كما أنه كان فارسا وعقيدا مظفرا أيضاً، فالتَفّ حوله جماعته وأسندوا إليه رئاستهم، فصار كما قال الشاعر العربي:

أَتَتْه الرئاسة مُنْقادة　　　إليه تُجَرْجِرُ أذيالَها
فلم تَكُ تصلَحُ إلاَّ لَهُ　　　ولم يَكُ يصلح إلاَّ لَها

ولم يكن كرم خلف بن ناحل عادياً، لكنه فاق في كرمه أهل زمانه، حتى اقترن اسمه بالكرم، لأنه ابتدع في الكرم أشياء لم يسبقه إليها أحد، ومن ذلك أنه كان يعطي بعد رجوعه من غزواته كل من سأله وإن كان لم يكسب شيئاً من غزوته. وقد خلّد الشعراء تلك الميزة في خلف بن ناحل ومن ذلك قول الشاعر الأمير حمود بن رشيد من قصيدة له:

يا من خَبَر يحْذِي وهو ما كسَبْ شِيْن　　　ياكُود ابن ناحل بْماضي الزماني

وقول الشاعر فرج بن خربوش الشمري في احدى قصائده :

وخلف بن ناحل مضِيْفه تِقِل عِيْد　　　اللي عَطَى الزمَّال مِن حر ماله

أما الشيخ **محمد بن بليهد** فقد قال في كتابه: صحيح الأخبار، وهو يتكلم عن حرب: (**لو لم يكن في حرب إلاَّ خلَف بن ناحل لكفَاهم بكَرَمِه**)[1].

ومما تجب الاشارة إليه هنا أننا لا نؤيد ما كان عليه العرب في الزمن السابق من ممارسة الغزو والسلب والنهب، ولا نتمنى أن تعود تلك الحياة الجاهلية إلاّ أننا نشيد بالجوانب الفاضلة في حياتهم كالشهامة والإيثار والشجاعة والكرم، فها نحن نرى الشيخ خلف علاوة على ما تميّز به من تلك الخصال الحميدة ، فقد كان مُتَدَيِّناً

---

(١) صحيح الأخبار عمَّا في بلاد العرب من الآثار، تأليف محمد بن عبدا لله بن بليهد ج٢ ص١٠٦

شديد التعصب لدينه، تتضح ملامح شخصيته الدينية من خلال تعامله مع الرحّالة النصراني الذي طلب من ابن ناحل أن يوصله إلى القصيم مقابل مبلغ مالي جزيل، إلا أن خلف، لم يقبل ذلك لكنه عرض على داوتي أن يوصله إلى القصيم بدون مقابل إن هو نطق بالشهادتين، كما سيمر معنا، فنرجو من ا لله العفو والمغفرة لخلف وأمثاله.

متى وأين عاش خلف بن ناحل؟

أما فيما يتعلق بحياة الشيخ خلف بن ناحل، فليس هناك تاريخ مؤكد لتحديد تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته. وكل ما نعرفه أن شيخة خلف بن ناحل كانت على آخر عهد الأمير طلال بن رشيد المتوفى سنة ١٢٨٥هـ، ثم عاصر شطرا كبيرا من أمارة محمد بن عبدالله الرشيد ـ من ١٢٨٩هـ إلى ١٣١٥هـ ـ . أما وفاة خلف بن ناحل فكانت في حدود سنة ١٣٠٥هـ تقريبا.

وكانت أكثر اقامة خلف بن ناحل مع عربانه في نجد، وخاصة المنطقة الواقعة ما بين القصيم وحائل والمدينة. لكن رحلاته التجارية كانت تمتد إلى الشام ومصر، كما يذكر الرحالة داوتي، فضلا عن علاقاته التجارية والقَبَلِيّة مع منطقة الحجاز ومدنها الرئيسية. حيث ذكر داوتي الذي زار خلف بن ناحل سنة ١٢٩٥هـ أنه كان يقيم بعربانه قرب بلدة السُّلَيْمي الواقعة إلى الجنوب من حائل. كما ذكر أن غزواته تمتد إلى ديار عتيبة.

ذريّة خلف بن ناحل :

ترك الشيخ خلف بن ناحل اضافة إلى تاريخه الحافل وسمعته الكريمة، أبناء وأحفادا غير خاملي الذكر، برز منهم فرسان وأمراء وكرماء وشعراء، ساروا على منهج سلَفهم وتوَسَّموا خطاه، وسوف نورد ما يسمح المجال بإيراده عن بعض أعيان أسرة ابن ناحل.

فقد خَلّف خلف بن ناحل خمسة من الأبناء، وهم:

١) - **بدر بن خلف بن ناحل**، وعقب بندر، وعقب بندر: مارق وهايس.
وعقَّب مارق: نايف وشبَّاب وصدِّيق وهم معاصرون ولهم أولاد وأحفاد. أما هايس بن بندر فعقب: بندر وأولاده

٢) - **صَلَف بن خلف بن ناحل**، وتوفي سنة ١٣١٦هـ وأنجب نايف وغلاب وشاكر وفيحان.
وأنجب نايف بن صلف عددا من الأبناء هم: غزاي وهندي ومقحم وغازي ومتعب وعبدا لله وعزيّز (عبدالعزيز) ومحمد.
وأما غلاب بن صلف فعقب: شليويح و وصيوص ورباح ونواف ومنيف ولهم أولاد وأحفاد يصعب حصرهم.
وأما فيحان بن صلف فترك سعود الذي عقَّب فيحان.
وأما شاكر بن صلف فأعقب عدداً من الأولاد منهم: حمود وعبيد وليس لهم عقب، وماجد وعبدا لله وصلف ولهم أبناء يصعب حصرهم.

٣) - **حِجْر بن خلف بن ناحل**، وأنجب حجر ثلاثة أولاد هم: كِدا وعفاس وتركي. أما كدا فتوفي في حدود سنة ١٣٩٢هـ وترك من الأولاد بندر وصالح وقد توفيا، وحجر بن كدا بن حجر الذي اشتهر بكرمه وحبه للخير، وقد شغل عدة مناصب عالية، إلى أن توفي سنة ١٤١٠هـ عن عمر يناهز الستين عاما، وكان يشغل أمارة مركز بلدة سِمِيرة في منطقة حائل عندما وافته المنيّة. وترك حجر بن كدا عدداً من الأبناء منهم: بندر وبدر ومحمد وخلف وثامر وفهد وعبدالرحمن وخالد ونائف وعبدالعزيز وراكان.
وعقّب عفاس بن حجر البالغ من العمر حالياً أي في سنة ١٤١٦هـ ٨١ عاماً عدداً من الأولاد منهم: ناصر وتوفي في ١٤١٣/٢/١٠هـ ومنصور وجزاع وحجر ولهم أولاد صغار يصعب حصرهم.
أما تركي بن حجر بن خلف المولود سنة ١٣٣٤هـ فله من الأولاد: نمر وممدوح

وخلف وفيحان وسلطان ولهم أولاد صغار.

٤) - **بدر (الثاني)**، وليس له عقب.

٥) - **عَمْرو بن خلف بن ناحل**، وله أخبار ذائعة، وشهرة كبيرة، وهو شاعر عامي مجيد، له قصائد متميزة ومشهورة عند أهل نجد[١]، وتوفي عمرو بن ناحل سنة ١٣٧٠هـ بعد أن ترك ثلاثة أبناء هم بالترتيب: محمد وبدر وبندر، ذو نباهة وشهرة، ويشغلون الآن مناصب عالية في ظل القيادة السعودية الرشيدة.

ولا شك أن من يطّلع على أخبار هذه الأسرة الكريمة، لا بد أن يلمس بركة الأفعال الجميلة لخلف بن ناحل، حيث يلاحظ المرؤ تنامي هذه الأسرة وتكاثرها.

بلاد النواحل الآن :

وفي ظل حكومتنا الرشيدة تأسس للنواحل مراكز أمارة خاصة بهم، شملها التطور العمراني الذي تشهده البلاد وتكاملت بها الخدمات الحكومية، وتقع منطقة النواحل في أقصى الشمال الغربي لمنطقة القصيم، ومن مراكزهم الآن:

كحلة: وتقع شمال جبل الموشم وشرقاً عن هضاب الغيمار. وفيها الآن مركز امارة رسمي تابع لامارة القصيم. ورئيس مركز الأمارة فيها حالياً خلف بن غازي بن نايف.

المطيوي: وتقع بالقرب من كحلة. ورئيس مركز الأمارة فيها الآن رباح بن غلاب بن صلف بن خلف بن ناحل.

الارطاوي الشمالي: ويقع بالقرب من كحلة. ورئيس مركز الأمارة فيها الآن محمد بن غزاي بن نايف بن صلف بن خلف بن ناحل.

الفيضة: وتجاور مركز كحلة من جهة الشمال ولا تبعد عنها كثيراً. ورئيس مركز الأمارة فيها الآن متعب بن نايف بن صلف بن خلف بن ناحل.

---

(١) سبق أن قدم المؤلف محاضرة عن الشيخ عمرو بن ناحل ونماذج من أشعاره في الأمسية التي أقامتها الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون مساء يوم الاثنين الموافق ١٤١٧/٢/٢٢هـ.

الفصل الثاني

****

خلف بن ناحل في مذكرات الرَّحَّالة داوتي

الفصل الثاني

خلَف بن ناحِل
في مذكِّرَات الرَّحَّالة دَاوْتِي

تعريف بالرحّالة داوتي :

دَاوْتِي رَحَّالة بريطاني، اسمه: **تشارلز مونتيجيو داوتي**. وُلِد في مقاطعة سفولك بانجلترا سنة ١٨٤٣م، وبعد أن أنهى دراسته الجامعية في علم الجيولوجيا اهتمّ بدراسة اللغات الأوربية، ثم أولع بحب الرحلات والمغامرات وزيارة الأماكن الأثرية، فزار اسبانيا وايطاليا سنة ١٨٧٢م. ثم زار اليونان ووصل مصر سنة ١٨٧٥م، ثم زار مدينة البتراء الأثرية ومنها سمع بمدائن صالح في جزيرة العرب وقرّر زيارتها.

ونظراً لصعوبة وصول الغربيين غير المسلمين إلى الجزيرة العربية، فقد اضطر داوتي إلى التظاهر بمظهر رجل شامي عادي اسمه خليل، ورافق قافلة الحج وذلك سنة ١٨٧٦م الموافق ١٢٩٤هـ ووصل إلى مدائن صالح في شهر نوفمبر من السنة المذكورة. لكن أمير الحج التركي أمرَه بالبقاء بمدائن صالح تحت المراقبة، ولم يسمَح له بتجاوزها إلى الأماكن المقدّسة[١].

مكَث داوتي هناك عدة شهور استغلها في تدوين ملاحظاته ونقل النقوش الأثرية وتجول في المناطق القريبة مثل خيبر بالرغم مما تعرض له من مضايقات وأخطار في أكثر من مناسبة. وفي شهر أكتوبر من سنة ١٨٧٧م (رمضان

---

(١) انظر عن داوتي: كتاب الرحالة الغربيو في الجزيرة العربية، تأليف د. رُوبن بيدْول، ترجمة د. عبدا لله آدم نصيف، جامعة الملك سعود ١٤٠٩هـ، ص٧٧ وما بعدها.

١٢٩٤هـ) وصل دواتي إلى حائل وزار حاكمها الأمير محمد بن رشيد، وبعد شهر تقريبا غادر حائل إلى خيبر بناء على طلب ابن رشيد الذي زوّده بكتاب إلى مندوبه في خيبر. وظلَّ في خيبر شهرين تقريباً، ثم طلَبَ منه حاكمها العسكري مغادرتها.
وعاد داوتي سيء الحظ إلى حائل فدخلها مرة ثانية في شهر ابريل سنة ١٨٧٨م (ربيع الأول ١٢٩٥هـ) لكنه لم يجد الأمير محمد بن رشيد، مما جعله يتعرض لإهانات كثيرة بسبب تعصّبه لديانته النصرانية.

وغادر داوتي حائل مع رجلين من قبيلة عنزة أهل خيبر، لكنهما تركاه في منتصف الطريق عند قبيلة هتيم. وفي حائل كان داوتي يتطلع بشغف إلى زيارة منطقة القصيم لكنه لا يستطيع الافصاح عن هذا الهدف بسبب الظروف السياسية السائدة والتوتر القائم بين أهل القصيم وابن رشيد. وعند مضيِّفِيه الجديد تسقّط داوتي الأخبار، وسأل عمّن يوصله القصيم فقيل له لا يستطيع ذلك إلا خلف بن ناحل من حرب. فكان هدفه التالي الوصول إلى ابن ناحل. وبعد عدة محاولات ومغامرات تمكن من الوصول إلى خلف بن ناحل في شهر ربيع الأول من سنة ١٢٩٥هـ، ومن هناك إلى بريدة ثم عنيزة، حيث زار أميرها زامل وبقي هناك حوالي شهرين إلى أن غادر القصيم في ٥ يوليو ١٨٧٨م (الموافق ٦ جمادى الثاني ١٢٩٥هـ) برفق قافلة تجارية إلى الحجاز. وبعد رحلة طويلة وشاقة وصل إلى القنصلية البريطانية في جدة في ٣ أغسطس ١٨٧٨م، لتنتهي بذلك فصول تلك المغامرة الغريبة. وبعد ذلك رجع داوتي إلى وطنه وتزوج وأخرج مذكّراته. واعتبرته بريطانيا بطلا قوميا بسبب تلك المغامرات الاستكشافية التي قام بها داوتي معتمدا على جهوده الذاتية ونجح في الوصول إلى عمق الصحراء ووصل إلى أماكن يصعب على الغربيين من أمثاله الوصول إليها.
وكانت وفاته سنة ١٩٢٦م (١٣٣٤هـ)[1].

---

(١) المصدر السابق.

داوتي وابن ناحل :

حيث أن داوتي يسترسل في كتابة مذكراته وملاحظاته، ويسجل انطباعاته ومشاهداته لكل ما يراه أو يسمعه من خلال تنقله بين العربان والمواضع، فإن الذي يُهمُّنا هنا هو ما يتعلق بما كتبه عن الشيخ خلف بن ناحل. وفيما يلي مقتطفات مختارة مما ذكره:

كما أسلفنا فقد أُخْرِج داوتي من حائل للمرة الثانية ووصل إلى بعض البدو الواقعين إلى الجنوب الغربي من حائل. ويبدو أنه كان يحاول زيارة القصيم التي لم يسبق له زيارتها، لكنه لا يستطيع الافصاح عن ذلك بسبب العدَاء بين ابن رشيد وأهل القصيم حينئذ. وكان الجماميل الذين نقلوه من خيبر تركوه عند رجل يدعى معتوق الهتيمي وهربوا باتجاه خيبر ويبدو أنهم من عنزة. وهناك سأل داوتي عن كيفية الوصول إلى القصيم فعلم من العرب، الذين أقام عندهم: أنه لا يستطيع الوصول إلاّ عن طريق خلف بن ناحل كبير عرب حرب القاطنين بين حائل والقصيم، كما يقول. وهناك صمّم داوتي الذي ادّعى أن اسمه خليل وأنه طبيب شامي أن يقابل خلف بن ناحل، وألَحّ على مضيّفه معتوق طالبا منه أن يوصله إلى هناك مقابل مبلغ مالي[1].

ويذكر داوتي أن عرب معتوق كانوا يتحدّثون كثيراً في مجالسهم عن ابن ناحل، وكانوا يقولون: (**إن بيته كبير جداً، وهو غني عظيم الثراء. أوف! ستجد عنده كل أشكال الجود والكرم، وعندما تأتي إلى بيته قل له: أرسلني يا ابن ناحل إلى القصيم، وسيفعل**)[2].

---

(١) المصدر السابق ص٣٠٠ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق ص٣٠٠

في الطريق إلى ابن ناحل :

يذكر داوتي أنه بعد أن أقام عند معتوق ستة أيام في موضع يقال له: أول Aul [(١)]، وبعد إلحاح شديد من الضيف على معتوق ، غادر الاثنان باتجاه مضارب ابن ناحل الذي لا يعرفون مكانه بالتحديد بسبب كثرة تنقلات البدو وعدم استقرارهم[(٢)].

ويصف داوتي بعد ذلك فيقول: (**.....وركبنا جَمَلاً حُرّاً يندر استعماله هنا، ومركبه صعب بعض الشيء، وذلك بعد ارتفاع شمس الصباح بمقدار ساعة، وسرنا في الصحراء باتجاه جبل صفَا، وبعد ساعتين رأينا بيوت عرب الشيخ ابن داموك[(٣)] وكانت إبلهم منتشرة في السّهْل، ونادى معتوق راعي الابل لأخذ الأخبار، ولكن اتضح أنه لم يسمع شيئا عن مكان ابن ناحل مؤخراً .....الخ**)[(٤)].

ويستطرد داوتي في وصف مشاهداته للوادي ووصف قطيع كبير من الغزلان في الطريق. ويصف ما مرُّوا به من قطعان الابل ورعاتها الذين كان يسألهم معتوق في كل مرة عن أخبار العربان والأمطار والغزوات وعن ابن ناحل. ويذكر شيئاً عن بعض مواقع عرب الشيخ قاسم بن براك وهو أحد شيوخ قبيلة بني رشيد المعاصرين للشيخ خلف بن ناحل، ثم يقول: (**... وبدا أمامنا جبل قنا وعلى يسارنا يقع مَورِد البنانة بين الجبال ...الخ**)[(٥)].

ثم يذكر أن آخر الذين صادفوهم أخبروهم أن ابن ناحل قد اجتاز الوادي ــ وادي الرمة ــ إلى حدود ديار عتيبة. ثم حلّوا على عرب آخرين وأمضوا عندهم بعض الوقت

---

(١) أول: مورد ماء قديم يقع إلى الشمال الغربي من بلدة السليمي

(٢) المصدر السابق أول ص٣٠٤

(٣) ابن داموك من شيوخ قبيلة بني رشيد.

(٤) المصدر السابق ص٣٠٤

(٥) قنا: جبل سميت باسمه قرية تقع الآن إلى الجنوب من مدينة حائل، والبنانة مورد ماء قديم بطرف بنان في نواحي وادي الثلبوت وهو أحد روافد وادي الرمة الشمالية يلتقي به أسفل الحاجر (العرب ١٨٧/٧).

حيث وجدوا معهم أخاً غير شقيق لمعتوق. وبعد ذلك يواصل داوتي مذكراته قائلاً: **(وركبنا من عندهم مواصلين سَيرنا .... ولم نلبث أن اكتشفنا أذواداً من الابل يرعى تحت جبل قنا، فقصدناها للسؤال. وقد أدرك معتوق أنها إبل حرب بسبب لونها الذي يغلب عليه السواد. وقد وجدناهم من عربان حرب فعلاً. وأخبرنا الشبّان أهل الابل أن ابن ناحل نزل بلدة السليمي[1] هذا اليوم. كما حلَبُوا لنا. وارتحلنا من عندهم مواصلين رحلتنا حتى بدَت لنا نخيل قرية في الصحراء. ومررنا بجبل كبد[2] ثم بدا لنا جبل مستو هو جبل دِبِي[3] وبعد أن اجتزنا دبي بمرحلة طويلة بدا لنا جبل العَلَم[4]، وأشار معتوق إليه وهو يقول: إن طريق المدينة من هناك، وهو أربعة أيام للذلول. وفي وقت الظهيرة الحارة رأينا قطيعا آخر من الابل ترعى تحت الجبل فقصدناها وارتحنا عند أهلها، ووصفوا لنا الطريق إلى ابن ناحل . ....كما أخبرنا أهل الابل أنهم من عوف جاءوا من أراضي الحجاز التي بين الحرمين لَـمَّا سمعوا أن الأرض هنا ربيع ...الخ)[5].**

ويستمر داوتي في وصف مشاهداته، ثم يذكر أنهما صادفا رجلاً مسلحاً من حرب على مطيّة ويقود مهرة وقد وقفوا تحت تهديده. وبعد أن عرَّفوه بأنفسهم مضى كل في سبيله بسلام. وعندما وصلوا إلى أوَّل منازل قوم ابن ناحل قال له معتوق: يا خليل إن العرب غير منتبهين، سأدَّعي أنك شامي ولست نصرانياً! وسأتركك هنا. لكن داوتي رفض بشدة وأصر على إيصاله إلى ابن ناحل نفسه.

---

(١) السليمي: بلدة عامرة تقع إلى الجنوب من مدينة حائل على بعد ١٧٠كم تقريباً (العرب ٦/٩٢٤).

(٢) هناك عدة مواضع باسم جبل كبد، ولكن الذي يقصده داوتي أكباد وهو جبل أسمر يقع إلى جنوب شرق البركة وإلى الغرب من السُّليمي على بعد ٢٥كم تقريباً، كما أفادني أحد أبناء المنطقة.

(٣) دبي: جبل يقع غرب بلدة السليمي، وينطق الآن إدبي (العرب ٤/٢٥٦).

(٤) العَـلَم: جبل عظيم منيع يقع إلى الشمال الغربي من النقرة الواقعة على بعد ٣٠٠ كيلاً تقريباً من بريدة على طريق القصيم المدينة المنورة (انظر العرب ٧/٧٧١).

(٥) المصدر السابق ص٣٠٥

داوتي في بيت خلف بن ناحل :

ويسجل داوتي انطباعاته بعد أن وصل إلى عرب ابن ناحل فيقول: (... **ها أنا قد وصلت إلى حرب القاطنين في المنطقة التابعة لابن رشيد. وقد وجدت أن حرب نجد يتمتعون بعقلية عربية أصيلة أكثر من عنزة. إن أفضل عُقيلي في خيبر كان حربياً. كان لطيفاً وأميناً. كان قليلاً ما يشاهد في قهوة عبدا الله[1] وكان يأتي أحيانا إلى العم محمد[2] الذي يُعتبر نصف بدَوي!. في أحد الأيام قال: نحن بنو سالم أحسن منكم، فليس عندنا افرنجي يستعمل هذا الدخان)[3]** ويضيف داوتي: (**ونزلنا عند بيت ابن ناحل وكان بيته كبيراً. ودخلنا مجلس الرجال بعد تبادل التحية المعتادة. كان ولد ابن ناحل الشاب ومعه مجموعة من الشبَّان جالسين في ناحية المجلس المتَّسع، وجلسنا نحن، في حين أخذ الشبان يتهامسون فيما بينهم لمعرفة من أكون!)[4].**

القهوة لدَى ابن ناحل :

ثم يقول داوتي بعد أن دخلوا مجلس خلف بن ناحل: (**وارتفع صوت نجر القهوة، وكأنه يدعو الأضياف للقهوة في بيت ابن ناحل، وهنا رأيت رَجُلاً عظيماً ومعه رفاقه لشرب القهوة وهم يدخلون البيت بثيابهم الطويلة وأجسامهم غير المكتنزة. إنهم ملوك القهوة في حياة الصحراء (They were coffee Lords men of an elegent leisure in the desert life). كما أن الحربيين يلبسون ثياب**

---

(١) يشير داوتي هنا إلى بعض الذين تعرف عليهم أثناء اقامته في خيبر، ومنهم عبدا الله هذا وهو صاحب المقهى الذي يتردد عليه داوتي.

(٢) محمد النجومي رجل تعرف عليه داوتي أثناء اقامته في خيبر. ووصفه بأنه أعز صديق قابله في بلاد العرب، ولا نعرف عنه إلا أنه جندي متقاعد. وقد تحدث داوتي عنه كثيراً وأثنى عليه ثناء بالغاً (انظر الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية ص٨٣).

(٣) المصدر السابق ص٣٠٨

(٤) المصدر السابق ص٣٠٨

الشهامة بين البدو (Also the harb go gently clad amongest Beduins) (؟)[1].

التفاوض مع ابن ناحل :

يقول داوتي مواصلا حديثه عن لقائه لأول مرة مع خلف بن ناحل: (رحَّب بنا خلف بن ناحل ومَدَّ يده من بعيد وعلى وجهه ابتسامته الخفيفة، مع التحفظ المعتاد لبروتوكلات مثل هذه المجالس وَسَط دَوِيّ الهاون في تلك الصحراء الجافة. ثم جلس الجميع لتناول قهوتة، ثم همَسَ خلَف في أذن ولده متسائلا: من يكون أهو عسكري؟. وابتسم الفتى وكأنه يريد أن يتكلم غيره مَمَّن يَعْرِف الاجابة، وهنا تدخل أحد الشبَّان قائلاً: يجب أن نعرفه!. فقال ولدُ ابن ناحل: أليس هو النصراني الذي جاء إلى حائل في العام الماضي؟).

ويعلّق دواتي في مذكراته: لقد كنت هو! ثم يتابع داوتي سرد القصة: (وقال خلف: لقد كنت في حائل بعد رحيلك بفترة قصيرة وسَمِعت عنك، عندما دخلت حائل، إني أعرِفُك)[2].

ثم يتكلم المؤلف عن ابن ناحل، فيقول عنه: (لقد زار النصارى عندما كان يتاجر بالإبل في مصر. يقول ابن ناحل: وا لله إنهم أهل النية الواحدة، وا لله إن واحدا ركب مسيرة نصف يوم من شأن يعيد خمسة بِنْسات حين عرف أن الحساب زائد. لكن الشيء الوحيد الذي كرهته في النصارى اختلاط الرجال بالحريم والتِصاقهم ببعض عند الجلوس. ويضيف خلف: خليل يسافر بين العرب؟. فقلت نعم لِمَا لا؟ إذا كان يحمل كل هذه الأدوية، والنصارى بتلك السمعة الطيبة !).

---

(١) المصدر السابق ص٣٠٩

(٢) المصدر السابق ص٣٠٩

ثم يذكر داوتي: أن رجلين من أهل السليمي جاءا إلى بيت خلف يشتكيان إليه ما حصل من مواشي بعض عربانه حيث أضرت بمزارعهم. وبعد ذلك يقول: (**وعندما غادر الرجلان تفرّغ خلَف ليستمع لنا وينظر في موضوعنا. ثم أخذ معتوق جانباً وهدَّده وخوَّفه من غضب ابن رشيد، وسأله عن قصة دخولي للبلاد ومجيئي إلى منزله. وهنا قمت إلى خلف وقلت لهم: ألا تستطيع أن ترسلني للقصيم مثل باقي الناس؟، وأضفت: ها أنذا قد نزلت عند بيتك وطعمت في ضيافتك. وسأبقى عندك اليوم وغداً وأرجو أن ترسل معي من تثق به. كان صوت خلف ناعماً، لكن قلبه كان صارماً مع مجاملة سياسية كاملة. حيث قال مخاطباً معتوق: يامعتوق، أنا لا أستطيع، وكيف نرسله للقصيم؟ ومن سيغامر، إن عربان عنزة في القصيم أعداؤنا. فقلت: يا خلف إنك تستطيع مساعدتي إذا أردت. فأجاب: اسمع: أدخل في الاسلام؟ وعند ذلك أستطيع إيصالك، فقط قل: لا إله إلا ا لله وأن محمدا رسول ا لله، وسوف أرسلك للقصيم بدون مقابل**)[1].

فشل المفاوضات ومغادرة داوتي :

يعترف داوتي أنه راوغ وتهرّب من قبول شرط ابن ناحل، فاقترح عليه خلف أن يبحث عن أحد من جماميل أهل القصيم ويصحبهم. ومرَّة أخرى رفض داوتي ذلك، لعلمه بصعوبة الحصول على جماميل من أهل القصيم. وهنا أشار خلف بن ناحل إلى معتوق وأخذه جانباً وهدّده مرة أخرى، وأخبره بأن عليه أن يأخذ الغريب ويتصرّف معه، لكن داوتي قال بدهاء مخاطباً ابن ناحل: (**حسَناً إذا ذهبنا من هنا ولم نجد من يوصلني فماذا سيكون مصيري ومن سيؤيني؟ فرَدَّ عليه ابن ناحل: إذا لم تجد مخرجاً فأنا سأستقبلك**).

(١) المصدر السابق ص٣١٠

ولم يجد داوتي بدا من الاذعان لطلب المغادرة حيث لم تصل المفاوضات إلى نتيجة حاسمة، نتيجة لاصرار كل من الطرفين على موقفه، فغادر هو وصاحبه بيت ابن ناحل للبحث عن عرب آخرين كان معتوق قد رأى منازلهم قرب جبل قِنا. ثم اقتربا من فريق مكوّن من ثلاثة بيوت. فنزلا وعقلا ذلولهما وناما بقرب العرب. وفي الصباح تركه معتوق عند أولئك العرب وعاد بعد أن أخذ كامل حسابه!

العودة إلى ابن ناحل، ولكن بصحبة شاب من حرب :

يقول داوتي مواصلا حديثه عن هذا الموقف الجديد: (**وفي الصباح تركني معتوق عندهم وهرب بعد أن أخذ كامل حسابه. فأخبرت مضيّفي الجديد واسمه مطلق ـ وهو من حرب ـ أنني أريد الذهاب إلى القصيم، فاقترح عليّ أن نذهب إلى خلف بن ناحل لنتدبّر الأمر. وسِرنا باتجاه ابن ناحل وبعد أن قطعنا نصف ميل تقريباً اعترضَنا فارسٌ بيده رُمْح. لقد عرفته فقد كان بالأمسِ في مجلس ابن ناحل وكان هو المعارض الوحيد لي. إنه طلق الأخ الأكبر لمضيفي ....الخ**).

ويواصل داوتي سرد قصته فيقول: (**وصرَخ طلَق في وجه أخيه مُعَنِّفاً أخاه الذي انخدع بقصتنا وترك الهتيمي يذهب قبل أن يتاكد من الأمر، وشهَر سلاحه وقال إنه سيلحق بالهتيمي ليرده وينتقم منه هو والنصراني**)[1].

مطلق الحربي: شهامة ومروءة!

ويواصل داوتي سرد قصته مُشِيدا بموقف رفيقه الجديد مطلق الحربي، ومعجبا بشهامته ووقوفه إلى جانب الغريب الذي لجأ إليه وإن كان كافرا، فيقول بعد أن ذكر تهديد أخيه طلَق له: (**لكن مطلق رَدَّ على أخيه بحزم: وا لله حتى لو كان نصرانياً فلن تمسّه بسوء. أليس هو في ضيافتنا الآن؟، كما أنه غريب!. وركب طلَق فرسه في إثر**

(١) المصدر السابق ص٣١٢

الهتيمي. أما نحن فواصلنا سيرنا إلى ابن ناحل الذي وجدناه قد رحَل بالأمس من منزله السابق. وصلنا إلى ابن ناحل وقت الظهيرة وكان نائماً. واستغرب الجميع عودتي. لكن صاحبي مطلق واجه الجميع محاولاً الدفاع عني. وبعد لحظات استيقظ خلف، وجاء بنفسه، وقال بعد أن نظر إليّ: هذا خليل مرة ثانية! والآن يا خليل؛ لقد تخلّى عنك الهتيمي الـ.....!. وا لله لو عرفت أنه أخذ كامل الأجرة لقطعت رأسَه وعقرت ذلوله. ثم خاطب أولاده: لا بأس اعملوا القهوة. فأجابه الولد: لقد جهّزنا القهوة وها نحن نشرب منها .. فقال له اعمل قهوة جديدة ولا تدّخر منها شيئا!)[1].

خلف يعطي موافقته على إيصال داوتي للقصيم :

يشير داوتي إلى أن ابن ناحل وفَى بوعده السابق ووافق على إيصال الغريب إلى مقصده بعد أن تخلّى عنه رفيقه السابق بطريقة غير لائقة، فانقطعت به السبيل، إضافة إلى أنه أصبح في ضيافة واحد من حرب. ويقول داوتي إن خلف بن ناحل وافق على سفره للقصيم، وطلب من مطلق أن يوصله إلى هدفه.

ويذكر داوتي أن تأخر لبعض الوقت عند عرب ابن ناحل قبل أن يرحل إلى القصيم، حيث يقول: (**لقد تسبّبَت اشاعة مفادها أن ابن سعود ومعه عتيبة ربّما يغزون على حرب في تأخير بقائي عندهم، لكن مطلق طمأنني قائلاً: اصبر، حتى نسمع صحة تلك الأخبار، وبعدها سوف أركب معك بنفسي، ليس إلى عنيزة فهم أعداؤنا ولا إلى بريدة، ولكن إلى صبَيْح بقرب النبْهانية. إن أهل تلك القرَى من جماعتنا. وسوف نرسلك من هناك مع بعض الجماميل**)[2].

---

(١) المصدر السابق ص٣١٢ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق، ص٣١٥

معلومات هامة عن خلف بن ناحل :

بالرغم من حراجة المواقف التي تعرض لها الرحالة داوتي أثناء رحلته، والاهانات التي لقيها في صحراء الجزيرة ومدنها بسبب تعصبه الزائد لديانته، إلا أنه كان منصفا في حديثه بشكل عام، حيث يتضح من قراءة مذكراته أنه كان يكتب مشاهداته بواقعية تامة. وقد أدى هذا الأسلوب الكتابي لدَى داوتي إلى شيء من عدم الترتيب بالاضافة إلى الاسهاب الممل أحيانا. وهكذا نجد أنه يسهب في وصف الجزئيات والأمور التافهة، ويختصر في مواضع لا يحسن فيها الاختصار. إلا أنه وبالرغم من ذلك، فإنه يمكن استخلاص معلومات هامة وقيّمة خاصة عن الشيخ خلف بن ناحل سواء بطريق مباشر أوغير مباشر، منها ما يتعلق بكرمه ومنها ما يتعلق بثروته ومنها ما يتعلق بمكانته الاجتماعية والسياسية في قبيلته ولدى القبائل الأخرى وكذلك علاقته بالأمير محمد بن رشيد.

كرَم ابن ناحل كما يراه داوتي :

لقد سجل داوتي إشارات مهمة عن كرم ابن ناحل وحسن أخلاقه، بالرغم من عدم حسن استقبال ابن ناحل له بسبب ديانته النصرانية، وبسبب شكوك ابن ناحل حول حقيقة هذا الغريب، وارتيابه من مهمته الحقيقية وأهداف وصوله للمنطقة.

وقد كانت أولى الاشارات إلى كرم خلف بن ناحل ما سجّله داوتي قبل أن يصل إلى مضارب ابن ناحل، حيث كانت شهرة خلف في هذا الجانب حديث العربان الآخرين، ويصف داوتي ذلك عند العرب الذين أشاروا عليه بالذهاب إلى ابن ناحل والذين كانوا كثيرون ما يتحدثون عن ابن ناحل وثروته وكرمه، مثل قولهم: **(إن بيته كبير جداً، وهو غني عظيم الثراء. أوف! ستجد عنده كل أشكال الجود والكرم، وعندما تأتي إلى بيته قل له: أرسلني يا ابن ناحل إلى القصيم، وسيفعل).**

ويقول في إشارة أخرى وهو يصف وصوله إلى بيت ابن ناحل: (**ونزلنا عند ابن ناحل وكان بيته كبيرا ...**) - إلى أن يقول: (**وارتفع صوت نجر القهوة وكأنه يدعو الأضياف للقهوة في بيت ابن ناحل، وهنا رأيت رجلا عظيما ومعه رفاقه لشرب القهوة، إنهم ملوك القهوة في الصحراء**).

وفي موضع آخر يشير داوتي إلى ذلك بشكل غير مباشر وهو يتكلم عن وصوله للمرة الثانية إلى خلف بن ناحل بعد أن أخبره بهرب رفيقه معتوق واضطراره للعودة إلى خلف، حيث يقول داوتي عن خلف إنه قال: (**لا بأس، اعملوا القهوة؛ فأجابه ولده: لقد جهزنا القهوة، وها نحن نشرب منها. فرد عليه خلف: اعمل قهوة جديدة ولا توَفّر منها شيئا!**)[1].

خلف ومكانته السياسية والاجتماعية :

قبل أن نستعرض ما ذكره داوتي عن هذا الجانب، فإنه يجدر بنا أن نشير إلى جماعة خلف بن ناحل من قبيلة الأحامدة الذين وصلوا إلى نجد والذين كان لهم حضور قوي وسمعة طيبة، برز ذلك من خلال نشاطهم التجاري والسياسي كحلقة وصل بين مدينة حائل المزدهرة في ذلك الوقت وبين المدينة المنورة. فكان لهم اسهام مشهور في مرافقة قوافل الحج والقوافل التجارية بين منطقة حائل وبين الحجاز، كما كان لغيرهم من قبائل حرب أيضا مثل هذا الدور. وهكذا فقد كانت العلاقة مع أمراء حائل من آل رشيد قوية وعريقة[2].

ومن هذه الخلفية التاريخية ظهر خلف بن ناحل، لكنّه أوجد لنفسه مكانة بارزة، صنعها بنفسه و لم يرثها من أحد. لقد بنى مجده معتمدا على عصاميته ونجاحاته الشخصية

---

(١) المصدر السابق ص٣١٣

(٢) انظر جريدة عكاظ العدد ٦٢٧٠ يوم الأحد ٢٨ شوال ١٤٠٣هـ الموافق ٧ أغسطس ١٩٨٣م، مقال للأستاذ محمد حسين زيدان.

التي استثمرها بشكل جيّد وموّفق.

أما معلومات داوتي عن هذا الجانب من شخصية خلف بن ناحل فتتمثل في الاشارات المختصرة التي يمكن عن طريقها استنتاج معلومات تاريخية هامة بهذا الخصوص.

يقول داوتي في احدى ملاحظاته واصفا ابن ناحل: (**إن حياة ابن ناحل على ما فيها من الدَّعَة التي تضفي على من يعيش معه نوعاً من الابتهاج، لا تساوي شيئا إلى جانب نجاحه المتراكم. إن عربان نجد يطلقون على مثل هؤلاء الأشخاص: الأثرياء. لكنه اليوم شيخ عرب. وحيث أن العرب لا يجمعهم إلاّ رابطة الدم فإن كثيراً من أهل البيوت الذين يرحلون وينزلون مع ابن ناحل هم جماعته. إضافة إلى كونه من رجال ابن رشيد**)[1].

ويشير داوتي في موضع آخر إلى ممارسة خلف بن ناحل لغزو القبائل الأخرى فيقول: (**وكأي بَدَوِي، فإن ابن ناحل يمارس الغزو مع جماعته، وغالبا ما يكون باتجاه عتيبة. وكانوا يستعدون للغزو في أحد الأيام القريبة القادمة**)[2].

داوتي يصف ثروة ابن ناحل :

لقد تحدث داوتي عن ثروة خلف بن ناحل كثيرا، حتى بدا في مذكراته وكأنه يقدم تقريراً اقتصاديا، حيث قدم معلومات مفصلة ودقيقة عن رأس مال هذا الشيخ العربي في قلب الصحراء. وسوف نستعرض فيما يلي مقتطفات مما أورد داوتي بهذا الخصوص:

يقول داوتي في معرض حديثه عن قصة نجاح خلف بن ناحل في تحقيق ثروته من المتاجرة بالابل وغيرها: (... **لقد بَرَز من خلال متاجرته بالإبل ليصبح من أغنى أغنياء**

---

(١) المصدر السابق ص٣١٤

(٢) المصدر السابق ص٣١٥

العرب الجنوبيين، حتى صار له عملاء يسافرون للمتاجرة له في بيع القهـوة والملابـس بين البدو، كما زاد عدد ماله من الابل حتى قسمها إلى مجموعتـين). ويضيـف داوتـي مستطردا: **(... إلى جانب ذلك فإن عنده من الفضة ما ينظر إليه العرب على أنـه كـنز عظيم، محفوظ في خزانته. لقـد قـام ابـن نـاحل بـأُولَى مغامراتـه التجاريـة الهامـة قبـل سنوات عندما جلب قطيعاً من الإبل إلى سـوق مصـر. لقـد عَـبَر هـذا الحربـي مئـات الأميال الصحراوية بصحبة رفقـاء الطريـق، في حـين كـانت عيـون قبيلتـه تتجـه نحـو المدينة، ولم يعتـادوا عـلى السفـر إلى تلك البـلاد، لكنـه وصـل - إلى مصـر - بسـلام. وبلغت أرباحه ٧٠٪)**.

ثم يذكر داوتي أن خلف قـام برحلـة أخـرى بعـد ذلـك لكنهـا لم تكـون موفقـة كسابقتها، وهذا هو حال التجارة.

ويضيف داوتي محاولا تقدير ثروة خلف بن ناحل بشيء من الدقة الواضحـة: **(وفي تقديري أن ثروة خلف ابن ناحل تقدَّر بألفي جنيه استرليني بما في ذلك إبله التي تبلـغ ٣٠٠ رأس ومخزونه من الفضة. ولا شك أن ذلك يعتبر ثروة طائلـة في وسـط الحيـاة الصحراوية الفقيرة)**[١].

* * * * * * * *

* * * * * *

* *

---

(١) المصدر السابق ص٣١٥

الفصل الثالث

****

خلف بن ناحل في ذاكرة الشعر

الفصل الثالث

خلف بن ناحل في ذاكرة الشعر

إذا كان خلف بن ناحل لم يجد من يؤرخ له من أبناء جِلْدته، فقد حتمت عليه ظروف الزمان والمكان أن يكون بعيدا عن الشعراء الفصحاء، ولهذا فقد كان لا بد للشعر العامي الذي كان سائدا في مجتمع خلف بن ناحل أن يسد هذه الثغرة، وأن يسجل بكل أمانة جانبا هاما من جوانب شخصية خلف، ولِمَ لا والشعر ديوان العرب، سواء كان فصيحا في زمن الفصاحة أو عاميا في زمن العامية؟

وبما أن العرب يعتمدون على الحفظ في نقل أخبارهم وأشعارهم، ولا يعتنون بالتدوين والكتابة فقد ضاع جزء كبير مما قيل في خلف بن ناحل وكرمه الذي صار مضربا للمثل عند الشعراء الذين عرفوا ابن ناحل أو سمعوا به.

وبما أن ما لا يدرك كلّه لا يترك جُلّه، فقد رأينا أنه من المناسب عند الحديث عن خلف بن ناحل أن ندون ما أمكن الحصول عليه من الشواهد الشعرية التي تؤيد ما سمعه داوتي وما ذكره عن شخصية خلف بن ناحل.

وقفة مع مع بعض الشعراء الذين أثنوا على خلف بن ناحل :

لقد قيلت في خلف بن ناحل وأسرته أشعار كثيرة وقصائد طويلة بعضها في عصره وبعضها بعده، ومع أن كثيراً من تلك الأشعار قد ضاعت ولم تحفظ، إلاّ أننا سوف نحاول هنا ايراد بعض الشواهد لبعض الشعراء الذين شهدوا لخلف بن ناحل وأسرته بتلك الخصال الحميدة وعلى رأسها خصلة الكرم التي تميَّز بها خلف بن ناحل، مع اعطاء نبذة قصيرة عن كل شاعر. ومن أولئك الشعراء مايلي:

١) ـ حمود بن رشيد:

هو الأمير الشاعر حمود بن عبيد العلي الرشيد أحد أعيان أسرة آل رشيد حكام حايل سابقاً. وحمود بن رشيد أشهر من نار على علَم في ميدان الشعر العامي في نجد، اضافة إلى شهرته في الامارة الرشيدية في عهد محمد بن رشيد. وقد توفي الشاعر حمود بن رشيد سنة ١٣٢٦هـ بعد حياة حافلة بالشهرة والحوادث السياسية. وقد ترك حمود بن رشيد عددا من الأبناء والأحفاد إلا أن كثيرا منهم قتلوا في حوادث متفرقة، ولم يبق منهم سوى ذرية سليمان بن عبيد بن حمود بن رشيد وهم يمثلون اليوم احدى الأسر الرشيدية الكريمة.

وقد قال حمود بن عبيد بن رشيد عدة أبيات اشتهر منها البيت التالي الذي صار مثلا يستشهد به كل ما ذُكِر خلف بن ناحل:

يا من خبر يحذي وهو ماكسَب شين   يا كود ابن ناحل بماضي الزماني

وهو يشير إلى القصة المشهورة عن خلف بن ناحل وهي أنه في احدى غزواته عاد بدون كسب، ولما أقبل على عربه استقبله طالبوا العطايا وكان من ضمنهم الزمَّال وهو الذي يعتني بزوامل خلف بن ناحل وراحلته الخاصة، وهم يظنون أن الشيخ خلف قد عاد بالغنائم كعادته، فما كان من خلف إلاّ أن أعطى كل من سأله وعلى رأسهم الزمّال من إبله الخاصة.

٢) ـ الراوية محمد العبيّد:

وهو الراوي والمؤرخ المشهور محمد العلي العبيِّد من أهل عنيزة، وهو من مواليد سنة ١٣٠٠هـ أو قبلها بقليل، وتنقل بين القصيم وحائل والحجاز والعارض، وعاصر آخر امارة ابن رشيد وشطراً من عهد الشريف حسين، إلاّ أنه عاصر الملك عبدالعزيز رحمه الله، وعاش إلى أن توفي في حدود سنة ١٣٩٠هـ. اشتهر بصدق الرواية وسعة الاطلاع وله مخطوطة غير منشورة أشار فيها إلى كرم خلف بن ناحل وشهرته.

٣) - ابن شـرَار:

هو الفارس والشاعر جهَز بن شـرَار أحـد فرسـان وشـيوخ قبيلـة ميمـون مـن بـني عبدا لله من مطير، حيث يقول من قصيدة معروفة في احدى الوقعات في البادية:

وخـلـف ربيع الـضـيـف والآهـلـيَّة　　　يـا ريف خِطَّارِ على الـزاد شـفـقـيـن

٤) - فرج بن خربوش:

هو الشيخ والشاعر فرج بن خربوش الأسلمي الشمري وقد قال من قصيدة طويلـة يثني فيها على شيوخ قبيلة حرب:

خلف بن ناحل بـبَـيْـته تـقل عِـيد　　　اللي عطـا الزمـَّال مـن حــر مـالــه

٥) - الشاعر عبيدا لله بن سالم الشمري:

ونشير هنا إلى قصة غثيث بن نزال القدهي الغريري الشمري مع الشيخ حجـر بـن ناحل رحمه ا لله، حيث لحقه دَين كثير فقصد الشيخ حجر بن نـاحل واسـتنجد بـه فقـام النواحل بإيفاء هذا الدين في قصة مشهورة ومشـهودة أشـار إليهـا الشـاعر عبيـدا لله بـن سالم بن طراد الشمروخي الشمري في قصيدة لـه. وقـد أذيعـت هـذه القصيـدة بصـوت صاحبها في برنامج من البادية من اذاعة الرياض يوم الثلاثاء الموافق ١٤١٣/٥/٩هـ منهـا هذا البيت:

الشيخ ابـن نـاحل ربيـع الـمحـبِّين　　　عــز الرفيـق اللي سطَـا بـه زمـانـــه

وسوف نورد القصيدة كاملة في هذا الكتاب ان شاء ا لله .

٦) - سبيل بن سند:

وهو الشاعر الكبير سبيل بن سند الـحِصْني المزيني من بني سالم مـن حـرب الذيـن أثنى على الشيخ ابن ناحل في عدة قصائد منها قصيدته التي منها هذا البيت:

ونسيت ابن ناحل مع الضيف وِقْرَاه   الخيل عطاها وعطــا الــبل وهـايــب

٧) ـ شجاع الذويبي:

وهو شجاع بن عواد الذويبي من فرسان وأعيان بني عمرو من حرب من قصيدة له أرسلها عندما أصيبت جواده في أحد غزواته على عتيبة ووقع في يد أسر أعدائه، فأرسل القصيدة التالية يستنجد بقومه، ومنها:

وابَـمْتِـني بِيــْضان والا غيَــادين   اللـي يشـدُّون الـشوَش بـالـيَـمَـاني
والاّ النواحل شوفهم يعجـب العَـين   قطعـانهم ترعـى الخطـر دون عــاني

٨) ـ حبِـيب بن عوّاد العريمة:

هو الشاعر حبيب بن عواد العريمة من بني سالم من حرب، الذي قال من قصيدة له يثني فيها على جيرانه النواحل:

قالوا تغِيب وُقـلْت مـا مـن مغِيبــة   مغيبـتي يـم النواحــل هَــلَ الطّــيب

٩) ـ ضيف ا لله بن درباس الوهـبي الحربي:

هو الشاعر ضيف ا لله بن درباس من الوهوب من مسروح من حرب والذي يقول من قصيدة له:

رْجَال النواحل عندهم يرخص الـمِيْر   رِيـْف لْـهَـتّـاش الـخَلاَ والضعَــافي

١٠) ـ محمد العسيلي:

هو الشاعر الكبير محمد بن عبدا لله العسيلي المرواني المزيني من بني سالم من حرب الذي يقول من قصيدة له موجهة إلى الشاعر الأمير محمد بن أحمد السديري

رحمه الله، يمدح فيها شيوخ حرب:

أيضا خلف رِيف البيوت المبـَاحِيت　　　لـه بـالكرم خـطٌ على النـاس طـايل

١١) ـ عبدالعزيز أبا العون:

هو الشاعر عبدالعزيز بن محمد أبا العَون من بني سالم من حرب والـذي يقـول مـن قصيدة له في مدح النواحل:

يـا الله اتْـخَلّـي للنواحـل شـرِيدة　　　نطّاحـة الواجـب رجَـال الشـكَالة

١٢) ـ سعد بن صامل السليمي:

هو الشاعر سعد بن صامل من وِلْد سلِيم من بني سالم من حرب أمير هجرة مـرّان الذي يقول من قصيدة له مادحا النواحل:

ارجال النواحل يا فـهَد طبعهم غـَيْر　　　حُـمولةٍ يُـشهَد لـهـا في صَـخَـاهـا

١٣) ـ حسين بن حمدان:

هو الشاعر حسين بن حمدان الشمري الذي يقول من قصيدة له موجهة إلى غريـب بن فهيد ابن ناحل:

ابـن فـهيـد اللي بـه الـخير والطيـب　　　النـاحلي اللي بـه الـطيـب أشـاره
عِـز الـقريب وزايـدٍ للأجـانيـب　　　ودرب النشـاما مـا شِيٍ بـه وكـاره
من لابَـةٍ وقت الـحرايب معاطيـب　　　اللـي نـصَاهـم هـم عمـاره دمَـاره
أهل الكرم واهـل الـوفـا والمواجيب　　　والمـاكر الطّيـب تَـبيـّن حَـرَارَه
رَبْعٍ على دَرب الـمراجل محاضيب　　　درب الكبـَار وتـابـعيـنـه صـغَـاره

١٤) ـ سليمان بن شعيب:

هو سليمان بن شعيب من بني سالم من حرب يقول من قصيدة له:

نواحل لطَلاَّبة الدَّين مِضْحِين	**رجّالهم مع الكرم خف نابه**

١٥) ـ ابن بلَيْهِد:

هو المؤرخ والشاعر محمد بن عبدا لله بن بليهد المتوفى سنة ١٣٧٧هـ، صاحب كتاب: (صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار) حيث أورد في كتابه المذكور ما يروى عن الشيخ ناهس الذويبي شيخ بني عمرو من حرب أنه سُئل عن أشجع حرب وأكرمها، فقال أشجع حرب مانع بن مريخان وأكرمها خلف بن ناحل[1].

١٦) ـ صالح بن صخيبر:

وهو الشاعر الكبير صالح بن .... بن صخيبر من بني علي رحمه ا لله، حيث قال من قصيدة طويلة يمدح بها شيوخ حرب:

والشيخ ابن ناحل يسرّك ذِكْره	**شيخٍ بتشييد المكارم جاد**
خصايله ما اظن توجد بغيره	**ما ياخذ الرَّوَّاي والمدَّاد**
ما هو بضارٍ بالضعافا يصيدها	**لْيا اعتزى سوّه على الأضداد**

....الخ.

١٧) ـ *وقال الشاعر **حدجان الحزيمي** من عتيبة من قصيدة له:*

يا راكب اللي كنهن القرانيس	**مرباعهن بمريطبة والشنادي**
صوب النواحل كاسبين النواميس	**والهُم من البيضا ثياب جْدَادي**

---

(١) انظر ص١٠٦ من ج٢ من كتابه صحيح الأخبار.

الشواهد في قصيدة واحدة!

من الصدف المفيدة أن أحد شعراء النواحل وهو الشاعر غريب بن فهيد بن ناحل تعرض في أحد المرّات لموقف طريف، وذلك أن أحد الجالسين في مجلس عام أثنى على خلف بن ناحل ثناء بالغا، لكن واحدا من الحضور الذين لا يعرفون ابن ناحل معرفة تامة، ولا يعرفون متى يحسن الكلام ومتى يحسن الصمت، حاول التقليل من شأن خلف بن ناحل. فرد عليه المتكلم الأول وأسكته. فكان هذا الموقف سببا في تأليف قصيدة تجمَع ما قيل عن خلف بن ناحل بشكل خاص، وما قيل عن أسرته بشكل عام، وهي الشواهد التي استعرضناها قبل هذا، أما قصيدة غريب بن ناحل فهي:

هات القلم والبُوك واكتب عناوين ... ما قالوا الشعَّار عامٍ بَعَد عام
عن مَدْحهم بِمْكَبّرين الدواوين ... نواحلٍ من مَنهل الجود وِكْرام
نواحلٍ دايم على الطّيْب لازين ... رجّالهم بالطيب له تاج وَوْسَام
يشهد لهم حمود بعطا البعارين ... يشهد لهم الضيغمي ماضي الأعوام
خلَف عطَا مْنَ الجيش ستّه وتسعين ... غير أربع مْنَ الخيل بِسْروج ولْجام
ويشهد لهم بالطيب شيخ الشيَابين ... ابن فهَيْد اللي على الطيب جَزّام
وابن خليفة من رجال المَراوين ... حَط النواحل بَاوّل الشعر قدّام
وابن شرَار اللي كلامه موازين ... ما قالوا الشعّار بالشعر ظَلاّم
وفرَج إبن خربُوش راع الشرَايين ... أهل اللحَيْسَة فوقها كَبْشَها إيدام
وغَثِيث ابن نزّال دَيْنه ملايين ... خَلّوه عِقب الدّين يرتاح وِيْنام
وسبِيل أبو سلمان عَدّ المسَمّين ... عَد النوَاحِل يوم فيه الطَنَا زام
وقال الذويبي شوفهم يعجب العَين ... ساعة جواده صابته بعض الاسهام
وحبِيْب ابن عوّاد قوله صخيّين ... شعر العرَيْمة ما تطَرّق للاوهام

ويقول ابن درباس بالطيب وافين | ريفٍ لِهَتّاش الخلاَ هُم والايتام
وابن العسيلي يرفَع الراس ويِبين | شِعره كما الياقوت نَظْمه تنظّام
وعبدالعزيز من الرجَال العزيزين | كلامه احلا من لبن كل مرزام
وسعد ابن صامل من الربْع الأدنين | شعره جزيلٍ بالمعاني والأحكام
بالطيب والمعروف يشهد لنا حسين | ويشهد لنا التاريخ مع بيض الأيام
ابن شعَيْب بْمَدحهم له براهين | يوم المزيني واقفٍ قدم الأخصام
وابن بليهد ما شهد فيه يكْفِين | ولا اخْدِ بحال اللي حقودٍ وُنَمّام
ويوم اللقا فيهم ارجال شجيعين | شجيعهم ينطح طوابير الاروام
أهَل اطوال الخيل بالعسر واللين | بالهون أم حويد باعنان وخزام
وكل القبايل بهم رجال كريمين | يوجد بهم الطيب من قبل الاسلام
حَكَم بْدَاح العنقري بشعره الزين | الطيب بين الناس مِتْوَزع اقسام
الطيب لاهل الطيب سابق وهالحين | يشهد به التاريخ مع طرس الاقلام
يا ظالمين الناس مخطين مخطين | الناس تُعْرَف بالفعايل والاقدام
وتمت شهادات الشيوخ الأديبين | يفخر بها رَجْل النواحل اليا قام
وتم الكلام اللي مشَدّه عناوين | وما قالوا الشعار عامٍ بَعَد عام
وصلاة ربي عد حجٍ ملَبّين | وعداد ماطافوا على البيت بِحْرام
على محمد خاتمٍ للنبيّين | امجاهد الكفار عِبّاد الاصنام

والشاعر غريب بن فهيد بن ناحل غني عن التعريف فهو من الشعراء والرواة المشهورين في قبيلة حرب، يتميز بموهبة نادرة في حفظ الأشعار والأخبار فضلاً عن تميزه بالرجولة والكرم كأسلافه.

فهارس الكتاب

****

١) - فهرس الأعلام

- أ -

- ب -

- خ -

- ص -

- ض -

- ط -

- ظ -

- ع -

- غ -

- هـ -

- و -



٢) - فهرس الأسر والقبائل

- أ -

- ب -

- ت -

- ث -

- ج -

- ح -

- خ -

- د -

- ر -

- ز -

- س -

- ش -

- ص -

- ظ -

- ع -

- ن -

- هـ -

- و -

- ي -

٣) ـ فهرس المواضع

ـ أ ـ

ـ ب ـ

- ت -

- ث -

- ج -

- ح -

- خ -

- د -

- ص -

- ط -

- ع -

ـ ف ـ

ـ ق ـ

- ك -

- ل -

- م -

❊ ❊ ❊

٤) ـ فهرس المراجع

١ـ **الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية**، تأليف: د. محمد بن عبدالله السلمان، ط١

٢ـ **الأطلس التاريخي للبلاد السعودية ـ** مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ملحق رقم١، اصدار رقم١١ لعام ١٣٩٨هـ.

٣ـ **اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن**، محمد بن علي الطبري المكي، مخطوط بمكتبة الحرم المكي رقم ١٢٦ تاريخ.

٤ـ **اتحاف الوَرَى بأخبار أم القُرَى**، تأليف: النجم عمر بن فهد، مطبوعات جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة.

٥ـ **أصول الخيل العربية الحديثة**، تحقيق: الشيخ حمد الجاسر، دار اليمامة.

٦ـ **أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر**، تأليف: محمد علي مغربي، (أربعة أجزاء)، سنوات الطباعة مختلفة لكل جزء.

٧ـ **افادة الأنام في تاريخ ولاة البلد الحرام**، تأليف: الشيخ عبدالله غازي، مكتبة الحرم المكي، مخطوط رقم ١٤٥ تاريخ.

٨ـ **بلاد الحجاز في العصر الأيوبي**، تأليف: عائشة باقاسي، دار مكة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٩ـ **بلاد ينبع**، تأليف: الشيخ حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر. سنة الطبع غير مدَوّنة.

١٠ـ **بلوغ القِرَى في ذيل اتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تأليف: الشيخ محمد المدعو عبدالعزيز بن عمر بن فهد. مخطوطة رقم ٣٠٤، مكتبة الحرم المكي.

١١ـ **البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب**، للمقريزي، تحقيق د. عبدالمجيد عابدين، منشورات المعرفة الجامعة الاسكندرية ١٩٨٩م.

١٢ـ **تاريخ مدينة جدة،** المجلد الأول تأليف: عبدالقدوس الأنصاري، دار مصر للطباعة، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

١٣ـ **تاريخ مكة،** تأليف أحمد السباعي، مطبوعات نادي مكة الثقافي، الطبعة الرابعة، سنة ١٣٩٩هـ.

١٤ـ **تاريخ نجد وملحقاته،** تأليف: أمين الريحاني.

١٥ـ **التعليقات والنوادر عن أبي علي هارون بن زكر الهجري،** اعداد: حمد الجاسر، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ (١٩٩٢م)،

١٦ـ **تاريخ ابن خلدون،** ط دار الكتاب اللبناني ١٩٦٨م.

١٧ـ **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق،** مخطوطة، الشيخ ابن بسام، المكتبة الصالحية بعنيزة.

١٨ـ **حسن الصفاء والابتهاج بذكر من ولي امارة الحجاج،** تأليف: الشيخ أحمد الرشيدي، تحقيق د. ليلى عبداللطيف أحمد ١٩٨٠م، منشورات: مكتبة الخانجي بمصر.

١٩ـ **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام** ـ تأليف: أحمد زيني دحلان، طبعة سنة ١٣٩٧هـ، القاهرة.

٢٠ـ **الدر الكمين ـ بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين،** نسخة مصورة عن معهد المخطوطات العربية ـ جامعة أم القرى، نجم الدين عمر بن محمد بن فهد المتوفي سنة ٨٥٥هـ، ونسخة مصورة على مايكروفيلم ـ دارة الملك عبدالعزيز، رقم م٢٠

٢١ـ **الدر الفاخر في خبر الأوائل والأواخر،** تأليف: عبدالهادي بن محمد الطاهر، مخطوط، دارة الملك عبدالعزيز، رقم المخطوطة ٢٥٤م.

٢٢ـ **الدرر الفرائد المنظمة في طرق الحج ومكة المعظمة،** تأليف: الشيخ عبدالقادر الجزيري، تحقيق الشيخ حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

٢٣- **رحلة عبر الجزيرة العربية،** مذكرات الكابتن فورتر سادلير، ترجمة أنس الرفاعي، تحقيق: سعود بن غانم العجمي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١ سنة ١٩٩٣هـ.
٢٤- **سِمْط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي،** تأليف: عبدالملك بن حسين العصامي (ت ١١١١هـ). طبعة القاهرة ١٣٧٩هـ.
٢٥- **السلاح والعدة في تاريخ جدة ...،** تأليف: عبدالقادر بن أحمد بن فرج، مخطوطة في مكتبة الحرم المكي، رقم الفيلم ١١٣١، ورقة ٣٠
٢٦- **شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز،** خير الدين الزركلي، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت.
٢٧- **صحيح الأخبار عمّا في بلاد العرب من الآثار،** تأليف محمد بن عبدالله بن بليهد.
٢٨- **ابن عربي موطد الحكم الأموي في نجد،** تأليف: الشيخ حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٢٩- **العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن ١٩،** تأليف د. سعد بدير حلواني، جامعة الأزهر، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ
٣٠- **علماء نجد خلال ستة قرون،** للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م). مطبعة النهضة الحديثة ـ مكة المكرمة.
٣١- **عنوان المجد في تاريخ نجد،** تأليف الشيخ عثمان بن بشر، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة.
٣٢- **غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام،** تأليف: عبدالعزيز بن عمر بن فهد (ت: ٩٢٢هـ)، تحقيق: د. فهيم شلتوت، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ،
٣٣- **لمْع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب،** تحقيق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، من مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز.

٣٤- **مجلة العرب** - مجلة دورية شهرية ، اشراف: حمد الجاسر، دار اليمامة للترجمة والبحث والنشر. الرياض.

٣٥- **المختصر في تاريخ مصر**، د. علي عبدالمنعم شعيب، دار ابن زيدون، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ص٢١٨

٣٦- **المدينة المنورة عبر التاريخ الاسلامي**، تأليف: أحمد بن صالح البرادعي، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ، ١٩٧٢

٣٧- **مرآة جزيرة العرب، أيوب صبري باشا**، دار الرياض للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ.

٣٨- **مشيخة ابن عسم في وادي خليص**، تأليف: د. مبارك المعبَّدي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، مكتبة دار البيروتي - دمشق - سوريا.

٣٩- **ملخص رحلتي ابن عبدالسلام الدرعي**، عرض وتلخيص الشيخ حمد الجاسر، منشورات دار الرفاعي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م،

٤٠- **مواد لتاريخ الوهابيين**، الرحالة بوركهات، ترجمة د. عبدالله العثيمين، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ.

٤١- **ابن مضيان الظاهري**، تأليف: فاير بن موسى الحربي، دار البدراني للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٤٢- **مقتطفات من تاريخ خليص في الماضي والحاضر**، تأليف: د. مبارك بن محمد المعبَّدي، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٤٣- **من وثائق الدولة السعودية الأولى في عهد محمد علي**، ط١ تأليف د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم.

٤٤- **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**، تأليف: علي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري (ت ١١٢٥هـ)، الجزء الثالث، دراسة وتحقيق: الطالبة

ملك محمد الخياط، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي، جامعة أم القرى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٤٥- **المنتقى من أخبار أم القُرَى**، تحقيق: محمد عبدا لله مليباري، مطابع الصفا بمكة المكرمة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

٤٦- **نبذة تاريخية عن نجد**، املاء ضاري الرشيد، من منشورات دار اليمامة، تحقيق وتعليق الشيخ حمد الجاسر.

٤٧- **نسب حرب**، تأليف: عاتق بن غيث البلادي، دار مكة للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٤٨- **الوثائق السياسية والادارية، للجزيرة العربية من سنة ٤٠هـ - ٩٢٢هـ**، جمع وتحقيق: محمد ماهر حَمَادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٤٩- **الوثائق التركية** ـ دار الوثائق القومية، القاهرة.

٥٠- **الوثائق العثمانية** ـ أرشيف الوثائق العثمانية، استامبول.

٥١- **الوثائق الخاصة** ـ مجموعة وثائق المؤلف.

❊ ❊ ❊

٥) - فهرس المحتويات

الموضوع **رقم الصفحة**

* * *

كلمة أخيرة !

يسر المؤلف أن يدعو كل من لديه معلومات اضافية أو ملاحظات أو وثائق تاريخية تتعلق بالأعلام الواردين في هذا الكتاب أو غيرهم من أعلام قبيلة حرب ، أن يتصل مشكوراً على العنوان التالي:

دار البدراني للنشر والتوزيع

ص ب ٩٢٨٢٩

الرياض ١١٦٦٣

هاتف ٤٩١٠٨٠٦